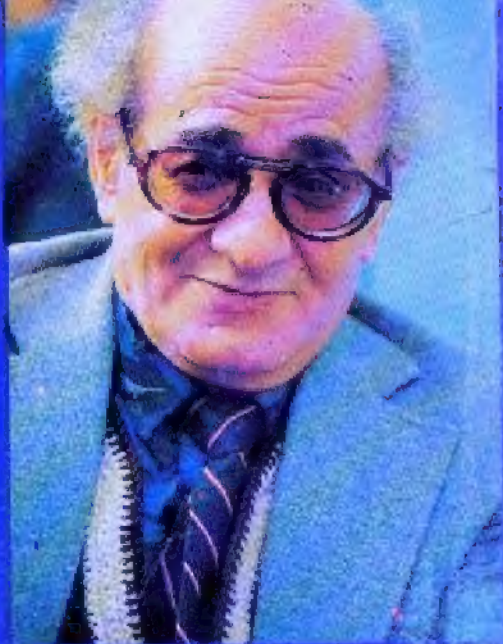


# الأعمال الكاملة

خيري شلبي



## Amly

• أولاد ولد •

## الأم علي

لأبي علي حسن : ولد خالي  
سيرة ذاتية شعبية في ثلاث أجزاء



الأعمال الكاملة...

خيرى شلبى

(٤)

# الأمالى

لأبى على حسن : ولد خالى  
سيرة ذاتية شعبية فى ثلاث اجزا.

١ - اولنا ولسد

٢ - وثانينا الكومى

٣ - وثالثنا الورق



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

أولنا ولد

تصميم الغلاف:

الإخراج الفني: هاشم الأشموني

## البسملة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا  
ونبينا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين. أما بعد  
فهذه أمالي الحاج «حسن أبو علي» ولد خالي «عبد الباسط  
عواد»، الشهير بابي ضب. أملاها علي في بضع ليال ونحن  
جلوس على مصطبة من الحشيشات الثمينة المبطنة بالقرو،  
ومن خلفنا المساند القطيفة الملونة، في شرفة شقته المقامة في  
الدور السابع فوق سطح عمارته المهيبة الواقفة كالعروسة  
الحورية فوق أعلى قمة من جبل المقطم الأغر، حيث يتربع  
«حسن أبو علي» ولد خالي في غاية من الأطمئنان بعد أن لم  
يعد مطلوباً منه أي شيء على الإطلاق، وبعد أن تغفل في كل  
شيء في البلاد، وبات حاكماً بأمره يخطب الجميع وده  
ويتملقونه ويمسحون له الجوخ في كل مكان، وبعد أن زهد  
في كل شيء منذ أن توفرت له كافة السلطات، ولم يعد يطلب  
من الله غير الستر ومغادرة هذه الحياة الفانية في سر هادئ  
يمكنه من النظر في أمر الحياة الباقية، تلك التي لم يعطها من  
قبل نظراً على الإطلاق إلا في أواخر أيامه.

القاهرة الكبرى تبدو امامنا كاطلال مدينة خرافية تهدمت ولم يبق منها سوى اورام كالحبة في النهار كخبيبة في الليل رغم بريق الاضواء المنبعث من خلال الهديم. وقد ضمن ولد خالي لاولاده كل شيء واطمان إلى أن مستقبل البلاد كله سيظل في ايديهم لقرون طويلة من الزمن قادمة.

وكنت مشغوفا بالفرجة على التليفزيون الملون المفتوح دائما في صبر البهو الكبير يعرض اذراعا وسيقاننا وخصورا ورقصا وغناء وتهريجنا ونواحا. ولكن ولد خالي كان يسخر مني دائما وينهاني عن الفرجة.

قلت له: يا ولد الخال لماذا لا تتركني أفرج على ما فيه من افلام وتصاوير؟

قال: ولماذا الافلام والتصاوير يا ولدي؟ أنا عندى لك من الافلام والتصاوير ما هو احسن من هذه وانفع!

قلت له: يا ولد الخال ولكن الحكاوى التى ستحكىها لى ليس فيها تصاوير اللحم الابيض المخروط فى قوالب زبدية وقشطة!

قال بعلوية دون أن يدرى: عندى من هذا اللحم أكثر مما يشتهى الخلق كله! ستشبع لحما وزبدا وقشطة!

ثم بان القضب اللطيف على وجهه فجأة، وبرق فى عينيه ذلك البريق اللاهب. ولو لم أكن أعرف طبع ولد خالي لظننت

من هذه الغضبة الصامته انه سيفتك بى لا محالة. نفس الخديعة التى يقع فيها كل من يرى هذه النظرة فى عينيه وهذه الشدة على وجهه لأول مرة.

فوجهه مثلث الشكل منحوت يشبه مبخرة فخارية، يشبه الجوافية المتقيحة الناشقة. عيناؤه ثقبان عميقان يندفع منهما بريق حاد كعمودين من الضوء مفتوحين على الشمس. فى عينيه ألف قتيل وقتيل دفنهم ومشى فى جنازاتهم ياكيا بحرقه بدهاء مثقوف فى براءة تصل إلى حد البلاهة أحيانا. لا يستطيع مخلوق - مهما كان أريبا ذكيا ابن حرام - أن يفصل بين المجرم العتيد فى ولد خالي وبين بلاهة الصعيذى القحف. العشرة الطويلة وحدها هى التى تستطيع أن تريك الرجل الطيب فى ولد خالي. شيئا قسيئا سيقبل رعبك من شخبطته ذات الرنين الخشن القاسى، ويخف انزعاجك من التواء الشر فى ملامحه ولهيب الخار فى عينيه. ستتجاوز عن تشويحة ذراعه فى وجهك بيد وأصابع سرحة وذراع تتبختر وسط فتحة كم عريضة. لن يغررك طوله الشامخ حين ينتفض واقفا ليؤنّب فى غضب جريح أو يصرخ فى رثاء الأدب والأخلاق والرجال واهل زمان.. لسوف تعرف أن هذه الفزعة الجبارة هى آخر ما تبقى له من سلطاته القديمة التى نبذها غير آسف عليها. وآخر ذبالة من ضوء سيادته التى اطفأها بنفسه زهدا واحتقارا منه لسانها.

أشد حالات هياجه وعراكه ينهيهها اذان الصلاة، حيث يضطر هو إلى الاستجابة الفورية بالرد على صوت المؤذن صائحا: الله اعظم والعزة لله.. ثم يصلح عمامته الصعيدية الصغيرة كأنها البرام الأبيض، ويولى هامته العالية نحو المسجد رافعا حاجبيه عن نظرة ثاقبة تتلصص تتدبر هي نظرة ولد خالي «حسن عبد الباسط» الشهير بابي ضب، نظرة تريد أن تخترق النفوس لتعرف ما بداخلها على وجه الدقة واليقين. فإذا رأى كوب ماء في يد أحد ساعة الاذان انقضت يده عليه فرشفت منه وتمضمض ثم واصل الاندفاع نحو المسجد. وعند خروجه من الصلاة يترك مسجد السلطان برقوق ويدخل المقهى الذي تعود أن يلتقى فيه بصحابه الحجاج عصر كل يوم ليدخنوا لهم ما يربو على خمسمائة حجر من الحشيش على قارعة الطريق، وربما وجد من كانوا يتعاركون معه قبل الصلاة جالسين، فإذا هو يجلس بينهم يبادلهم الحديث بود عميق كان شيئا لم يكن.

ولما أنا قلت أستطيع بل لست املك ان ارفض لولد خالي طلبا. لقد كان هو الحافز الأكبر لأبي وامى بأن يربباني على التعليم لعلنى اعيد إلى الوجود شهرة أخوالى الفقهاء. فالحقنى أبى بالكتاب فى بلدتنا «كوم سعيد»، فحفظت القرآن وجودته ثم التحقت بالمعهد الدينى فى اسيوط ثم جئت أخيرا لاتعلم فى الأزهر الشريف مثل رفاعه الطهطاوى ومحمد

عبدہ وطہ حسین واخوالی. وهكذا قدر لى ان انتقل من «كوم سعيد» بالغنايم قبلى إلى الأزهر الشريف طالب علم، أسكن فى دار ولد خالى ولا غرو. وقد رحب بى ايماء ترحيب، فافرد لى شقة خاصة أرتع فيها وحدى كأولاد الباشوات، وتكفل بمصاريفى وكسوتى حتى بات اهلى لا يعرفون عنى أى شىء وإن رأونى فقد لا يعرفوننى من فرط ما طرا على من نعيم مسقيم، يكفى أننى أذهب إلى الأزهر كل يوم فى سيارته المرسيدس وسائقه يوصلنى بحقيبة الكتب حتى محل الدرس، ويعود ليحملنى إلى الدار، أقصد القصر الخفيف.

ولقد بات ولد خالى يجد لذة عظمى فى توجيهى والاشراف على واستحثائى على الجد والاجتهاد باخلاص عميق لا أظنه يتوفر فى أبى نفسه. ثم أننى درست ولد خالى عجنته وخبرته. عرفت عنه الكثير مما تقشعر منه الأبدان لكننى مع ذلك أحببته. وكلما ضقت به وبإشرافه وثرثرته تذكرت أن الواقع دائما فى صفه. والغريب أننى كلما دقت فى الاستماع إليه وجدت حكما خطيرة وجنبت فوائد جملة لا تحصى. بصراحة وجدته على حق، إذ أطلت المكوث أمام الشاشة الملونة فأصابنى التكرار بالكآبة والرغبات السفلية، وتظرت فى كتب الدراسة فما وجدت إلا علوما تنقع فى الفراغ بعيدا عن مجريات الحياة، علوم هذه الكتب كلها تسير فى واد وتسير حياتنا فى واد آخر، وليس ثمة من صلة بينهما على

الصفاء والتجرد والجرأة على الاعتراف والمكاشفة بما يشيب له الولدان. لقد أدلى بشهادته كاملة غير منقوصة لما رأى أن الجميع في هذه الأيام يهتمون بكتابة شهاداتهم، كل من هب ودب يتطوع بالادلء بشهادته.. فأراد ولد خالى أن يلقنهم درساً في نوع الشهادات التي يجب أن تكتب اليوم، فإذا هو يكشف عن الجانب الدقيق المخفى من حياتنا المتعتقة فيعترف بكل مدهش ومثير، وإذا هي شهادة جديرة بأن يحملها ضعير الأمة كما قال.

وبعد فليس لى أى فضل سوى تسطير أماليه هذه على الورق، لعل من يهتمهم معرفة جوهر الحقيقة - كما قال - أن يفتحوا أعينهم ذات يوم. فإذا كانوا قد ظلوا طول عمرهم يقرأون شهادات المثقفين، فلعله قد آن الأوان لأن يستمعوا إلى شهادات العامة من أفواه المواطنين، أو كما قال «طبق الاصل».

الاطلاق فكل يمضى في فلكه بعيداً عن الآخر، والناس في بلادنا يتخرجون في الجامعات والمعاهد والأكاديميات ليصبحوا في النهاية مجرد موظفين ينفق عليهم أمثال ولد خالى. وقد تبين لى خلال سنوات التحاقى بالتعليم العالى واحتكاكى بالقاهرة أم الاعاجيب أمثال ولد خالى «حسن أبو على»، أن أمثال ولد خالى هؤلاء هم دائماً وجوه المجتمع الحقيقيين بل هم أصلا به اصحاب رأس ماله وعماثره السكنية ومحللاته التجارية الكبرى وأعضاء مجلس شعبه وتاجرو مخدراته. أمثال ولد خالى «حسن أبو على» هؤلاء هم الفائزون على الدوام، وليس يصيبنا من التعليم سوى النفقات والعناء الشديدين، ولا اظن أن أحدا يمارى في أن مجتمعنا لا يطلب منك شروطاً على الإطلاق لكى تصبح أحد اثريائه في شهور قليلة، أو أحد ملوكه أو رؤسائه في قفزة واحدة يصبح من حقه أن تتحدى كل شيء وتحصل على كل شيء وتشتري بنقودك بقوتك ما تشاء وتهوى.

لكل هذا فإننا استمع - وأدون - كل حكاوى ولد خالى «حسن أبو على»، التى طقت فى مخه فجأة فطلع فى دماغه أن يملئها على كصفحات من بطولاته الخارقة. وقد أملأها على فى استمتاع شديد، ودونتها فى استمتاع أشد. ولم أضبطه متلبساً بالكذب فى كلمة واحدة، حتى لقد أعطانى درساً فى

## الفاحة

الله لا يعيدها من أيام. الفقر وحش ياولدى، وأكل العيش مر،  
والبطن لا ترحم. وهى ليست بطنا واحدة، خذ عندك أمى، وأربع  
بنات كبار، وطفل ملامحه كنت أشاهدها الخالق الناطق على وجوه  
أعمامى الفقهاء المحترمين، وأتعجب: كيف يصير هؤلاء محترمين  
هكذا؟ وأبى على باب الله يعيش على ذراعه يشتغل يوما ويبطل  
عشرة، حتى ليمشى يعرض الخدمة على الناس يتطوع بالمساعدة  
دون أن يدعوه أحد، أحيانا دون لزوم. أنت وغيرك تتصور أن  
المسألة مجرد شهامة من رجل يبدو محترما غير أجير، فتكتفى  
برفع ذراعك فى الهواء بالشكر والتحية مثلما تشكر أعيان الناس  
بينما تعطيه ظهرك متكلا على الله. واقسمتك سوداء لو فعلتها ربما  
مشى خلفك فى هدوء شديد ليجذبك من أى مكان فى متناول يده  
الغليظة الخشنة، ذراعك أو خناقك أو رقبتك نفسها لا يهم: تعال  
هنا.. حمار أنا يعنى أشتغل لله من غير أجر؟! حتى الحمار يعلقونه  
وينفقون عليه!..

الكل ياولدى كان يتقى شره، يتركونه يساعدهم راغبين. لم  
تكن المصادمات تحدث بينه وبين أحد إلا أيام السوق، حيث يتخذ



فى شكله الغرباء، يرون فى وجهه صلاح أعمامى وطيبة قلوبهم ورجولتهم، بعدها هو وبخته، حسب نوع الناس الذين يرمى بجثته عليهم، مع أنه أزرق الناب، عليه رحمة الله كان يعرف الناس من أفقيتهم، ومنها يتوسم فيهم الخير أو كلالحة الوجه. العبد منا ليس مقصوماً من الخطأ، ويرحمه الله كان يضروب فى قلب السوق ينظر حواليه وعينه لائذة بكل شيء، يرى جماعة ينزلون أجولة الحبوب عن الركائب يعدون الفرش، يراهم فى حاجة حقيقية لمساعدته لكنه يعطيهم ظهره وينصرف، ليساعد بائع العجوة فى نصب خيمته وأعداد موازينه وبعدها يقف يتلأأ فيفهم البائع هذه الإشارة يطبق يده على الواحد بأربعة أو القرش على سبيل الهدية أو الحسنة التى يسره أن يقبلها ذلك الرجل الطيب المحترم لعله يكون بركة، أما تجار الحبوب فإنهم كانوا سيسخرونه فى تفريغ وتكميل وتحميل طول نهار السوق وفى النهاية لن يأخذ سوى القرشين!!

أتممت فى الشهر الفات أربعة وخمسين حولا بالتمام والكمال ومازالت أيام كان يتركنى أشبط فى ذيله فأمضى معه يوم السوق كله، كان يعرق بحق، يصعب على، من فرش إلى فرش يحمل يعتق يفرغ يجسر العربات يتعارك فى اليوم مائة عركة، فى كل عركة يضرب ويتضرب حتى يقع مغشياً عليه وولد خالك بصرخ لله ما يغيثه من كثرة الخوف على أبى الذى أراه يموت أمام عيني فى اليوم الواحد عشرين ثلاثين مرة على الأقل! أتعجب فى كل عركة كيف كان يستطيع النهوض بعدها متجها إلى فرش آخر يبحث فيه

من مساعدة يقدمها لأصحابه، إن لم تكن موجودة اختلقها، لربما فوجئت به يكس أمام دكانك ويرش، ما يجعلك تنتبه إلى أنك بالفعل كنت محتاجاً لمن يكس لك المكان ويرشه ليصير نظيفاً هكذا، أو تراه قد تسلل إلى فرشك وراح يرتب أجولته وموازينه من الفوضى التى أحدثتها معانيات الزبائن وفركشاتهم للبضائع، مما يجعلك تنتبه إلى أنك بالفعل كنت محتاجاً لمن يقوم لك بهذه المهمة، ولربما فوجئت به واقفاً أمامك مثلاً رهن الإشارة فى أن تكلفه بشيء أو تطلب منه طلباً أو تأمره بأمر، ومن هنا كانت تكثر خنائاته يا ولدى، وكان رأس ولد خالك الصغير أيامها لا يمكن أن يخاطر له أن أبى هو الذى يسعى إلى العركة سعياً، كنت أستعيز بالله ويدب الرعب فى كلما بدأ صوته يعلو فى الكلام وترتعش شفتاه وتبرق عيناه، أروح أقول لنفسى ياسايل الستر أستر يارب، رمشة عين والأخرى تكون الخناقة قامت والضربة دوت على وجه أبى، تتبعها الشلايت والبونيات وأبى يلفظ بين جمع من الناس يلثم عليه فجأة ليخلصه ولكن بمزيد من الضرب، بعدها يقف بعيداً ويأخذ فى الصياح والاحتجاج على ضربه وهو ابن الناس الطيبين وأخوة له فقهاء مشهورون، فيتخرج الذين ضربوه، يبعثون له من يصلح، يراضيه بقرش يزيد عما كان سيأخذه بدون عراك!!

ولد خالك لم يعد يخاف. فهمت أن أبى يفعل ذلك من أجل زيادة الرزق قرشاً أو قرشين. فى يوم السوق لابد أن تطبخ كافة الدور، الدار التى لا يتصاعد منها الدخان ليلة السوق هى دار اليتامى، ولا بد أن يوقد الكانون فى دارنا ويرسل دخانه ولهذا كان

أبى - بعد كل هذه البهذلة والضرب المميت - يبدأ فى الابتسام منذ انصرافه من أمام «سيية» الجزار، حيث يكون قد تأكد من أن اللحم صار أخيراً فى يديه تنام اللفة الورقية الحمراء التخينة المبقعة بالدم على صدره وهو يركض مترنحاً ذات اليمين وذات اليسار كالسكران التشوان يلقى السلام على الناس بكل ود، فيردون عليه بكل احترام للورقة الناعمة على صدره يقولون: تفضل يا أبو عواد، فيقول: عشت عشت، وتزداد الابتسامة نورا على وجهه كلما اقترب من حارتنا، فإذا يبدأ فى دخول حارتنا يأخذ شكل الرجل المحترم يبدو بالفعل نسخة من وقار أعمامى الفقهاء فى مشيتهم لا فرق سوى الجبة والقفطان والعمامة والعصا. ولم أكن أعرف لماذا يفعل هذا فى هذه الحارة بالذات مع أننى أعرف أن أناسا كثيرين من أهل حارتنا هذه شاهدوه فى السوق وهو ينضرب بالصرمة القديمة، هم أيضا كانوا يردون عليه السلام بكل احترام قائلين: تفضل يا أبو عواد، فيقول: عشت، ويدلف إلى دارنا، من خلفه أنا، متفائرا، محشو الجيوب بالعجوة والبرتقال واليوسفندى والفول السوداني. ينشرح وجه أمى وأخوتى من منظر الورقة. أمى تسمى بالله قبل أن تفتحها، تقلب فيها قائلة لأبى وهى تشوح بيدها فى وجهه بحب: إن شاء الله ما اشتبهك، تذهب إلى الكانون المشتعل تكاد تزغرد من الفرح. أنسى فى الحال كل ما أصابنى من بكاء وصراخ ونكد، أوزع على أخواتى وأمى وأبى كل واحد بلحة عجوة وقص يرتقال. يكون

وبلغا قد بدأ يجرى والفرح يعنا كلما طلعت زائحة اللحم المسلوق من تحت غطاء الحلة مع الدخان.

خالك، يرحمه الله، اشتغل فى أشغال كثيرة. الشغلة الوحيدة التى كنا نحبها ونتمنى لو دامت هى شغلة الخفارة، حيث خفرنا ما كينة مياه كبيرة كانت لرجل من الأعيان طيب القلب مثل حالاتك وحالاتى، كان له ثلاثمائة فدان تسهر عليها ما كينة المياه ونحن وأبى نسهر عليها وعلى الأرض طول الليل. أقمنا دارا لنا بجوار الماكينة وأقمنا فيها، فبقيت دارنا تقطع المسافة بين البلدة والجبل، إلى الجبل كانت أقرب، وكل العصابات التى تخبىء فى مغارات داخل الجبل كانوا أصحاب والدى وكانوا يستريحون عندنا أثناء تسللهم من الجبل ليلا إلى البلد أو تسللهم من البلد إلى الجبل. «على السايح» نفسه، الذى هرب من السجن والقيد الحديدى فى يديه، كان يستريح عندنا، ولقد سحرنى هذا الرجل مثلما سحرنى الجبل، هو الوحيد الذى بهرنى بعد الجبل وأوقف شعر رأسى من الرعب والحب لهؤلاء الذين يدوخون البر كله يحتضنهم هذا الجبل المهيب المخيف المليء بالمغارات.

أتعرفون كيف هرب «على السايح»؟ تراك أنت وجيك لم تسمع به. وهل رأيتم أنتم شيئا؟ انكم جيل الفقر والحروب وعسكر الاحتلال واحتلال العسكر، فمن أين تجيئكم المرجلة عدم المؤاخذه؟ من السمن الهولندى والقمح الأمريكى المدفوع فيه شرقكم؟ أم من الفراخ الفاسدة ولحوم الكلاب المفرومة التى يوردها عبد الحى وعبد الميت؟ أم من الماء العكر المختلط بماء المجارى والهواء المختلط

بعدم المكن والمواقف؟ عليه العوض ومنه العوض فيكم يا ولدي! في هذه البلاد شيء كبير عنت لا أحد يدرى ما هو لكننى أقول أنه ندرة الرجال!

«على السايح» كان محكوما عليه في أربع ثابيزات كلها اعتداء على الحكومة وقتل أعيان من رجالها، مع أن الحكومة هي التي كانت تبدأ دائما بالعدوان، هي هناك من يتعدى على الحكومة من الباب للطاق. «إناس تمثدي على الناس، وهيبت أن تجيء الحكومة في الوقت المناسب، المبت يتقى في مكانه ثلاثة أيام رما عشرة في انتظار تشريف وكيل النيابة إلى أن تتعسف جثته ولا يستطيع مخلوق في أن يقترب منها وحتى لو جاءت النيابة فمادنا ستفعل؟ محاصر وأقوال؟ طبيب شرعى يبيع التقارير بتسعيرة كبيرة؟! وحقوق تصيغها الحاكم بين قصة يعرجون الطربوش على ناحية ويحكمون بأربع وعشر مؤبد وهم لا يعرفون أصل الحكاية من فصلها ولا ظالم من مظلوم»<sup>١٤</sup> ومحامون متكلمون يحتلقون الأوراق ويولدون الكلام كلاما ومفارج وأوهاما تصبى دم الغلابة؟! ..

يا ولدي الناس طول عمرها تعرف أن الحكومة لا ترد لأحد حقوقه ولا تقص من أحد لصالح أحد! أنها لا تدخل إلا لعص الممارك والفك بالجميع ولهذا تعودنا في الصعيد أن نجيب الحكومة، فما تبدأ معركة إلا وتكون أول خطوة فيها هي قطع أسلاك التليفون حتى لا تأخذ الحكومة علماء لكي تتسرع الفرصة

لا، واحد الناس حقوقهم مايديهم يابوى، يقتصون لانفسهم بانفسهم يابوى، أمال يابوى! اتظنون أنفسكم رجالا؟! ..

«على السايح» يرحمه الله كان يشعارك عراقا بريئا مع نفر من مثله «ردات المعركة اشتعلا بعض الشيء، تطوع أثناء الحلال فسامروا إلى بلدة مجاورة لبلدتنا وأبلغوا الحكومة من تليفون سموتها، فمطحت علينا العسكر والهجانة من كل مكان واشتعل انصرب فيها عمال على بطان. دخلوا دورنا يابوى كما كان يفعل انفساوية والممول الذين يحكون عنهم في الراديو والتليفزيون ساعات صاروا يمزقون الثياب عن انساء بحجة أنهم ربما يكن حولا من الهاربين متفكرين، ويقتحون حواصل المعيشة فيدلقون اسمن وانسن واللب على الأرض يدهسونه بالأحذية الميري، وناقدم «حين وحواهر الحمال وعجلات الكوكس فورد يدهسون بطون لحوام والأطفال والعجائز ممن يرى هذا يابوى ولا يعلى»<sup>١٥</sup>

كتب طفلا صغيرا أيامها وكان ذلك حوالي سنة ألف وتسعمائة وخمسين أو قبلها بسنوات قليلة، ولازلت حتى هذه الساعة اسمع الصراخ والصويت الساكن في أدنى من يومها «بى هاتين» - قادر أن يخبرنى لو كذبت - شاهدت اندفاع .. الحكومة المندفع الرشاشة يدهسون كل من في طريقهم، .. عميانى، الدار المهاجرة لدار «على السايح» ليس لها دعوى .. شىء، لكن العسكر أخذوا يصوبون نحوها مدافعهم

ويضربون. خرج بهم من شباكيها فتى وعثة من عائلة «الجانية»  
 اعنتى اسمه «حنة» وعمره حوالي سبعة عشر ربيعاً، والفتاة اسمها  
 «جينية» وعمره حوالي خمسة وعشرين عاماً أخذ كل منهما  
 يدافع عن داره وأهله مطلقاً رصاص المدفع الرشاش على العسكر  
 والجانة فقتلوا منهم جملة، وكما وقع منهم واحد رُغِدَت الأم في  
 الداخل، إلى أن اندفعت رصاصاً من مدفع أحد الهجاة في رأس  
 الفتى «حنة»، كانت عفيفة حتى نثرته من الشباك وألقت به خارج  
 الدار في الأرض، فمما كان من أخته «حبيبة» إلا برلت من الشباك  
 ولقت من الحوش فتفتح باب انشارع كي تجيء بجثة أخيها وكان  
 العسكرى الهجان الذي ضرب أحاسها قد نزل عن حمله وجاء نحو  
 الفتى ليأخذ منه مدفعه الذي كان لا يزال يحتضنه، معالجته الفتاة  
 «جينية» مفرعة فيه كل حشو حزينة مدفعها، وجرجرت حتى عتة  
 الدار، وبعد انقاس قطعت رأسه وذراعيه وقدميه وصارت تفتت  
 لحمه كانه الردم!!

كل هذا وعلى السايح طافح في الهجاة والعسكر بعرضه  
 ومدفعه الرشاش وسيفه وحجره ونوته حتى قتل منهم جملة  
 وأصاب مجملهم اصابات خطيرة، وحين هوجننا بمجىء الجيش  
 المصرى بعرضاته المصفحة ومدافعه وخيلوله ليحمد المعركة وجدها  
 قد أحمدت تماماً ولم يبق منها سوى وعلى السايح وحده، الذي  
 صعب عليه أن يهرب والجبل على بعد رمحتين بالفرس الأشهب  
 وجثث أهله وحيرانه وأصهاره مرمية على الأرض في كل ناحية

... معه الحكومة وجده محرج مكللاً بالحديد في يديه وقدميه  
 ... بشيعة ابرغرايد التي طغت على اصوات انكالى وحمبر  
 ١. أمي

وحلوه إلى النيابة ثم محكمة جنايات أسبوط فحكمت عليه  
 بالسنة الرابعة، فقط لأن محاميه وعند الفتح باشا الطويل أثبت  
 أنه عند اشتعال المعركة كان هو مقبلاً من عند أحواله في نجع  
 همدى محاور للندة «أولاد إنياس» وأبوه وصل بعد انتهاء المعركة  
 ونها لم يشارت فيها ولوشارك لكان أممه متسع ليهرب كما أنه  
 ليس لدى الحكومة شهود لا من رجالها ولا من أهل أسلدة لال  
 الجميع كانوا قد ماتوا في المعركة وعددهم جميعاً حوالي  
 مائة وستين فرداً من الطرفين حكومة وأهالي.

بعد انتقال «على السايح» من المحكمة إلى السجن تكفى ببقله  
 أربعة عساكر أشداء وضموه في «البوكس» فورده مقبلاً بالحديد  
 من يديه وقدميه ولهما «البوكس» فورده يمتطي الطريق الررمي  
 أشير «على السايح» نحو جمع أخوانه وهمس في آذانهم بجدية  
 وصديق كبيرين - (الله يرحمه كان مهيباً) - قاتلاً أنه يدعى في هذه  
 لناحية التي جثية في الأرض، وهو الآن ناهب إلى السجن المؤبد  
 وحسارة طبعاً أن تاكل الأرض هذا الملع، حردم، ليكن لهم ألف  
 وله ألف يصرفه في سجنه إذا هم مروا به على هذا المكان حيث  
 يشير لهم من قعدته هذه على موضع النقود فيفتحون بأنفسهم  
 ويستخرجونها. صنف عسكر الشرطة أدنياء وأن تظاهروا بلعة

الشديدة بل هم كذلك لأنهم كذلك وهكذا بدا عليهم أنهم استمضوا الفكرة ووافقوا عليها، فالف جيبه على أربعتهم ليست مبلىا بسيطا بالنسبة للقط الذي يعيش فيه خدم الميرى ومن يتمرغون في ترابه أعلوا موافقتهم بجسارة خاصة أنهم مسلحون وهو أمر مقيد مصلًا عن أنه بعيد عن بلد وأعوته. وبعد أن انحرف «البوكس» فورد عن الطريق والتحم بالمعطف الواصل إلى الغيمة همس لهم «على السايح» بأن منظر «البوكس» فورد سوف يلفت النظر ويثير الشبهة فليتم الناس ويعطونهم عن كشف الدفينة وربما ادعى البعض أنه صاحبها! واقترح عليهم أن يركبوا «البوكس» فورد في دروة أمسة في سفلح الطريق ثم يركبوا سيارة أجرة على حسابه توصلهم إلى مكان الدفينة ثم تعود بهم إلى مركز أجرة على حسابه توصلهم إلى مكان الدفينة ثم تعود بهم إلى مركز «البوكس» فورد بعد انتهاء مهمتهم.

ركب هو بجوار المسائق ليرشده على الطريق. سائق الأجرة عرفه في الحال وسلم عليه لكنه قل ملامح وجهه أثر غمرة قوية من أصابع «على السايح» المقصود، ظلت السيارة الأجرة ترمح بين الحقول في طرق ضيقة حتى توقفت أمام دار تغطس - وحيدة - وسط قطع من الحيل والجروين والكافور وتحدها من جميع الجهات مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية التي هي من أحوا «على السايح» وهذه دارهم. خرج منها ثلاث رجال يهتزون وقع خطوهم المهييب جحش الأرض لتقول هزاته لهؤلاء الذين مرلوا من السيارة للأجرة أن احضروا فاقتم أمام أسيا هذه

الأرض لكل منهم شارب يؤكد لك أن العيب كل العيب يكون عليه لو لم يصق صاحبه في كلامه، وعما من الشوم تؤكد لك أن الويل ملائك لا محالة أن أدبت لاجاة أو غباوة، ووجه بشوش باسم عن سعة يؤكد لك أنك بالكرم القزير موعود، وأنت، بحسن التصرف واللباقة - من ها هنا - مولود..

وهكذا هوجن العسكر الأربعة أبهم قد أحيطوا بالكرم والاحترام على أكمل وجه. غداء سريع شهى أعقبه شاي ثقيل. وقبل الغداء بشيئ استأذن «على السايح» من أخواله في فاس فجاء له به فاصطحب اثنين من العسكر ومضى بهما خلف الدار مسافة طويلة حيث توقف عند بقعة معينة طلب الفحت فيها مفتحت العسكريان حتى عثرا على الدفينة فابعل مسفوفة في قماط من حذاء قديم، فلما عد ورأى العسكريان الآخرين البشاشة وأرضا في عيسى زميليهما شملهم الاطمئنان وجلسوا للغداء في قنير من التردد والترقب، لكن كوبة الشاي اشقتة تكفلت بعد اذعنهم على الصلابة الراقية والاشراح الملجلج بروقان الأعيون المروع حصفهم مباشرة على مساحات لا يحذر البصر، لهذا سمحوا «على السايح» عن أريحية وطيب خاطر - أن يدخل ليسلم على زوجة خاله خلف باب الدار مباشرة

روحة حاله كانت في انتظاره داخل حوش امدار اواسع البعيد. لدنس الصغيرة كسرت أقبان قيوده، سمته الحصان والمدفع، شش وصحت فيه انطلق فاندفع من الباب الخلفي لا ينظر

حلقة قاصداً، الجبل، ولو رفع العسكر رهوسهم وتلفتوا حولهم  
 برأوا فارساً متكوراً فوق حصان يشق الريح مدهماً نحو ركن  
 بعيد من أسماء، لكن العسكر لم يرتفعوا رهوسهم لأن محذر  
 الأفيون القوي الذي شربوه مذهباً في الشئ بكمية كبيرة كسر  
 رقابهم هارتت رهوسهم على صدورهم كرهوس العصفير  
 الديجة لم يشعروا بأنفسهم إلا وسائق الأجرة يجز جثثهم  
 واحداً وراء الآخر عند «الوكس» وورده ويتركهم واقفين متهددين  
 يتطوحون، لينطلق هو إلى سبيله مثيراً سحب الغبار خلفه.

إن خلعت لك ناله انفضض أبنى جلست مع «على السايح» هذا  
 تقول عسى كذا أنا الوكيل ربنا، لقد ربت بيديه على رأسي وكنتي  
 فيما هو يستريح هي دارتاً مع رجائه كانت أمي تخز عيشاً  
 ليكفيها جمعة بدائلها فيأكل رجائه الحيرة كلها وتضطر أمي  
 للحبيرة ثدية من مسيحة ربد وهي في غاية الانبساط لأن الذي  
 أكل حبيرتها هو «على السايح» ورجائه غير أن سعادة أمي كانت  
 تحيى من ناحية أخرى، إذا كانت تعرف أن «على السايح» يتركها  
 في الطريق حتى يعمق ستر الليل لينذهب إلى داره كي يجتمع  
 زوجته ويستحم ويغير ثيابه ليعود إلى الجبل، وكانت تعرف أن  
 رجاله اسالغ عددهم عشرين والذين يأكل بعضهم خبزتها الآن  
 سوف يحطونه طول الطريق أن هناك مثلهم أكثر منهم عدداً  
 يترشقون بالأرض في طول الطريق من أجل إلى الدار يؤمنون  
 له الطريق يصنعون من أنفسهم ستاراً فوق ستار الليل ولا

سدهون في مفادرة مواقعهم إلا بعد أن يروه ماراً عليهم في طريق  
 العودة

العمدة كان ابن عم «على السايح» وكس يوب عنه في رعاية  
 مصالحه في غيبته في يوم من الأيام ذهب أولاد «على السايح»  
 إلى عمهم العمدة يطلبون قمحا لبعدهم، فقال لهم في جاء

«هل خفتكم ونسيتكم؟ روحوا لايبكم»

ذهب الأولاد إلى أبيهم في الجبل فقالوا له نص الكلام، حمل  
 «عسى» رشاشه ونزل من الجبل إلى دار ابن عمه هراً واقفاً  
 فأسرع العمدة بإغلاق الباب ولكن الصرب استمر فإدا بقفل الباب  
 يجلع من مكانه ويدخل في صدر العمدة، مع ذلك تمكن العمدة  
 من شد التليفون للمديرية، فلحق به العسكر وهو خارج من البلدة  
 في طريق الجبل بين رهط من أعوانه، هجموا عليه فراح يبادلهم  
 إطلاق الرصاص حتى كرمهم جميعاً فاعداً اثنين حاصره من  
 انقلب وصوباً عليه حتى جعلاً جسده كإفترالاً

بموته تسرح أمي، حاف من الخفارة، أصيب بالتعبية والبرطوبة،  
 حياءه والعياذ بالله «فكر» في رأسه جفف عوده وكسر شوكته،  
 فاشتغل مع عمال الكهرباء في معسكر ستة وعشرين الانجليزى،  
 فم بمص حول واحد حتى وقع عليه اللقص الكبير الذى يركبون  
 من موقه النواسير، فمات في الحال مات يابوى وتركا يحسرة لا  
 وراءاً ولا قدماً

## الله واحد أمرى هي المبتدأ والخبر

شهور طويلة ونحن جوعى أى والله يا بوى ان قلت لك ثلاثة  
شهور تقول كدانا الحق أنها كانت ستة، مائة ليلة ويوم إلا  
عشرين، الذى ثبت فيه مصبح فيه كل فتلة خيط كل قطعة خشب  
مثل شيء فى حورتنا يصلح للبيع بعداء بغدوة معشوة محرم  
الطون بعدها أياما وليالى.

يقول أعمامى الفقهاء؟ لقد فعلوا الزلح طمعا كثر خيرهم، أكلنا  
على حسابهم أياما لكنهم هم أنفسهم كانوا محتاجين للمساعدة  
نكث عنى باب الله العبد وسيدى معاً، لم يكن بقى منهم سوى عم  
واحد ضريع، بعد أن كانت صبيبة الشاي والقهوة تمر على  
سبوحه أكثر من مرة أصبح لا يقدم لهم حتى جرعة ماء، بل كان  
يركهم يجلسون كيما اتفق، بل كان ينتظر منهم غمرة يد دافئة  
احسنة عند اصرافهم وكان يوحى لهم بحركات يديه أن  
معلوها فاداً فملوها بحسن نية عصب واحتاج هياجا عاصفا  
بهم بأن يعطيهم درسا فى احترام العلم ومن يحملونه، فاعلم

رسالة سماوية وليس هو إلا ملكها بها والاجر على الله يقضه  
منه سبحانه عاجلاً أو آجلاً وكذا تأجل الاجر عند الله رادت  
قيمته " نفس الكلام الذي كان يقوله للعمة أيام كان الخير يجري  
في يديه!

المقصود: تكوينا في الدار لا يعرف بلوانا إلا ذو الخيمة الزرقاء  
التي تظلل كل عباده امرأة حالك ياولدي قلبها سحن دائما.  
ودماها ناشف لا يستطيع الرمي كسره ولو كان حديدا تذهب  
تساعد بعض الجارات في بعض الأشغال، في الحيز لقاء بصعة  
أربعة، في الطحين لقاء حفنة من الدقيق، في الذبيح والطبخ لقاء  
طبق من الطعام، كله ينفع، ولكن لوقته محسوب، فما العمل  
يايوي؟ البنات عندنا لا تشتغل، يموت جوعا ولا يعرضهن  
لليلة ساعة واحدة عبد البأس. أحي الوحيد طفل رهيب ياكبدي  
الدور والباقي كله على أنا، هذا ما كنت أقوله لنفسي وأنا أتكور  
على نفسي منحشرا في القاعة بين اخوتي..

أنا عشر عاما كان عمري وقتها، طويلا كنت كما ترى والنيس  
فوق رأسي لبدة مفصصة للوراء وأندو رجلا لا ينقصني من  
صفات الرجال شيء لكي اشتغل مثلهم وأشقى مثلهم، ولكن فيم  
أشقى وأتعب؟ لقد كان أبي رحمه الله يملك القوة ويلف يبحث  
عن يستأجرها لقاء سحارة ها أنذا - أبطا - أملك الشباب ولا  
أعرف كيف أملك أبطا وحدها فمن ياترى يملك هذه البطون التي  
صمرت فيها وسحبت البصر والصوة من عيوننا؟!

امراة حالك تدفسي في كفتي قائلة في غيظ امزاج، وليس من  
منار مزاج ابيه، لكني أعرف سر غصنها فأقول حاصر، ثم أهب  
رافع عاراف تشوح في وجهي عاتلة ألا تتحرك ياولد؟ ألا تدع  
ما يفعله الرجال؟ متفقد حشرتك الآن بيننا؟ يا أحي اسرح على  
... لله فكل الرجال يسرحون كل يوم ويعودون بحير كثير  
سمع ياولد! أرض الصناري قرية من هنا وفيها ررع كثير! اذهب  
إسها ومات منها شيئا نأكله! إسها مرروعة قمح! حد القفة وأملأها  
عن آخره ناسمات وتعال! وأحذر أن يراك أحد وأنت تعقل هذا!  
لا يهم أن يراك وأنت مقبل بها أهم ألا يراك وأنت تسرق! فانكل  
على الله ياجدع! أكل على الله!

هل أعشك؟ أكلت على الله، حملت القفة وحرحت، قصدت بلدة  
أبو حجره القرية من بلدنا قرب الألف من العم، كل أهلها من  
الصناري ررعهم واسع، لا تحده حدود، يستأجر الأبقار للزراعة  
وبدهم ماكينات المياه تروى الخضراء معدودون لا يستطيعون  
حصر هذه المساحات الشاسعة في عين حتى ولو كانت نظارة  
معطمة. احترت منطقة مقطوعة منزوية عن الطريق، أخذت أحصد  
السلالات وأعني القفة حتى ملأتها لثمها، حرمت عائدا إلى داره،  
أفرغت القفة فصمعت كومة كبيرة شكلها مفرج قالت أُمي مشيرة  
إلى القفة أملأها مرة أخرى. قلت حاصر يالأم، واطلقت مأنطا  
العمة ومن منطقة أخرى ملأتها وعدت، فلما أفرغتها استدرت من  
أ. ح عائدا لأملا القفة مرة ثالثة بعد المرة الرابعة صار لديا  
... سيدد يصلح ضحيا لحبر عاتلة، مع ذلك قالت أُمي اذهب مرة



خامسة. وكنت قد تعبت، فقلت لها كفى يأم. فجعلت تتحايل على وتقبلني وتستحلفني برحمة أبي وأما أقول من الضيق كفى يأم. لكن اندي طلع عليها هو مرة خامسة فقلت: أمرى لله، وحملت الفتة وخرجت الدار المجاورة لنا مباشرة لدى أهلها كلبة شرسة مخيفة ولدا يعلقون عليها باب الدار باستمرار ولا أحد يستطيع دخول الدار إلا إن امسك أحد أهلها بالكلية من جزيئها وضمعتني الخطوة الثانية أمام بيت الحيران الذي كان مفتوح الباب في هذه اللحظة مما أدركني إلا والكلية قد هجمت على العرس وأطلقت أسنانها على يدي اليسرى وأحدث تجرجري وأما أصرح حتى حلمسوني منها بالعصية وخرجت أمي تلطم وجهها قائلة أما السبب أنا السبب! أه من فراغة العين! ولم تقل أمي أن السبب هو الحرام الذي شجعتني اليوم على ارتكابه..!

رقدت بهذه العصة شهيرين كاملين يابوي لا حقنة ولا برشامة ولا أي شيء سوى البصلة فوقها حتى طدت ولكن أثارها لاتراى في يدي مخلعة عاهة مستديمة

طاب الجرح لكن جرحا في داخل النفس لم يطيب، خرجت إلى الحقول من جديد أطلب الرزق في علس الطلام وألقى به في حيدر أمي أقول لها كفى يأم أنت وأחותي فاقم عندى رصاءك يأم لكن أمي بدأت تحاف على، وأما أيضا بدأت أخاف على نفسي صحيح أن ربك يكرمنى ويعيدنى إلى أمي وأخوتي سالما ولكن ما كل مرة تسلم الجرة على رأى عمي العقيقه الضمير..

فى يوم كنت أرتب لسرقه محزون علال في دابر الباحية بجواره مدرة حولها صاحبها لقعدة تبغ الشاي واسكر والدحن والحلاوه الطحينية والحيط والأبر، يجلس فيها الرجال يشتركون فى رردة شاي ثقيلة، الواحد بقرش تعريفة، لكن لا يجس في هذه البقعدة يابوي إلا من لديه قرش تعريفة، القرش لا يوجد إلا من حنك سبع من عندهم أراض أو من قطع الطرق

عيل مثل حالاتي لو جلس معهم يخدمهم طول البعدة انا ننته شعصه شئ من الدور الثالث تبقى بركة مدعى دم بكل شعصة اشئ هذه ولا قعدة الرجال، اننا كنت اتسقط أحسا المحر، من صاحبه الذي يجلس في هذه البقعدة على ادوام، كنت أريد أن اعرفه أن كان يقنى سحجي على ثمونة تر أم بصاعه ثمانية بغير سبعا أو أكلها، ولقد عرفت أن في المحر، بئشر يابوي وأنى سائل الدوى والشهد لو وقنى الله والمسالة بسبعة عهد لعدة جزء من مدرة مقطوع منى، وبقي مدرة هي المحر وبني وبين البعدة ناب خشبي لو دقرت فيه كفتي دقرة واحدة بندق، حينئذ أدخل فأحمل تليسا من القمع أو البرسيم، التليس تاع تعرف ركنية مصنوعة من صوف مدعر سبع ثمدى كلال وكل الناس عندها تلاليس، وليس يعرف أحد تليسه من تليس الآخر سأحملة وأخرج من باب هذه مدعرة مدعرة على اسراع بعد فسحة من الداخل حيث أبني لو نزعنت للشفاكل البدخلية لا تسعت الدخوة بين بسن القطن وبنيته في مدعرة نساء فيصبح ابناء مهمين إن هي أن أفنى جالس هكذا حتى يهابه لسهرة وسين

قبل الاعلاق لأنام بين الاحولة في ظل التلاليس داخل المحزن،  
فيخلقون الباب على ويصرون، وقبر أذان العجر بقليل أفعل  
فعلتي، ومن يدري؟ ربما تمكنت من العودة إلى المخرن مرتين  
أو ثلاثا قبل أن يبتيه أحد لاي شيء؟

تذكرت يابوي أن الرجل صاحب المحزن مسيحي، وكل  
مسيحي في بلاد الصعيد لابد له من «ندوي» يحميه، حتى لو كان  
المسيحي رجلا أبهة من ذوي الأملاك النواسمة و «الندوي» جربوع  
شجاع حامي القديمين، طلعت على الدنيا وأنا أرى هذا النظام في  
كل بلد من بلادنا، وكنت أحسم أن أكون ذات يوم «ندوي» لواحد  
من المسيحيين الأغنياء، فهو العمل الوحيد الذي ليس عليك أن  
تعلمه يكفي أن تكون ولدا بطجيا قتال قتلى ولك سمعة واسعة  
في اسعالة وقلة الأدب أو في الشهامة والجذعة والرجولة، ففي  
الحالتين ستجد من يسعى إليك لتكون ندويه يطعمك ويكسيك  
ويعطيك مصروف يد وجعلا معيننا من المحاصيل، وليس المطلوب  
منك أن تفعل يابوي، يكفي أن يعرف الناس أنك بدوي فلان  
الفلاني لكي يتجنسوه ويتركوه في حالة، أو يكون المعتدون أقوى  
منك فيفعلوا ما يشاءون تحديا لك وللمسيحي الذي يتحامي بنا  
النسحيون عظمة زرقاء يابوي فهذه الطريقة امتنعت خباياهم  
مع الناس المسلمين من أهالي البلاد الحناقات تحدث بسببهم  
فحسب ولكن بين المسلمين وبعضهم حينما تكون أنت بدويا لأحد  
المسيحيين وأجى أنا فاسرق داره أو زرعه أو ماشيته أو أتعرض

أه في الطريق بأي سوء فإن هذا لن يحلصك بالطبع وسوف  
تدبحر أن العسوان موجه إليك وحدك ولسوف تنتقم من شر  
انظام ما في ذلك شك خصوصا عندما في الصعيد).

دورت في دماغى فكرت أن «ندوي» هذا الرجل صاحب  
الحر هو أعرب رجل في «كوم سعيد» بل في النعام كلها عم  
«عسران زهران» الذي لا شغلة له ولا مشغلة هو في طول عرق  
الحش ندوي، وفي تحن تليس ملآن، يقول الكبار والعجائز عنه  
أن عدد قتلاه في عدد شعر رأسه الغزير المهوش تحت تغطية  
حرام حيث لا لبدة ولا طاقية تستطيع أن تلمه تحتها، غير أنه  
إهتدى في أواخر أيامه منذ أن اختاره المعلم «مجانين طرس»،  
«دويا» له، إذ بسطه وخصص له جنابين في العام واحدة للصيف  
وأخرى للشتاء كما حصص له دخان سجانين يشربه وتلاليس  
فمح ودره يأكلها هو وأمه وشقيقته العاجزة شغلته طول النهار  
أن يجلس تحت قرص الشمس فيعطى ثيابه من القمل والبق  
واسرع، عيث المحتشة في حياطة الثياب ورقعها عم «عسران زهران»  
هو تسلية كل عيال البلدة، يجيئون له من أقصاها إلى أقصاها  
مدفجوا على.. أيده!!

أي نعم يابوي، فقد كان لعم «عسران زهران» أير عجيب  
«دروم كحلة صميرة وكان عم «عسران» يصطر للمشى معرشا  
«طا» عم «عسران زهران» مرميا على الأرض وأیره مرمى بجواره  
«دور» «نهار عاطلين، ذك أن عم «عسران زهران» لم يتزوج قط،

لأن فتاة من فتيات البلدة لم ترص به يا بوى جرب حظه فى بلاد أخرى، لكن دخلته على الناس فى دورهم على هذا المظهر كانت تثير فرح الرجال وتذهب عقول السيدات، ليس بمعقول أن يرصى به رجل زوجاً لابنته، فحير للرجال أن يطل هذا الأير انجيب حراً يتناقله الناس من أن يكون حقيقة قريبة منه يمكن لحريمه رؤيته فى أى لحظة، أن أى رجل يأسوى لابد أن يحسب من أيره أدا رأى أير عم «عسران زهران» وبهد طارده ارجاب فى كل رجة حاولها حتى عقدوا نفسيته، فيربت عليه بحنان شديد فأثلاً «معيش لك رب يسمى الكريم»، وتندو الدموع فى عينيه حقيقة تكاد تنفجر أى والله يا بوى قادر ربنا يخرسنى لو كنت أكذب!

كنا نتذكر يا بوى أن نصف قتله من انبساء قوچه الناس بحشنة مرمية على بصرقات وفى بحقوق عاريات معرفت فمرعد وبكاد تقع من طوبى. نتذكر أيضاً أن عم «عسران زهران» اشتعل فى كأمب الانحيز سنوت طونة سايرة سم يكن بعض اى عم. بسا عليه أن يجس فى مكان ما على لكأمب مغرب ساقه ليظهر أيره منجمصاً، وكبوا. بسألوه أسئلة كثيرة وجواب عليها ويأخذ بقودا فى نهاية الأمر تلك كانت حسن أمانه أشدها رواجاً ولايران الناس يتكلمون عنده على أنه حال هار عم «عسران زهران» كان دائم يهوى كلامه بأنه حسن من كأمب الانحيز وحريمهم وبكل بهم إلا هو لم يقتلهم بحسب بل هراً برحوتهم

عم «عسران زهران» يا بوى ليس له فى الحقائق ولا العراك رعم صحامة حسمه، كل الناس فى العنابم قفى يعرف أن عم «عسران زهران» أقوى ما فيه أيره رغم أنه لم يستفد منه فى الناحية التى حو لها أصلاً والمعلم «مichaيل بطرس» حين اختاره بدويًا به كان ذلك لحوقه من أيره أن يفكر عم «عسران» فى استخدامه صده خاصة أن المعلم Michaيل واسع الذرة معظمها فتيات يقلى لستا «مريم» العذراء قومي لتقعد مطرحة ليس المعلم «Michaيل بطرس» وحده من كان يعمل حساباً لاير عم «عسران زهران»، إنما البلدة كلها والسلاسل المجاورة كانت تخشاه، ليس لعدم ثقهم جميعاً فى حريمهم بل لعدم ثقهم فى أنفسهم، فلو أراد عم «عسران زهران» أن يكيدهم من الكيد فإنه - فقط - يمشى مشواراً فى شارع دابر الباحية وما يتفرع عنها من حارات، يمشى قفراه وهو مقبل حيث يعوض انبواء بجليه بين ساقية مجسداً ساقه الثالث المبتورة عند الركبتين فيصيحك بالجنون أن كنت شاباً حراً، سوف يكون أول شعور يدهمك بحظتها أن هذا الفصل الحاموس جاء يتهدى أنوثة حريمكم وذكرى رجالكم على السواء...

صدقنى يا بوى أن بعضهم فكر فى قتله، لكن أغلبية كبيرة قنعت «بجميع أن قتله حسرة» فهو شىء يستحق العفوة ولكن فى مكان مغرول

صراحة يا بوى كنت معجباً بهذا العم «عسران زهران» أعجاباً شديداً كمن ثانى رجل بعد «عنى السايح» بحب لى ويستوى

على كل جوارحي وحيالي، الأول لأنه قوم الحكومة وقتلها،  
والثاني لأنه قاوم الانجليز بايزه لكن لما تذكرت أنه السدوي  
أشخاص المعلم «ميخائيل بطرس» صاحب هذا المحزن حقت منه، إذ  
هو لا بد أن يعرف يابوي، لأن «عسرا ن زهران» يسهر في قعدته  
بين الخمر وداريا، يعني لا بد أن أمر عليه من هنا ومن هناك  
ذاهبا أو آتيا، وهو رجل عكروت وصرس، لو كان في عز الشخير  
ومن بحواره من يحمل شيئا أى شيء فإنه يصحو في الحال  
ويطر فيه، ولا بد أن يعرف من هو وما الذي يحمله ومن أى مكان  
هو قادم وإلى أى مكان هو ذاهب، وإن كان عرييا عرفه في انق  
واستوقفه بشخطة واحدة ويسألون عم «عسرا ن زهران» كيف  
يتأتى له الصحو المفاجيء عند مرور من يحمل شيئا<sup>١٤</sup> فإذا هو  
يقول أعرفه من وقع خطواته على الأرض فمن يحمل شيئا تكون  
خطواته أثقل ودبها على الأرض أشد وقعا وصوتها أكثر رنبا في  
أذني التي أضعها فوق الأرض بدون مخدة<sup>١٥</sup> فكيف أنجو من هذا  
الرجل يا بوى إذا وفقتي الله وسرقت المحزن<sup>١٦</sup> من اقتله وهو  
نام؟ لا أريد مل لا أستطيع<sup>١٧</sup>.

دماعى أخذ يذهب ويجيء يا بوى، وإذا برجل قادم من عدد  
دوار العسة يقول أنه سمع الراديو يقول أن الملك هروى الأول ملك  
مصر وسودان تشارل عن العرش لولى عهده أحمد مؤاده الطفل  
والرئيس المصرى حكم عليه بمغادرة البلاد قبل الساعة السادسة  
وأن هذا الكلام مات عليه أكثر من جمعة ونحن لا نعرف يابوي

بقينا أياما طويلة نجري على الراديو فلا نسمع إلا غثوة<sup>١٨</sup> مع  
الدوار ع الدولار .. راديو بلدنا فيه أخبار ..

وأخيرا وصلت الأحبار يابوي، عرفتها من يفهمون كلام  
الراديو أخبار مفرحة يابوي وفيها أشياء لا يصدقها المرء، حيث  
أن البلد انقلبت جمهورية وجاء العصر الذي يرفع انفقراء، لم يعد  
هناك باشا ولا بك ولا اقتاع، قلما سألتهم «اقتاع يعنى أبة  
بالدينا؟» قالوا لى يعنى أرض النصارى وأمثالهم من المنسمين  
ولسوف توزع على الفلاحين الذين يررعونها !! وقالوا كذلك أن  
التعليم صار بالمجان وأن كل الدس مثل بعضهم أمام مراكز  
التوليس والمحاكم والحكومة<sup>١٩</sup> قلت يا أسيادنا قولوا كلاما غير هذا  
يصدق المرء<sup>٢٠</sup> قالوا كنت بهيماء وأذن الله أن تصبح آدميا فأفهم  
ناجم. القصد أى بقيت شهورا طويلة لا أصدق هذا، في كل يوم  
أرسل جرة في الهجوم على الصقول وزرائب المواشى وقطعان  
«بعم فلا أحد من يردني، بل كان يصادقتي من يراس عاتدا  
بالسرقة مصطرب الخطوات معثر النظر فلا يهتم بي قد يطر لى  
بطرة ذات معنى ثم يحول وجهه عنى ويمضى في حال سبيله

وسمعت أن ملاك الاراضى يوزعون اراضيهم على اولادهم  
وأقربهم كتابة على الورقة محسب حتى لا يزيده ما يملكه العبد  
من ماله هناك. قلت حلو ثم لاحظت أن اولاد الاغبياء والباشوات  
والسكوات اكسرت شوكتهم وانتوت وجوههم وهجر الانتسام  
ثم فهم فقلت يظهر أن كلام الناس صحيح وأن الله قد أس بقيام  
من في هذه الدنيا على أيدي هؤلاء الذين يسموهم بالثورة

إلى أن جاء يوم رأيت فيه بعض الحدم يصعدون آدابهم عن  
مداءات أسيادهم' وبعض انفلاحين يتجحدون في مواليتهم' وبعض  
العلامة يرفسون وجوههم وربما السنتهم في وجه عسكري  
البوليس بعد أن كانوا يلعبون له أزرار سترته' وبعض القلاميذ  
الفقراء يتعذرون بجرأة مع أولاد الذوات ويشتمونهم بساطة  
فقلت في نفسي الأمر إذن صحيح يا ولد ومن يومها شعرت أن  
الدنيا قد اتسعت أمامي والدار التي نسكنها غير سقف صارت  
قصيرا صرت أوسع مثلما يفعل الحلق من أمثالي، أتناهى بأسي  
فلاح ابن هلال وأنتى صعيدى، أليس عبد الناصر كله من بلدنا؟

اندى جاء في دماغى أيامها أرى يجب أن أسافر إلى مصر، ولم  
أكن أعرف يابوى أن اسمها القاهرة، لكنى منذ جعلت أهتم بسماع  
التراديب كلما تواجدت بجواره، كنت أسمع اللذيع وليس في منه  
سوى كلمة هذا القاهرة! هذا القاهرة! هذا القاهرة! قلت وما  
القاهرة هذه يا جندعار؟ قالوا أنها مصر يا بهيم! التي فيها سيد  
الحسين والهرم والسيدة ربيب والإمام الشافعى والأهر  
الشريف صحت، فأتانا الذى تخرج فيه أعصمى وأحدوا شهادة  
العالمية؟ قالوا: نعم، قلت: والله لآسافرن، قالوا: تسافر أنت إلى  
مصر يا حسن يا ولد، حميدة؟ قلت أعصامى من قلبى سافروا قال  
«برعى» ولد الفرطوس مصر لو رأته انزاحت عن مكانها ورجلت  
وقال «هادى» ولد «محيمر العيان» والله لتعرق عصبكوا حتى  
مرحوا على الحق قلت لنفسى وهل هذه مشكلة؟ وتركتهم

و«بصرفت»، ولكن صوت اللذيع فى أذنى ليل نهار يصيح في  
صحر كبير " هذا القاهرة! فأكد أصعب سبل حساسى من أسناني  
وأطلع عليها نكن ذلك أخذ منى وقت، ذين جلياسى موضوع بين  
أساسى على الدوام وكما فى موسم انقضى، أهجم على مفارش  
لجمع فادحرج ركبتي إلى مخبأ آمن ثم أحملها وانطلق أو أملا  
حجرى مرات عديدة، أكرسى الله و«هوش» ما يريد عن قطارين  
وفي إحدى الليالى جئت بتاجر من بلدة بعيدة عابى القطر  
واشتراه بمبلغ حلو أغرامى بشراه محفظة بسلسلة مشبوكة فى  
عروة الصديري، فرحت به أعظم لفرح وقلت له أن شاء الله  
تطيل عامرة، وقلت لنفسى شيء ممتع أن يكون فى حيب الواحد  
محفظة والأمتع أن يكون فى المحفظة بقود، وكل الناس فى  
حيوبهم محبض ولكن ما كل محبض فيها بقود، أما البقود فى  
أكبر النجار، ومفروطة فى جيوب ملان الأطلس، ومكومة فى  
حرائش تحت الأرض..

جائنى الهاتف أن لى لقمة عيش مقسومة فى مصر القاهرة  
التي فيها الثورة ولجيش وفيها الحبر كله وانعيم كله دخلت على  
أمى قلت لها كم يكفيك يام أمى أن يحرسه لى عيشا فى مصر؟  
«ت يكفيا ما يرق الله به قر أو كثر أخرجت المحفظة فمدت  
أمى كفها وسحبت زغرودة امرعتنى وفرحتنى أخرجت من  
لحظه حنيها مدبه نحوها وثقا بها سرعص فرحا به وحده  
معترة أنه فصل وعدل، نظرت فى عينيها فرأيت هذا فسحبت

الجنيه الآخر وشرعته نحوها. مالوش تانى قالت باسمه  
الجنيه قلت صاحك بل الله ياويله ورحت أعد حتى خمسة كنى  
هذا يالأم سبطت دراعيتها رافعة كفيها نحو السماء صائحة أن  
شاه الله ما اشتبهك' الأهى يكتب لك فى كل خطوة سلامة يا حسن  
يا ابن بطى' الأهى ما يشمت منك عدو ولا حبيب' الأهى يرزقك  
برزق اليتامى ويوقف لك ولاد الحلال حد من قلنى وهى!

شعرت يابوى كأن بدنى كله يرتعش ودنى يفور صاعدا نحو  
السماء براسى أحوتى ابنتا تحلقن حولى صرن يطيرن لى فى  
فرح وبهجة وفى عيونهن رغم ذلك حزن كبير يابوى أختى  
الرصيع يتسلق أكتافى يهبشنى بأصابعه الطرية ذات الرائحة  
اللبية الحلوة فاخذت أقبله فى فمه فصار يعمصص فى أنفى  
بضراصيره مشمرت كائناتى الآه وهم جميعا أبائى معافست  
الدموع من عيني فمسحتها ضاحكا بصوت عاى وقلت لأمى حدى  
يا أم' ليس حسارة فك ولا فى أحوتى' صرت أعد حتى اكملت  
العشرة جبهات، وتركت الحافظة تتدلى من سلسلتها كراس  
ذبيحة دالية، ورفعت راعى وقلت لها ما كنت أسمع دأما من  
عمى الأكبر الشيخ «علائ» أريد العليا حير من اليد السفلى يالأم'  
هد كل ما معى من عقود وهى لك. لقد رزقت الله بها وكنت أنا  
مجرد وسيط وهألمدا قد سلمت الأمانة وما عليك الآن يالأم سوى  
أن تعطنى أجرة السكة الحديد لأتوكل على الله من عد إلى مصر  
إن أهبطنا المولى الكريم وأعطانا عمر! فتحت أمى فمها وصارت

تفكر ومن مرحتها لم تدر ما تقول وكانت أختى الكبرى «سلمى»  
حاسة نسية نفسها من جزء كبير من وركها رفعت عيني عنها  
مستعصا فسقط بصرى على جدعها الممتد وصدره العريض  
ممتلىء فوقه بداحنى مارد من الحواف نظرت برعى إلى أختى  
النادية «مدووه» فرايتها فى الأخرى عروسا تكاد تتفوق على  
«سلمى» وإلى الثالثة «سعدية» فرايتها تملأ الغل رافعة وتقبل  
بالكور لتغربه من الزير فتندو وكأنها تشاغب حراط البت  
امضبيث الذى يشكل مؤخرتها فى كل ميلا باستدارة جديدة  
ويبحث خصره فى كل استدارة سحنة تفرق المسافة بين  
خصرها وصدرها اناعر ويطيل من رقبتها السريحة المنرومة  
ويدهن وجهها البيضاء كما يدهن وجه العطير بالورد والقشدة  
ويوسع من عينيها السوداوين تحت العصبية المشغوبة بالغل  
والترتر وبحثت عن أختى الراحلة «هندية» فوجدتها قابضة قرب  
الباب منهمكة فى صنع عرائش الطين وكانت الدموع تريد أن  
تصمط على عيني يابوى، لكن ولدحك سيد من يكتم الدموع  
عندلت أختى الكبيرة «سلمى» وقالت لأمى اعطه خمس جبهات  
بحلها يالأم' فسوف يتغرب وليس له من سند غير الله والقرش  
لأبيض يفع فى اليوم الأسود وليس أسود من أيام الغربة يالأم'  
وقالت أختى «مدووه» بصوتها الداعم الدافع إلى الكاء باستمرار  
دور أن ينكى ليس حسارة فيه يالأم انه انرجل وهو الذى يأتى  
بها وقالت أختى «سعدية» بصوتها الرجولى الجميل ومن بين  
شفتيها العليطتين رسا يخليه لسا دملاب من اله غير صحته

ونفسه في الدنيا أما أختي هندية، فقد استدارت نحونا عائدة  
تسمح يديها في ثوبها ووجهها كله عبارة عن سمة لاهية كان  
شيئاً لا يدور حولها ولكن في عبيها طريق الانتظار لأي خدمة  
يطلبها

يومها أكلما ذكرنا من الأوز المرغط من شهر مضى. ومن  
صبيحة ربنا صررت هدومي كلها في جعة من الورق مكتوب  
على وجهها شاي رورو ولها مسافة من الطرفين من حيط مبروم  
طون يمر حلال كسولات، كنت قد اشتريتها من مود القبانى  
بقرشين من خمسة وعشرين قرشا بشلتها من فلاح شارد ذاهل  
داخل للملاهي عمرتني أمي بصديهي مطويين أربع طيات وقالت  
لي ربنا معاك يا ولدي، ثم احتصصني وقللتني قالت أختي  
«سلمي» وهي تداري الذموع في عبيها وتتمحط في ديل جلبابها  
حل نالك من نفسك يا حوى لا تحتلط بالآلاد الحرام وأهل السوء  
فقلت لها كله على الله يا أختي، ثم احتصنها وقلتها وقالت أختي  
«سمدية» بالسلامة يا حوى ترجع لما غابما ثم احتصنتني  
وقلتنى وقالت أختي «مدهوئة» وهي تمنقل صوتها وكلامها  
خوف الانعراط في البكاء مع السلامة يا حوى، وأعمصت عبيها  
«مركنى» أقلها على جيبها وحملت أختي «هندية» جعة الحلقات  
وهلت وهي لا تزال تشتم سابقاك على أحطه يا حوى فمرعت  
لجعة من يديها قائلاً والله ما يكون أبداً من محطة السكة الحديد  
بعيدة في بلدة أخرى ولست أم عيك الزحوع وحرك، ثم

احتصنتها وقلتها، ووليت وجهي نحو آليات وضرجت، وبقيت  
«...» مسنيتين على الهواء في الطريق لا ترمشان خوف انهيار  
الدم لكسى كلما صادفت أحداً في الطريق رفعت دراعى بالتعبه  
«...» أن انظر إليه صائح أشوف وشك بحير، فيقول لي مع  
السلامة ربنا ويك

ألفت نفسي على كرسى القطار بجوار الشباك وجعة الهدوم  
على ركبتى، فلما صفر القطار وزحف، ورجعت إلى الوراء كل  
معالم البلدة أنهر الدمع غصياً عني، فأغمضت عيني وتركته  
يسبح كيف يشاء، حتى نمت، وكلما فتحت عيني ورأيت الأرض  
والعمره «تلبعون» والشجر يتراجع خلفي دحت وعظمت في أسوم  
من جديد حتى صحاني واحد من الصعيدة قائلاً أبا صرنا في  
باب الحديد، قلت وما باب اسديد هذا يا ولدي؟ قال بوابة  
الدخول إلى مصر من اللحظة، قلت من وصلنا إذن إلى مصر؟  
قال حمد الله على السلامة، صمتت قليلاً من فرحى هذا القاهرة  
سبح كل من في عربة القطار وإراحوا يتساقطون على الرصيف  
ويدهسونني ببيهم وسط زئيط هائل وأرصفة عديدة وسعف من  
الحديد والجلون وكمسارية وشبانين وباعة حراث وقول  
وداني وحلويات وشائ وكأزورة وماسحى أحذية وزينة  
وربسة، فلما همرت في الخلاء كانت يدى قد أمسكت بالورقة  
«...» وفيها اسم رجل يديتى بعمر مفاولا للأفكار هدا ومفر  
فله جس المقطم

## ماله من ثان

### الأولة . مقابلة شخصية مع الدنيا

دسى أولاد الحلال على جبل المقطم ولكن احدا لم يستطع أن يدلنى على بلدياتى. ابنى وأنا أسأل عنه بين المعلمين عثرت على بلديات آخرين كثيرين، منهم رجل من بلدة «أولاد ابياس» شملت نكسير الجبل بالديناميت. قال لى: «تريد تشتعل؟» قلت «نعم». قال «كم تطلب أجرا؟» قلت. «لا أعرف» قال «أعطيك عشرة قروش بحالها» قلت «تشكر» قال «نعمرف هذه الشعلة؟» قلت «أعلم» قال «شفلتك معى أن تحمل قطع الحجارة فى قعة وثقلها إلى بعيد» قلت. «ماشى! ريتا يعينى»

دور الثالثى الثالث فالرابع عشر، حاءت انظهيره وتلدس ساسى من العطش، وصرت أحرجر قدمى وأتألم من ورم ييبقى على سطح دماغى، والرجل يظفر لى صاحك هات يدك يا ولد عمتى، تحسس هذه البقعة فى رأسى، هذه صبع أصمبك مكان أصمعى هذا فوق قمة رأسى بالصند، فما هذا الذى تلمسه يدك؟ انها دماغ من متجمدة فوق رأسى اليس كذلك؟<sup>١٥</sup> انها من أثر الشيل



في يوم واحد هو ذلك اليوم الذي أنهيت به الضالين، ورحلت أشرب  
 جرعة ماء من عند رجل آخر مجاور، شغلته نفس شغلة صاحب  
 قال لي أنت مدين يا شاطر؟ قلت من افتاني يا أبا قال أحسن  
 ناسا تجيش تشتغل عندي؟ قلت وهذا الرجل الذي اشتغل عنده؟  
 قال لا يهمك منه، سأعطيك ثني عشر قرش في اليوم ولن يحمل  
 دينا، سمسك في الغنم أثناء ما أشنع. قلت إن كنت تحمسي  
 من الرجل الآخر أهلا وسهلا قال جلدتها على الهة المقصود، نعم  
 في محجرة ذلك المساء، في الصباح اشتغلت معه، يوم يومان  
 جمعة شهر أربعة أشهر، أرى بين يدي مائة وخمسين قرش  
 أرقص من الفرح إلى مكتب البريد أرسل المبلغ لأمي.

غير أن الرجل تغلغل بنوي وسائق لنوم علي، بدأ يشيلني ففبت  
 النديش هو الآخر حتى أصبحت رأسي الرجل كان يسكن في حي  
 اسطبل عترة بجوار دار السلام على حط المعادي من الطريق  
 ابرر غي وقد أحسن اسر أبوي التمتع منه فأرد أن يستقبلني  
 بصيغة بطرمة في أي أسس بدت بنة في اسكن ياولدي فبت  
 لذي قال، تسكن في اسطبل عترة؟ قلت أسكن في أمي زيد  
 اهلالي نفسه قال، اليوم تذهب معي إلى البيت

في حارة تبعد عن الحارة التي يسكن فيها بجوالي خمس  
 حواري فخرجني على عشة مدفونة بين صف من العشب مليئة  
 بالبرص، وأشهر - اجارها حمسون قرشا في الشهر، بنت بركة  
 ورشي، وبنت إليها حبة هدمي، وفي الصباح اشترت حميرا

ومعدة وبطانية جيش قديمة وقلت بنفسي هألت قد أصبحت دا  
 بيت في مدينة الحسين والأزهر والسيدة.

كل يوم أهوت على عربة من عربات الفول «أشعط» ثلاث أربع  
 أرعة مع طيق الفول أبو ريت حار وحزمتي النصل فيحبل لي  
 أسى قد صرت أنا ريد الهلالى سلامة، وأتكل على الله صاعدا  
 اسجل لأتقيد مع الشمس في فتحة الحجر وفي طريقي كل يوم  
 امر على انكوريش لكي أفرج عليه فأرى السماكين في مصر  
 القديمة يعرفون باسماءهم صامعين سوا كخيرة منظرها  
 يفرحني وكانوا كلهم يبيعون. وكنت في الأساس أفكر في شراء  
 سمك أكله، لكنني صرت أدمى العربة ولا أشتري أبدا، إلى أن  
 وقعت ذات صبيحة أفرج على رجل وهو يظل ربيد السمك إلى  
 عربة بق وكان يحمل وحده فلما رأي قال مايدك معاية وأسى  
 مايلديا فشمريت ثوبي وحملت معه الرنيل، ثم ساعدته في غيره  
 وغيره حتى أبسط مني وقال لي تشتعن معي؟ قلت تعطيني كم؟  
 قل أعطيك ريال في اليوم، قلت قليل قال خمسة وعشرين قرشا  
 ولا ملين بعدها قلت على بركة اله قال فأركب فركبت حواري  
 السائق وانطلقت بنا السيارة إلى المعادي، حيث يوجد لهذا الرجل  
 محن كبير بييت فيه الأسماك.

نص أنا قيراط، أما هو فأربعة وعشرين قيراطا في اللصوصية  
 أي والده يا حال، تعلمت منه الكفت يا حال. مهمتي كانت الجلوس  
 أمام حوض السمك الذي يشبه قدرا من الألمونيوم، أنصص على

الرياش وهم ينتقون الأسماك ويصعرونها في القراطيس قبل الذهاب إلى الميزان الذي يقف المعلم قصاده. وكنت أظن أن واجبي نهر الربائن ومعهم حين أراهم ينتقون السمكات الصاحبة كلها هي قراطيسهم، حيث أصبح فيهم قاتلا ومن الذي سيشتري هذا السمك الصغير بعد بقاسته البيع عندما كله في رقاب بعضه الكبير يزن الصغير. فبعض الربائن يصبح في محتجا، وبعضهم لا يسأل في وينتظر فرصة الصياح فيملا قوطاسه بأطيب ما في الحوص من سمك، فأصرخ فيه منها أسي لست نائما على عيني، وأقف مسرعا فأخذ القوطاس منه وأدلقه في الحوص. حاجات طريقة ومسلية كانت تعجني فأفعلها بلذة كبيرة هنا يشحط المعلم في - لروم الصبغة وتقان المعلمة - يأمرني بأن أترك كل واحد ينتقي على كييفه، صحيح أمسا سبيع السمك المتبقى باخسارة ونكس الرياش في النهاية هم ربائنا والمحل معلهم'

شيئا فشيئا بدأت أفعل عن الزبائن وأتبعه إليه هو، أراه ينتقي للربون نفسه ما يختاره الربون، ويأخذ القوطاس ويستدير معطيا لنا ظهره العريض وأصعا القوطاس على الميزان، فإداه رغم امتلائه يحتاج لسمكة صغيرة حتى يكتمل الرطل، أو معها أخرى كبيرة مفرية ليصير الوزن رطلين ونصف في حين أن الزبون طلب رطلين فقط، لكنه أكراما للسمكة الكبيرة يقبل الزيادة يعطيني المعلم القوطاس لأضع عليه ورقة أخرى وأطوى عليه حوافه أنظر في القوطاس فلا أجد سمكات الكبيرات الكثيرات

١. رأيت الربون يحشرون في القوطاس حشرا، فأتحول وبروح حتى يصرب بقلب.

المعلم لم يحد معرا من تعليمي سر المهنة لكي أتصرف إذا ذهب هو إلى السوق وقصص المشاوير تعلمت منه أن أول شيء أفعله بمجرد دخول الربون، أن أسارع بدمم قوطاس كبير واسع ثم أضع أمام ميزان موضوع على بنك عريض وحوله الصبح، أترك الربون ينتقي بيديه ما يشاء من الأسماك الكبيرة، وبحفة يد الحوى أكش جابيا كثيرا من الأسماك الصغيرة الميتة وأملأ بها قمع القوطاس جاعلا رهوسها في القاع ويدولها في الحلاء، وأدفعول الربون كفي، أستدير نحو الميزان معطيا للرياش ظهري فأردا كوعي قدر ما أستطيع، وفي لمح البصر تكون يدي قد سحبت السمكات الكبيرة من رهوسها وتركبتها فتصرب إلى مد ميل كبير موضوع تحت البنك. أعرف طمعا أن الربون عندما يصل إلى ناره ويرى السمك سيرتاع لأنه لن يحد سمكه واحدة مما انتقاه. فإذا فكر في الرجوع لي فن يخلص مني، حدودهم للصوت لثلا يعلبوكم، أصرح فيه الهية وأدهيه أفرج عليه أمة محمد، مذكرا إياه بأدبي وربت ما أعطاه لي نفسه هو في الغالب لا يرجع، وبمعصهم قد لا يلحظ. وأن تكشف لي أن الرجل الذي استكردته مهم ويمك قدرة الإصرار بي فاسي مصنعة لطافة أبيه واشترية، أغسله وأكويه، ولكن بالادب كله بالادب يأنأ، أمال تقول لي كيف أشمره وأطويه أعسبه وأكويه أبيه واشترية"

الأمر بسيط يا بوى، سر التجاح هو الأدب حتى لو كان أدبا مزيفا لا أصل له ولا فصل. نعم بإسعادة البية' أنا متأسف خالص بالعدم! لعنه قرطاسك تاه فى قرطاس آخر فصل طريقه إلى فارغ غير رضى به على عياله' وفى هذه المرة أرى له ما يختاره بالفعل وأعيد فحوصه عليه واحدة ومواعدة ومع السلامة بإسعادة البية ألف ألف سلامة يا أعدم دا محك وأنت تأمر والغالى يطلع لك! سواء لدى أن فهم سيادته أمسى أكل بعقله حلاوة أو لم يفهم عليه فى النهاية يؤككنى عقله بإرادته مزاجه ويكون على قلبه أجلي من انفسل. البرايز والشلنات تتدافع نحوى بغير حساب فى كل مرة يضى فيها وأنا نازل فيه أكلا بالطول وبالعرض وبالأكوسى قبة ومساحة" إن أعطيقه شمينتين اثنتين شيلته على شرعها خمسة ستة أرتال سمك لا يمكن بيعه وحده ولو بالنجار مع أننى بعته له بسعر الثمين العالى يدفعه صاعرا وهو يقول سبحانه الله والحمد لله! الدنيا يا بوى تحب الشطارة والأوطة وهذا ما بأن لى فى القاهرة فاه منها ومن أهلها أه!.

تصرف؟! هذا الدرس - صدقنى يا خال - هو الذى حيبسى فى هذه البلدة وكتب لى عيشا فيها أنه درس غويط يا خال، غويط من هنا لحد الصباح، مهمته وحدى، بالفلولة قل بالبركة والنكال على اله يجوز، إنما وجدتنى ذات ليلة مكنته بالضباب الأسود العطيس، وأنا داخل فى عشة فى اسطبل عسمر على مرسى النيل تبيع الشاى والدخان المعسل، وكنت أشد النفس من الجورة بعمق حين

«و الدرس فى دعائى كأنه المعنى كأنه الآية المزنة، وصوت كأنه سوسى يعمرسى فى حنى قائلا احية لم تتغير يائيا على! لا تطن نفسك انتقلت من حياة للتشرد واللصوصية إلى حياة اسحصر وندبته والثورة الاشتراكية المباركة لا! لا يا حسن وألف لا! ان الحياة فى الحياة فى الصعيد أو فى القاهرة، بن انها فى القاهرة أطلع، السرقة فى الصعيد تتم فى ستر وتكتم وبسوسة تهدر فيها الدماء وتطير الرقاب" أما فى القاهرة فالسرقة تتم فى وصح تسهر عيانا بيانا على عينك يا تاجر - أقصد يا بويس! غير أن السرقة هنا فى القاهرة يا خال سلاحها الأوطة والنعمو والميوعة' الحشوة لا تفعل هنا! سوف تجرح الآخرين وأنت تعد بيهم إلى اعراضك فليقطونك أو يضطون عليك يقطسونك' دعومتهم كعومة جدران المعدة قوية تهصعك تحولك إلى خراف يتبررونه فى ابحارى والطرقاات وهب آخر مثلك يطف وراههم!..

ولد خالك يا ولدى ابن ناس طيبين كما تعرف لا يغيرك أنه طول يده على بئاع الناس وسرق من عيطان الصعيد انطاحة بما يستحق أن يسرق. أنا فى النهاية ابن أعمامى الفقهاء وفى عروقى وقلبي الكثير منهم، أعرف الله مستلهم وكنت صبيا أسرق وأما صائم فى عز الحر، وأصون الأمانة والله يا خال، المعلم السمك يترك لى محله اليوم بطوله وخبي يضى يفرغ الحصالة فى حيويه ويبصرف واع حضرتة، يعمل على واعيا! إن كان واعيا قيراطا

فأنا اسمها وهي طابرة والأمر على هذا النحو يا حسان ما الذى يدعو رجلا كهذا لأن يثق فى كل هذه الثقة مع أنه لم يعرف أى شيء عن حياتي؟ إنما هو يضرب عصافيرين بحجر واحد كما يقول عمى الكبير، يوهمنى أنه يعطينى الأمن لأكون محل ثقة ويوهمنى من ناحية ثانية أنه لا يعد ورائى فيعبرنى أن أستغفنه حصرتة لم يكن يعرف أننى موقن من أنه يزوى فى ركن قصى ويعرف جيوبه وبعد العلة بالمليم، مثلما أنا موقن من أنه سيجدها بالمليم كما حسبها

نات يوم جبرنا الله وشطبنا فى بحر ثلاث ساعات، جاءت الغلة بعلات وهيرات وبقي من السمك حوصا صغيرا اعتبره المعلم رائد عن الحاجة بيع أم لم يدع ماصرف أعلم إلى بعض شابه وأوصانى بأن أتصرف فى هذه الأسماك كيف اتفق بأى ثمن، فإن تم لى ذلك أغلقت الدكان وأنصرفت قلت: الله معى، جلست هب للبنى هجعت ارباثن هجمة ثانية، عيبى ثلاثا! عيبى أربعا! عيبى خمسا! أخذت أبيع بنفس الطريقة التى علمتها صاحب الدكان، بنفس السعر الذى بعد به التمين فى مطلع النهار، حتى ادحرت فى النهاية حوالى عشرة أرطال من سمك متفنى جاءت من نصيب امرأة عندورة سحرتنى بعينيها فأبررت لها ما أحفها تحت ورق الشجر الأخضر، تحاملت يدها الملاءة فاعرطت عن قوام كالفرس لهلسى فكشعت الورق الأخضر هيأت طلاقات الأسماك

• صومه بمائة كائنوج المتلاحق قاتل نكم؟ قلت بالصلاة على اربى مالت اسم صر ومارك عليه وكطفل يحشى من لس لوحة • صومه فى معرض مدت اصبعها حلقة ولمست احدى السمكات اربى سريعة وعالت زن هوزيت، وأعطتنى ما طلعت وتركت الفروش المتبقية إلا وصاحب الدكان قد أهل باحلا، كانت نقود اربى لا تدرب فى يدي حين دحر صاحبنا إلى الحصلة، اذا به • عها فى جيبه ويعضى قائلًا يلا شطب بقى وقفل على الدم فى عروقى وصعقت نقود الولية فى حبيى وقلب استنى صشار • حبي مفتاح دكانك قال دهشأ مش حتفتح بكرة؟ قلت ان أحيانا رب ورائى مشوار لحد الصعيد وأغلقت الدكان وسلمت له المفتاح وصحيت

فى المساء جاءنى فى المقهى التى يعرف أبى بدأت أجلس عليها فى اسطنبول عنتر مساهبها من بلدة مجاورة لبيدنا ويعرف اعمامى منذ صغره، وكانت خطابات أمى تجيشى على هذه المقهى، وهى مقرئ الذى يسأل فيه الناس عنى ويستدلون منه على أصلى وعصلى أول ما شعفت المعلم اسمك مقنلا قمعت إليه وطلبت له الشاي والذى معه ثم قلت له «شوف يا حجاج! واجبك تاحده لكن شغل عندك تانى لاء لمارا ما السب؟ قنت «هكذا! أنا الآن حاضع ناشيطان الأمر بعدم الشغل وأى كلام فى أمر الشغل لن يفيد» سلم على وانصرف

جلست ممعصا يابوى وأنا فى أتم سعدة وضعت رجلا على  
رجل أحدث أطرحها فى وجه الرمن سرح دماغى لطشه الهواء  
نعشه شعرت بلدة كبيرة تفلصت من هذا الرجل اذ هو لص  
وحلوف لكن ماذا سأفعل عده؟ هذا ما لا يريد دماغى أن يكلمنى  
فيه الا ان عابته، فعت من لحطتى إلى محل شكله خواجاتى فى  
حارة قصية من حوارى مصر عتيقه، أشتري منه رجاجة صغيرة  
يسموها الحمسية وهيا حمزة يقال لها الكوبيك، وعدت بها إلى  
بلدياتى حيث لرمث الطلام المكوم فى أقصى الرصيف فى دورة  
كثك السحائر، جلست ممعصا وكل حين أفتح الرجاجة وأرشف  
مبها رشقة وأقرقر الفول السودانى مايريت كم الساعة حين  
انتهيت إلى أن الرجاجة الغارعة قد أخذت تكرر على الأرض رائحة  
جائفة حسب اتحاء الريح، كنت سكرانا بحق ولكنى منته إلى كل  
شىء، أردت أن أؤكد امتناعى ويقطنى مبهمت واقفا ومصيت  
بصع خطوات وأمسكت بالرجاجة فوجدتلى أفف بها جانرا فى  
وسط الطريق، فالتفت بها إلى بعيد وهدفى أن تسقط مباشرة  
ماحكام النشان فى قلب صفيحة قمامة معلقة فى عامود نور من  
خلف هديم، الا انها اصطدمت بالعمود وهوت على الأرض هشيما  
فجلست ارتعش ككفل صمير أتى ذنبا عظيما لحظتها رايت المعلم  
«شدويلى» صاحب المقهى يرض كراسيه فوق بعضها استعداد  
للتشطب وكنت قد رايت السعك أثناء انصرافه قد انتحى به ركنا  
وراح يحدثه فى أمرى وهو يهز رأسه فلما لم يعد سوى الكرسي

أدى اجلس عليه سحبى هو كرسيا وحس بجوارى ومد يده لى  
«جاجة» تقبلتها شاكرا وأشعلت له ولى، شعشع النفس فى  
«شديلى» عذبت المعلم «شدويلى» بقولنى «الست بلدياتى يا معلم  
«شدويلى»؟ قل «بعم» «هن فى هذا شك يا أبا على» قلت «تعب  
ار الحيرة» «تعرف أننى اس ناس طيبين أم لا؟» قال وهو  
«موزنى بعدساية أقيون:» «ربما لا تعرف أهك أكثر ممى..» أسألنى  
ار «بعم» قلت «يعنى اذا ميلت عليك دات لحظة وقلت لك يا معلم  
«شدويلى» سلعى عشرة حنيهات فهل تأمننى وتفع؟» قال  
«شوحا فى وجهى «لو عيل من عيالى يا أبو العم» قلت - ولولا  
شعشة الخمر ماجرؤت «أنا يا أبو العم محتاج لسبوبة» دب يده  
ابحشية فى حيب الميلة - التى لم تكن ثليق على شكله وقوامه  
السعيدى أبدا - فأخرج ورقة بعشرة جبيهات لكرسى بها صانحا  
«صوت جهورى» «على دركة الله لعلك تشكر بها مثلمنا أنت سكران  
الا» «فأعفت فى الحال يابوى واعتدلت، قلت له «من على يا أبو  
«م» لكن أطمئن على» قل «أنت حرة» ثم أردف «كل انسان فى  
«الحياة معلق من عرقوبه» قلت «بعم كالذبحة» قال «برأوة  
«أ» «مدمت نعم هذه وحدها عرقوب الننى آدم هو آخر عصمة  
فى كعب القدم» وأنت بكعب قدمك تصل إلى مكان الحطاف  
«أوم» «ي حيدا يا أبو العم وبعدنا توكل على الله» وكنت قد هممتها  
والفعل حق الفهم.

في العجر كنت واقفا في وكالة السمك معمرة تسوقت تشكيلة  
ثمينة من البطي والبوري والنياس والقرايط ملأت سلطين  
وصفتها فوق بعضها، استأجرت ميزانا بصنجة وصعته فوق  
السمك. حملت ذلك فوق رأسي مصصت أحدث عن مركبة توصلني  
إلى المضواحي والمناطق البعيدة مثل المعادي وحلوان ومصر  
الحديدة وجاردن سيتي والهرم، أحترار الشوارع العظيمة ذات  
النيت المهيبة «طازج ياسمك» هكذا أروح أبادي. يطل على هذا  
ويتوقف ذاك أورب ياعم أوزن ياعم أوزن ياعم جبرنا واحمد  
لله..

احل الحال ياخال أخذ المعلم «شدويلي» جيبهاته  
العشرة عرقى معلم في الوكالة يدعى «الجباه»، صار يمدني كل  
يوم بما أشاء، على أن أعود إليه عصو كل يوم لأحاسبه مختصرا  
عرقى ورزقي كل شيء بصيب يابوي، كنت ماشيا في شارع من  
شوارع المعادي المتشابهة لا اسم له بل له كالمساجين رقم معلق  
على صدره بغالطة زرقاء أيضا وكان الله قد جبرني ولم يبق معي  
سوي حوالي عشرة أرطال صممت عل بيعها بالسعر الذي أبيع به  
لسكان الفيلات والسرايات، السعر «القرسطراطي» للحى  
«القرسطراطي» هكذا أفهمنى المعلم يابوي. طازج ياسمك هكذا  
كنت أوصل الصياح بصوت عال متحمس لا يغيظني فيه غير أنه  
صوت صعيدي لا يزن كأصوات العيال الباعين أولاد البلد، المهم،  
مادريت الا ويواب أسود مهيب يتكفى مالابيض الشفاف الناصع

وتواحد البياض بين شفتيه وفي عينيه صاح بي وهو يقبل  
«تعال ياولد» طيبته يغني الشراء فهولت نوره ثم أقيعت  
أسفا العطاء عن السمك، فادا هو يهضني بيد غليظة ويسلمني  
«دي أحد الشعر أشيب أصفر الوجه والعينين ذي شارب  
ثيق متعرج قصص على كتفي وراح يطوحن في الهواء  
«أه يا لى جياك هنا يا ابن اللي واللي واللي» شتيمة  
«دقة يابوي من بشر الوساخة التتة لا أتوقع أن أسمعها من  
لحى «القراسطراطي» هذا صرت خرقة في يديه يفعل بها ما  
يشاء وأنا أصعق كما على كك وأقول: «ماد، عقلت بحق الله يارب  
«يه يا به ياسعادة البيه» أنا غطان ياسعادة البيه حقا على  
«سعادة البيه» وسعادته البيه النتر رأسه وألف سيف أن يسلمني  
إلى «بوليس» العفريت الذي طلع عليه «بوليس» أبكى أنا بحرقة  
وهو يصيح في البواب بغلظة «أطلب البوليس قتل لك»!!

به وكيل يابوي. ماكدت أتمها إلا وانفتح شباك مواج أطلت  
منه سيدة جميلة تظل من عينيها شخصية قوية ذات سطوة  
«ساحت في الأعدى والبواب «سيبو» ابراحل في حاله، فكانما  
«به» أمر حاسم مجاب، انزعت قبضة الأعدى عن كتفي، وكسكن  
البواب متواريا عن الأنظار رحلت أعدى ثيابي وألم بضاعتني، إلا  
والسيدة تصيح بي: «تعال هنا يا راحل انت..» لد وتعال» فنظرت  
إلى حيث أشارت فتعير علي أن أدخل من باب الفيلا وأب  
«أحمد السلم البعيد على اليمين، صرت على باب كبير مفتوح

والمرأة واقفة في فتحته تترك الحلاق فيما خلق، جعلت أبظر إليها  
 في بلاهة النهيمة تقاجاً أمامها بوليمة تبدو مباحة، نظرت هي في  
 عيني فكسرت نظرتي قالت «أمر» فأنزلت حملتي وكشفت  
 العطاء عن السميت زامت في رقة ثم قالت «يكم؟» قلت «بكنا  
 ولأجل خاطرك بكاء» قالت «مر» هورنت كل ما معي فأحدثته  
 وغابت في الداحس، ورجحت أقرب طهرها بأحال وهي تمشي، الفتنة  
 تمضي على قدمين بأحال، فعلت لنفسي عساما تكون الداهية التي  
 أسمع عنها في الحوادث تنادي أساس باسمائهم هي الليالي  
 الحاكية متكررة في شخصيات معروفة بهم لكي توردنهم موارد  
 الهلاك، ثم قلت لعلها الدنيا الفتنة تزعم أن تربي نفسي بها بعد مر  
 الشقاء ثم تعرف قلبي ورقص عالي، لكنه خفق واهتز مع خاطر  
 يقول لعلها الساهرة التي تطلع لبصميدة في المدينة لتشتري  
 دكورهم الفتنة بكسور الدنيا كلها! أي وحق الله يا بوي ما طلست  
 أن امرأة فائنة كهده تطلع لي من تحت طقاطيق الأرض لتتجيني  
 من خطر قابض على عوق ذلك تشتري كل ما معي بالسعر الذي  
 طلبته، ظللت أتوقع معاجاة عظيمة وهي تقبل من الداحل حاملة  
 ورقة مالية كبيرة، فلما رفعت عيني عنها تأديا اصطدم بصري  
 على الحائط المواجه بصورة كبيرة في برواز كبير لجمال عبد  
 ناصر وأخرى مثلهما لعبد الحكيم عامر وتحتهما صورة لصابط  
 بالملابس العسكرية لم أتعرف عليه ولكن على صدره وكتفيه  
 بحاليق وتراويق وضيابير وحوم كثيرة معروف قلبي من جديد

أمر مستعد لهبوط على عشه الأم، تناولت الورقة المالية  
 غير مبته إلى أن المرأة تقول لي، «خذ يا راحل ولا تحي  
 هيا ثابئة» قلت «حاضر يا ست هاتم»، وكان يداخلي شعور  
 «إن كان هذه المرأة تتكلم لمصلحتي أخرجت كيستى القدرة  
 الرسوة وفردتها وجعلت أبحث عن فكرة، لكن المرأة مدت يدها  
 إلى منة المنحثة الحافة بالأساور وأجواتم بحوى قائلة «مش  
 مهم» مش مهم، رفعت بصري إليها محاولا التلظى، قلت: «كيف  
 است هام» الحق حق وحضرتك تسحقين ثلاثة أربعة حبيبات،  
 شجحت قلته «مش مهم» حليهم غلشاك بشرط ألا تحي، هذا مرة  
 حشري، حارت نظرتي والله يا حال تحول احتراق عين المرأة  
 ومعرفة القصد الحقيقي من هذا الحادث انهول، ولابد أن مبطري  
 اعطتها كان مضجكا، حيث اشتعلت البسمة على شعفتها فاصادت  
 «الطلب على وجهها الجاد الجاد الباعم المنقص، لمعت نفسي  
 «سرعة وصرت أحطو خطوة وأبظر ورأى مبطرا أن نغير المرأة  
 لعمامة رأيها أو يقص على شرطى صرت والله أحر خطواتي  
 على «سلم كائن قوة تشدني بالأوباش إلى الوراء، فلما سمعت  
 «تبعني من ورأى صرت حينتي مقتضتي وأيقنت أنها الدنيا  
 «قد أقبلت على ما يغني طمعا للحلم لكها، هزقت ببطا واحداً أحر  
 شيء في الأمر لا أدري يا حال! لماذا عبرت الدنيا لعمامه  
 رأها، في أحر لحظة بعد أن ناديتي نفسها بعلو حسنها طاردة  
 من أوحوش المؤذية فتحت لي بابها على وسعه أرنتي لجمها

المقدس عاريا تحت عطاء شقيف أى على أهله اتحد الحطوة  
 الأحيرة التي كان يتعبد على وحدي أن أحطوف برفع هذا انعطاف  
 الشقيف والدخول إلى المداين المسحورة لكسى من عبوتى وتجانة  
 محي لم أفع " ألهدا صعر شأنى فى نظرها واحتقرتنى وردتنى  
 عن بابها لطف وأكثفت مجبر خاطرى مصحوبا بتحدبرى من  
 الحومان حول سورها ثالثة<sup>١٤</sup> محي تترجل يابوى<sup>١٥</sup> لاند أنها كانت  
 تنتظر منى أن أدخل وراءها بجراة أربها حقيقة نفسى التي تحت  
 هذه الحرق الزهرة، لم لا يكون ل<sup>١٦</sup> لم لا يكون نعم<sup>١٧</sup> " وسدب  
 هاتنة، وكل فائنة عباسية، وكل عابية دواؤها قوة الدراعين  
 والشكيماتين والعبيدين، أن توفر ذلك هى رحى مثلى استطاع أن  
 يلوى خرامها يركبها الديب مهرة شرسة أن لم يكسر شرستها  
 ركيبي حقيقى فارس حقيقى سائت وانطلقت تبحر عن يلوى  
 منها الحزام يعضها لا يتركها الا مصاصة قصب.

صدمنى ياخال أننى حتى هذه اللحظة لارلت بكل نفسيته  
 وكيانى وريما جسدى وأهبا على بوابة العبللا معطيا ظهري للسلم  
 الصاعد إلى شربات النعيم أخاير ذهبي ويحاربى فيما يجب أن  
 أفعه، ولكن أفعل ماذا يادوى؟ إن صوتها الأمر اىهاى يبعنى من  
 أى فعل.

اجترت جانب الأمان بالطبع، حرمت على نفسى السير فى مثل  
 هذا ابشارع ثابية

## الثانية- كيف شردتنى التسعيرة؟!

فى صبيحة يوم بعد انصداد نفسى عن العمل أياما يعمت شطر  
 ملوان بحمولة كبيرة بسعر أقمت قرشا على تخوم سوق مجاورة  
 الحملة امترى هردت موازيبى، فحضرت الرماش وبدأت وفودها  
 ، تلكا عدى وبدأت أزن وأقبض والحال أحر سبهلة، المعروف أن  
 أدمع - حسب التسعيرة - الزطل بثلاثة عشر قرشا وبصف للطل  
 الكهبر، وتسع قروش للمتوسطة، لكننى كنت أبيع خمسة عشر  
 قرشا، فى رقاب بمصه الكبير يسند الصغير

رن الكف على مقربة منى فارتعب قلبى، عرفت من صوت  
 ابرهين انه سقط على قفا واحد من منى عمومى، فمثل هذه الربة  
 لا يصدرها الا قفا من أقتيتهم<sup>١٨</sup> سبحان الله! اللهم اجعله خيرا!  
 سدد عيسى إلى جوارى حلسة، رأيت معاون الشرطة والمخبرين  
 وهم يمتدحون بئاتع العاكهة المجاور لى والمعاون لايجد لفة للتعاهم مع  
 الله أىهى سوى الصرب على القفا بكل هذه القوة لو كنا فى  
 الصمد ورن هذا الكف على قفا أى مخلوق اطارت فيه رقاب  
 وف ادب قباصات أما هنا فالنديا كلها تثقل عليك فى لحظة





لأنه استطاع أن يقمص على أحيرا صوت مجرما وهناك من يتعقبى للإيقاع من اعتدلت على كرسى واحد وقتت «أهلا وسهلا» قال فاشحا حنكة «ما جيتش تحاسب المعلم ليه» حيرة أنت سكران ولا إيه؟ قلت ناحشا عن صوتى «سكران نعم سكران من فعل اضرب والشتم والبهولة» قال وقد ظهر من صوته أنه لن يصدقنى فى أى كلام أقوله «ليه كفى الله انشر حصل إيه» انتفصت واقفا ونزعت الجلباب كشفت عن حسدى قائلا «شوف يا حى الحكومة كسرت عصامى بابوى بعثرت البضاعة بابوى سدت الناس تهجم عليها وتقيها بالتسعيةيرة الجسرية» أحد يتفكر ثم رام وقال «يعنى ضاع بتاع الناس؟» قلت «الله وكيل» الذنب ليس بدينى» همد يديه وتحسس جيوب صديرى أخرج محفظتى وفتحتها أخرج كل ما فى حيوبها، عده فإذا به ثلاث خمسمات ومضع قروش وضعها فى حيبه وصار يلوح لى بإصبعه فى تهديد شرس «اعمل حساك!» ركلت ماتخطيش ناحية السوق بحاله «المعلم ممكن يصيرك بالرصاص ويتاوى جثتك ولا من شاف ولا من درى!» ثم انصرف.

أروح فمين ياولدى؟ أعمل كيف؟ جاءت صورة أمى وهى تودعنى عند السفر قائلة «اللى ريبا يحب فيك المتخاليق ورفاق الطريق، فاقشعر جسمى، وهتف صوت فى دماغى لسوف يجتبا الحلال، وبالفعل، حمل المعلم «شندويلى» همدى أهدنى إلى مقهى كبير فى مصر القديمة عليه وارد يحتاج لأكثر من صنايعى قال

المعلم «شندويلى» لصاحب المقهى الكبير «هذا الولد يصلح مسحيا نظيفا وهو من بلدياتى وعلى صماتى» قال صاحب مقهى الكبير فى هدوء «وماله رزقه ورزقا على الله. خش بولد وريبا شطارته. وكانت رأسه عليفة منفتحة كراس شعبان ابتلع بطيحة، ألا أن الطيبة كانت مادية على ملامح وجهه شمعت مراعى وفردت المريلة التى أعارها المعلم «شندويلى» ليستفها مسدوت كأننى أقوم بتسميع الحركات التى يفعلها المعلم «شندويلى» فى شعله والتى يطن من يراها أنه أمام صنايعى قرارى نشيط مفتح، لكن المعلم انتسم انتسامة لم أفتح لها وقال «وماله برصه كل شىء ييجى بالتمرير أن شاء الله» يوم بعد يوم تعلمت الصنعة، عرفت أن كل شىء مالفص صبعة لها أهل ورجال نجمحت كعامل نصبة أصنع فى الساعة ألف كوپ شأى وألف ككة قهوة يدون عناء، لكن القروش التى يدفعها لى صاحب المقهى آخر النهار لا تساوى العرق الذى ينشأ من طول النهار، أعيش على البقشيش وأجمد اليومية فى الحوالة البريدية كل شهر لأمى شحط فى المعلم مرة مشخطت فيه المائل هشتمنى فخلعت المريلة رهيبت بها وأتكلت على الله إلى أسطبل عنتر.

قال المعلم «شندويلى» وهو يعمرنى بعدساية أميوس. «اسمع يا بولعم! أنت ابن حلال مصفى وهذا هو بركة دعاء الوالدين وبركة أصنامك الفقهاء الطيبين» قلت «صدقت والله ولكن بحتى ما ترى غير موات!» قال وهو يقرر بأصابعه الطويلة الحشنة

فوق ساعدى «الدكان المجاور لمحللاتى على الكورنيش يريد صاحبه تأجيريه وهو دكان يصعب أن يستمع به شخص غريب مارايب هو أحرماه لك وفتحته قعدة شاي محتصره على قدها» قلت «بوفيه تقصده» قال: «عليك نور!! إيه رأيك» قلت «يادار مادلحك شر» قال: «معك كثير» قلت: «سمع جنيتها وستين قرشا سأرسل منها حوالة بست وأصرف على الحوالة من الستين قرشاه» قال: «لا حوالة ولا غيره هات مامعك!! حوله على أنا» فهدعت إليه بالملغ

الحق لله تعب الرجل معى آخر تعب، استأجر لى الدكان واتفق مع الباء الذى أقام البصة بالاسمت و لقيشسى، وحطفت أرجلنا إلى السوق فاشترينا ثلاث أربع دست من الأكواب والبراريص والعلايات والكتك، وأعزنى ثلاث تروبيرات وعشر كراسى على سبيل الايجار بمائة وعشرين قرشا فى اليوم هب نلبي فتحبا من صبيحة رما حتى ما بعد منتصف الليل لا أفرغ من هنع الطلبات وتورمهم بكسى كنت أتعب يابوى، يجىء الليل على فاكسى من الاعياء مستندا على البصة لساعات طويلة.

الا وجامى ذات ليلة أربع رجال أميدى آخر وجاهة تحلقوا ترابيزة وحامية وقالوا: «عندك كوتشيه ياأح» قلت «عندى» قانوا «هاتناه» وكانت جديدة فقالوا فى نفس واحد «هله ومان أحدهم على قانلا فى بساطة «شوب يعم الحاج حلمب عشرين ثلاثة - وعز جعيه غمزة ذات معنى - ولك ياعم على كل

نور عشرين قرشا أجز ترابيزة عندك مانع» قلت: «لا»، فأنبرى بقط الورق فى حمان ويطلب المشاريب

أخلوب اللعبة يابوى، ساعتان أو ثلاث من أواخر الليل مقام شغل جمعية بحالها، حتى صرت يابوى من فضل الله وكرمه أسل لأمى كل أسسوع حوالة وأدحر حوالة أهملت أمر انقهوة وشوى وطان ابتعادي عن حديم البصة اد لايد أن أكون حالسا «نور اسعب أراقب الأدوار وأقصصها هات واحد شاي ياعم حسن» قم أنت عدم المؤاخذه وأعمل لنفسك شايًا ثقيلًا كيئما بهوى اشعب المصري شعب مهود و يابوى، كنلوصة الخيران دلوبها دائرة فى أصصعك فتدجيل أنه - أقصد أبها - ملك بديك، «أا ما عسر أصصعك بره» وحيرة أندفع الطرف وأرثدت البوصة «أا مستقيمة كأل شيئاً لم يكن هكذا كان يقول عمى الصرير أا لاسه عى مدرتة، وكلما دغكنى الحياة فى مدينة القاهرة أا سمعت أنتى يجب أن أكون مثل البوصة الخيران لكى أعيش فى هذه البلدة دون مشاكل ووجع دماغ وكراهية طب ماقولك «أا أسى كنت أرسل هذه الكلمة كلمة «قم اعمل لنفسك» إلى أا محترمين جداً والمفروض أن أقف أمامهم خاشعا مكسور أا كس أقولها فى تهيب شديد أول الأمر، ثم على هيئة مزاح أا أطلعها بلهجة أمر غليظ قم [عمل لنفسك] فيقوم سعادة أابهة ويعمل لنفسه دون غضاصة على رأى عمك المصري، أى والله يا أبو العم

تفرغت لقنص الريالات المنهالة على كل مساء من التاسعة مساء حتى الرابعة صباحا. ثم يعد يعيننى راحة أى زبون، بل أصبحت أحد لدة فى إهانتهم تردداد مشوتى منها كلما رأيتهم جميعا يقابلون إهانتى لهم كأنها أمر طبيعى! أصبحت أعمل على طرد حمائهم ابتداء من يعد صلاة العشاء

غير أن الضوبة ليست تقع فى المعطوبة كما يقول امثل بل تقع دائما فى السليمة وهى طوبة تصيبى دائما كلما جرت البعثة بين يدي دخل الصابط علينا فجأة وحلفه رجله، كان أمديا وهم كدك لكسى عرفت الصابط من بخلته ذات النعجة الكدانة ومن التعافه حولى فى ثقة ثم إحاطة رجاله بنا ليلتها حملت استرايرة فوق رأسى والكوتشينة فى يدي ونفود القمار فى جيبى تلقنا عربية الشرطة الأزرقاء إلى قسم مصر انديمية حيث أشيعونا ضربا وتلطشنا مما يحبه قلبك عدم لتواحدة، حرروا لما محضر، وبعد أربعة أيام أفرجت النيابة عنا بكفالة عشرة جنيهاات لكل واحد. فى اليوم اندى حرحنا فيه اتجهت من مورى إلى المحس مفتحته وكسسته ورششته بأمان وبحرته ثم أشعلت انار تحت الرمانة وجعلت أعسل الأكواب أقصد الكريم مستفتحا بواحد شائ لى مع حول المساء رزقنى الهه بالعشاء فى الموعد اليومى المعتاد جاء الصباح الأرسع لا يدو على وحوهم أثر لما حدث بل لايدو عليهم أبهم يعرفوسى أصلا، كأننا لم نكن سويا فى الححر مند

ساعات قليلة سلام عليكم يا حاح، قلت عليكم السلام أردت أن تمل بصرة منهم بأن أرد عليهم فعلهم، قلت بمجرد جلوسهم إليهم أعرب على «تشرّبوا أياه» قابوا كوتشينة طعما استأنفنا اللعاب من حديد ما كادت البعثة تفسرى بين أصابعى حتى كبست عند انشطرة مرة أخرى، فى هذه المرة شمعوا الدكان بالشمع الأحمر أما نحن فقد ذهبنا كل ما كان معنا لأبناء الشرطة ومع ذلك لم نج من ركوب الصيية التى يقررون فوقها من يتحرون عنه معرفة إن كان من أرباب السوابق أم لا، الحمد لله كشفت الصيية أننا جميعا بلا سوابق وأفرجت النيابة عنا على دمة أن نطلننا المحكمة بعد حين

قلنى شال من المنطقة كلها يا حاح، أصبحت لا أظيفها واسودت الدب فى وجهى فقلت فى نفسى ليس لك عيش فى هذه المنطقة يا أب على! إن الشمع الأحمر الذى ربط دب دكاسى فى الأرض هو «إسار الإلهى الذى يقول لى إسحت لك عن باب آخر فى جهة أخرى

مواله ما كدبت خيرا، كان المعلم شندوبلى يفتح مقهاه عقب صلاة الفجر مباشرة ويسأ فى رص الكراسى ورش الأرض دهو حى فى أنيا من مسكى أحمل جعة الورق التى فيها خلقاتى بها، وكانت منتفحة صباح الحير يامعم شندوبلى صباح النور يا حسن أمسافر ياترى؟ قلت «حاجة زى كده» قال «كيف» قلت

«سأقلب عيشي في عتبة أخرى في منطقة أخرى عبر هذه» قل.  
«من ورائي يا أبو العم؟» قلت «يمين الله ما أعرف حتى هذه  
ال محطة أين ترسو في المركب ولا في أي مكان توجد لعمدة عيشي  
قل والحوادث القصية تتماوج في كفي» عليك حتى الزيتون لا  
تذهب شمالاً أو يمينا» قلت «خير إن شاء الله ما الذي في حي  
الزيتون يا معلم شندويلي؟» قال «تركب أتوبيس نمرة كذا  
يوصلك إلى محطة باب الحديد تسأل عن قطار كوبري الليمون  
يدلونك على محطته تقطع تذكرة من انشباك تركب انقطار توصي  
انكمساري أن يترك في محطة الزيتون» تدرك في المحطة تنزل  
الرصيف عدداً إلى الوراء حتى امرلقان تحد قهوة المعلم ظريف  
أسأل فيها عن المعلم أبو القاسم شعيب تجد ألف من يوصلك إليه  
إيه مقاول قد الدنيا وكل بدائك يتوجهون إليه مباشرة وإن شاء  
الله سيكتب لك الله دفعة عيش عمده» فعنده أنواع شغل من  
انواعية إلى كل ما يريد وما تحيل» يعني لاند أن يجد لك شعلا  
على قدمك بالصمصاء قلت «من أصل صحيح والله يا معلم  
شندويلي من الآن أي حواشٍ يحيى باسمي أحطه عندك حتى  
اعود» قال مشوحد «ولما أحطه؟ سأصعه في مطروق جديد  
وأرسنه لين طرف المعلم أبو القاسم شعيب» قلت «على بركة  
الله» عابفته وبكيت منكى هو الآخر ومد يده في جيبه فأسرعت  
ممسكا بها قائلا «مستورة والحمد لله» ثم تركته ومضيت

## العدد ثلاثة

### الأولة - عرسان وعرايس

ما أن وقع بصري على باب الحديد حتى هاج صدرى من  
سعة أركار ما أدري الا وأنا أقطع تذكرة إلى الصعيد فسبحان  
الله إنها إرادته

القطار يدب ساعات طويلة يابوي ومحي بضرب يقلب ما الذي  
سامعته في الصعيد؟ ما الذي أقوله لأمي؟ أفي إجازة أنا أم أن هذه  
هي الاولة الأخيرة؟ أستفرح أمي بذلك أم ستقع من طولها؟  
سطنس الهواء هبت من التعب، وقد هيا الله لي من يصحبنى عند  
كل محطة لينهني.

أبو .. و .. و .. على الفرحة التي التقاني بها الأهل من  
البحارة حتى دارنا. لم أعزخ من السلالم والأحصان  
و .. بوات حتى سمعت مهرجانا ورائي أول شيء مفرح التقيته  
و .. قد صار لنا دار مسقوفة كلها ذات أبواب وشبابيك جديدة  
و .. سمعت نكل الامان، وقلت في نفسي، رعاك الله يالم لها هي  
و .. متى أتى أرسلها لك بالحوالة البريدية قد نفعت الآن وصار

لما بيت بحق وحقيق استطيع الحنوس فيه واستقبال الرجال ملا  
حرج

ها هي ذي العائلة بربطة للعلم تطل حارجة من باب ابدار، أمي  
تجري بحوى مهرولة ومن خلفها «سلمى» و«مدووه» و«سعدية»  
و«هدية» التي أصبحت عروسا الزاوية في زمن عيبتي جاءت هي  
الأخرى بعزم المشوار بحوى لترتقي في حصني، حفيها أحى  
«محموده» الذي كان رضيعا حرج يحسو على قدميه يحاول أن  
يصب حفيه ينكي مترعجا من هذا الانقلاب المفاجيء، وكنت واثله  
أتركهم جميعا وأحرى اليه لولا أبني لم أنكى من نقل خطواتي،  
حيث تعلقت أمي بخصمي وهات يابوس وضم وكاء، في حين  
تشعلقت «سلمى» برفقتي و«مدووه» بكتفي أما «سعدية» فوقفت  
متدلة في انتظار أن أذهب اليها وأحصيها بالسلام والتقبيل وأما  
«هدية» فتعلقت بذيل خلسابي، وصوت بكاء «محموده» يتصاعد  
وبطني على صحنجنا ولولاه لبقينا في الشارع هكذا وقتنا طويلا .

اللقاء بعد العيبة حلو يا حال، لا مثيل لحلاوته، ولو ثوقل هذا  
اللقاء في كفة بعلبون حبيه أكتسبها من العربة في كفة مقابلة  
لاحترت اللقاء إذ أسي واللقاء في كفة واحدة. صار الرجال يأتون  
للسلام على وصوت أحس بأسي محترم في وسطهم فشعرت  
بحلاوة الصعيد وكهرت القاهرة كره العمى، وقال هاتك لعله من  
طرف الملاك المنوط بتسجيل الحسرات على أحد كتفي «أنا هذا  
رحن بحق وحقيق رب أسرة وصاحب بيت يؤمه الروار أما في

عربة مائت ريشة شريفة في مهب الريح، فدت هذا الصوت هي  
دماغى فحسته وقلت لأبطن في هذا الأمر

بكننى نظرت ذات لحظة بعد ضفوت دوشة مقدمي، وكاست  
صبيبة الطعام الكبيرة مفروشة على الطلية ونحن نتحفها في  
حوش الدار ومن حول بط وأور ودحاج ومغير وحير كثير،  
فرايت أحتي «سلمى» و«مدووه» و«سعدية» و«هدية» قد صرن  
حريم بمعنى الكلمة أى قد صرن في حاجة إلى ظل رحن يحميهن  
من طمع دوى النفوس الوسحة . ارتعد قلبي والله ياخال  
وانتصت «للعقة» في بدى فتسافطت الشورية عني ثوبى، لمجرد  
تحيلى لرحن من المطايريد معدوم التربية يقتحم دارنا هذه لحلوها  
من الرجل ويستبيح كل هذه الكبور العالية أيجيك قلب يا حسن  
بنترك هذه الجواهر المنعطة تسوء بها أمك وحدها «سلمى»  
و«مدووه» و«سعدية» و«هدية» يهون عليك فتتركهن شهورا  
أخرى وربما سنوات؟ كيف يولد فكرت في هذا من الأول؟ ألا  
فائل الله امقر استحلطت البقاء لمصلحة رجوليتي قبل  
مصحتهن، استرحت لهذا فأكلت منهم حتى شبعنت وانحصنت  
مكتنا على مسند صلب وجعلت أدخ السجارة باستمتاع شديد  
رأى مترعة جوارى، أحتي «سلمى» تسوى الشاي على ركية نار  
منبعة من الكابون، جاءت «سعدية» بصبيبة الشاي عليها النراض  
و لا ثوب الراكع فوضعنه أمامي فأخذت أمي تصب لي الشاي  
انفسر في الكوبة قائلة «بالهنا والشفا ياخويه»، جعلت أرشف

ميلت أمي على أدي وهمست. «أرأيت بورك كيف ملا النار؟  
 قلت مداريا دمعي الوشيك. «أنت صاحبة كل فصل يا أم». قالت  
 «لماذا لم تحدثني عن أحوالك ما ولدي؟» قلت. «بحير والله يا أم»  
 الولية لم تصدقني في هذه الكلمة. لم تصدق أن حالي محير، قالت  
 وهي تربت على كفتي. «أعرف أنك تتعب يا قلب أمك» قلب محاولا  
 اعتقال دموعي. «كله يهون من أجلك أنت وأخوتي يا أم» فص لكم  
 غير الله وغيري؟ من أجلكم أقطع من لحمي وأرمي في حلة  
 الطليخ. ربت على كفي مرة أخرى ومزات ثم بدأت تتألم  
 وانحطت ثريقي وتمس على جسدي بورقة. «رقيتك من عين  
 الحسود يندب فيها عود ومن عين المرة تنقلع بشرشرة ومن عين  
 الراحل تنقلع مصاجل ومن عين كل اللي شاعوك وبصروك  
 ومصلوش على الحبيب النسي». وخاضت أحسى «سلمي» بعقد فيه  
 انسحور يتصاعد دحانه ذو الرائحة الركيّة وصارت تلف يديها  
 بالندق حول رأسي حتى صيرت أنا الآخر أنشاء ووضعتم أمي  
 الورقة التي كانت تلمس بها على جسدي في مار المنعد وتركتها  
 تحترق على مهل ثم قالت لي «شف يا ولدي أن كان القرش  
 يحيطك في القرية من حلال فالقرية محتملة إلى حين أما إن كان  
 القرش فيها من «فقاطعتها مرتشعا» أقول لك الحق يا أم» أن  
 الحلال في القرية غير مباح يا أم لا تدهشي أن البلد التي كنت  
 فيها يسمونها القاهرة أي أنها تقهر الناس من سكانها وكل من  
 يلجئون إليها في طلبا تقهرهم على فعل الحرام عيني عينك وفي

٢. خطوة. ومن لم يقدر على فعل الحرام تفرغ أنفه في الطين  
 وتقصح حرمة! صدقيسي يالم أن الحرام الذي كنت تدفعيني  
 (بكانه هنا أحف بكثير من انحراف لدى يعرق أهل ذلك اسلدا أن  
 هرامنا بسيط لأن يحاسنا الله عليه يالم! سوف يقهره لنا سبحانه  
 على أساس أنه لعب عيال! نحن هنا بفعل الحرام الصغير فتشعر  
 أيدنا حوا من الله من عذاب يوم القيامة أما أهل القاهرة فإدبهم  
 «منون لحرم الكبير دون أن يشعروا أنهم يرتكبون الحرام» لو  
 «س لك أنهم يتفاسخون ويتعشخرون بفعل الحرام تقولين  
 كذا»

أخذت أمي تفك الطرحة وتعيد لفها حول رأسها عديد من  
 المرات فتجملت كأنها ترم دمعا حواف الانهيار قالت كأنها  
 تدم بصلاة «على كل حال جئت في وقتك اسار هذا محتاجة لك  
 سطر نلتك يديهما الله علينا، وراحت تصب لي الشاي الدور  
 الثاني. فيما أوشف الشاي كانت هي شاردة سارحة في الملكوت  
 ولكن صهر على وجهها أنها تدخر لي حبرا أشعر أنه شغلها من أنه  
 هو الذي جعل مسألة سفرى أو بقائى في المرتبة الثانية من  
 اهتمامها. بعد برهة ميلت رأسها صائحة «أدهى ياسلمى ونيمى  
 اسد والغرابيج وأنت يامدوثة تومى تربي للصغير وأحسسيها  
 وباسعدية أدهى فيسمى هندية ومحمودة. لما اطمأنت إلى أن  
 صربا وجدنا ميلت على قائلة في غبطة «صاير ولد صعوثن أبو

عندس تعرفه؟ قلت: «طبعاً» قالت في ثبرة مرعوشة بالبهجة. «ما  
تقولك فيه؟» قلت: «لني عشر سنوات لم أراه يالأم» قالت: «إنه معك  
في مصر هذه البلد التي كنت تحكي عنها الآن» يسرح في  
الشوارع يبيع الفانيات والسرراويل والملايات ومعه قرش ومسطوط  
وكل صبح سموات يحيى ليشترى قرايط الأرض! قلت  
«ماحمره يالأم» قالت «دور على أحسك سلمى» يرسل بسواي  
دارهم ليحطبونها منى سيحببونها في مصر ويستتها سيشري  
لها فرطاً وكرداناً ومشخلعة وحلحلاً ويضعها في العرء سرح  
حيالي برهة في اللأشي وما لنت حتى ارتعش قلبي من العرح  
ياحال أو من أحوى لا أعرف، لكنى قلب «ما رايت أنت يالأم»  
قلت «الذي أراه أن الولد شارى! بعث لنا ثلاث مرات وجاء  
بفعله مرة» وطلب منى أن ابعث لك جواناً لتحضر أو أعطيه  
عوانك في مصر ليقابلك فحصلت ألا يراك في بلاد العربى وكنت  
سأكتب لك جواناً بالجوى ولكن الله أرسلك! انه سبحانه يعرف  
بحث النبية ولسوف يجعل بسترها» قل «على بركة الله يالأم  
على بركة الله» انه طول عمره ولد طيب ابن حلال وجدع» قالت  
أمى كأنها تملن موافقتها النهائية «ربما يكنها من نصيبه».

المسألة جاءت سهلة يابوى ومثل العسل لم تستعرق والله  
شهراً قرأنا فيه العاتحة وعقدا الفراق وسافرت أحس سلمى  
إلى مصر في ربطة وزمليطة كبيرة، وكنت معها وأما وأمى

وأحوالى حيث أطمأت نفوساً وتأكدت أن لايتنا داراً وعشياً  
ويسترا، وعدنا إلى الصعيد بعد يومين اثنين

صرهنا القرشين وبعنا كما خلقنى برب ترزقى سبحانه الله  
يابوى، فعى نفس الشهر جاءنا من يحطب «مدودة» هو الآخر  
ولد يعيش في مصر منذ نضع سموات ويشتل نفس الشعلة  
ولكن في وكالة البلج، حيث يجلس بعرية يد صغيره يصنع منها  
دكايا متقبلاً يتسح بكثرة نصريه في البيع اسمه «مصر الأقرع»  
وأعرفه ولدا أهدع من سابقه، فقلت «على بركة الله» عقدا  
القرى في انتظار أن ينتهى «العريس» من بناء شقة يملكها على  
أرض يصنع يده عليها في منطقة مهجورة حلف صحراء الماليك  
من جبل المقطم. في شهر واحد لعلت في دارنا الرغاريه مرتين  
وأصيبت شموع الفرح مرتين وجلس على كرسى الكوشة  
عروسان مزوقتان إحداهما سافرت والأخرى على وشك السفر  
«عقبال سعدية وهوسمة وأمسح لهن جميعاً دماء شرفهن  
وحلاصهن وعائط أولادهن» اللهم اسعدهن! اللهم استر عرصهن!  
ولنهن كل أمانيهن! اللهم ارض عنت باحسن يولد نطلى!

هكذا راحت أمى تبتهل بصوت مخيف راغش، رافعة وجهها  
نحو السماء بأسطة يديها. أخذت والله أحبس دموعى حبسا



## الثانية - بصرية بالبنات

قلت لأمي في لحظة صساء: «يظهر أنه مكتوب لنا لقمة عيش في مصر يا أم! ولابد منها» قالت: «يقول الله بنا ما يشاء فيحس أولاده وهو مسئول عنا» وليس هو سبحانه ما ندى يقرط في المسئولية حاشا لله يا ولدي! لا تكفربا» رحت أفكر في أمر العودة إلى القاهرة. محففا وقع الأمر على نفسي بأن الله قد ساعدني من حيث لا أدري فخلصني من نصف المسئولية ولا بأس من انعزلة سجين أخرى، هذا دامي تقول «من عد تتوكل على الله يا ولدي فتبحث لنا عن رزق نعتمد على له وعليه مدة سفرك إنني أن يكرمك الله وتعت لنا بالحوالة». قلت: «عملا يا أم صدقت» عدا حلها الحلال الذي لا يفعل ولا ينام».

الليل بطوله وأما مفتجل العيينين يا حال، مضى يضرب بعطب، هاهنا حواسي يقول لي قم الآن يا معسر وأسرح في هذه الجلسة «... خروج حصيلين من صلاة العجر وأنت ونصيبك هاللة لن يردك ...» هاتف لعله من السماء يرعى قاتلا كيف معد أن صرت «... لا محرم ما يوقرك الناس تفعل أفاعيل كهده» اعرض أن الطوبة

جاءت في المظومة وضطوك متلصبا فعادا تفعل أمام فصيحة  
بجلاجل؟ وهاتف ثالث يقول لي تعقل يا حسن قانت غاشب عن  
الصعيد لك مدة كبيرة وقد صرت كالغريب أعمى ولو كنت  
بصيرا الله أكر نطق بها صوت المؤذن دعوى من حلقه صوت  
أمرى زاعقا يرج الأرض من شدة ما فيه من ترح واستعطاف والله  
أعظم والعرة لله . لا اله الا الله محمد رسول الله. فتأكد لي والله  
يا بوى أن الله لابد قد تأثر من ضربة أُمى هذه بصوتها هذا الذى  
يفقت الحجر تقول كافر لو قلت لك أننى قد رايت الذهول يشق  
فى دماغى فجأة مشرح سرعان ما اتسع وبررت حلاله دموع  
تتساقط من عين مجهولة فى العلو على حد يشبه سحب السماء  
الصافية .

سحبت جليابى الكشمير فارتدته ومصيت نحو الباب ثقلبت  
أُمى، قالت «رايح فين يا حسن؟» قلت «أصلى العجر يالم» قالت  
كانها قد أجست أن صلاة العجر هذه مجرد اسم لمشوار آخر أبوى  
للقيام به «الله مملك يا ولدى! ادع لما بالستر» قلت «يحصل بادن  
الله» وخرجت، فقامت هى وأغلقت الباب من ورائى بالترباس.

شقت طريقي إلى المسجد الذى لم أكن دحتة فى حياتى من  
قبل رغم أنه على مبعدة دراعين من دارنا خلعت صرمتى القديمة  
ودخلت فتوصلت واندمست بين صفوف المصلين فحاءتلى راحة  
كبيرة، هبط العليان فى صدرى، تيقنت من أسى قد وكلت الله حقا

فى التصرف فى أمرى الله وكيل يا بوى ما فى ذلك شك أبدا  
عواصم بحتم الصلاة لاحظت أن رجلا محتزما بطيل النظر إلى  
من تحت ثحت يتاملنى حتى أوشكت على الخوف منه، فلما سبق  
من يحاورنى إلى الانصراف ترحرح هو حواري حتى حادسى ومد  
لى راحة يده قاتلا حرما، فلامستها براحتى قاتلا جمعا ان شاء  
الله، وقنت راحة يدي قال الرجل «أست حسن ولد أبو صب؟»  
قلت «صدقت» قال «فكيف لا تعرفنى يا ولد؟» قلت «العجب على  
انظر» قال «أنا الحاج دعور صاحب الجباين» صحت قاتلا  
«يه يه يه أى كان يحفر ب ما كنية للمياه» قال «والحباين  
كلها رحمهم الله كان شديد الحب بعض» قلت «خلف لك طيلة  
العمر لقد كتب أيامها طفلا صغيرا فاعذرني» خرجنا معا من  
المسجد وقد بدأت أنتشى لظهور شدة الشبه بينى وبين أُمى رحمه  
الله كلمة منى وكلمة منه، أت فين وأحبار الشغل أيه، وحمد الله  
على السلامة ومسدوك ما عمتوا ثم نكد بصل إلى نهاية الشارع  
حتى كما قد اتقنا على أن أحفر له الجباين لموسم العيب فى مقابل  
ثلاث تلاليس من الذرة انعويجى، خلاه كسوة وأكل وشرب لمدة  
ثلاثة أشهر بالصلاة على النسي طلعا من المسجد على الجباين  
متسلمتها وتمعت عيها وعلى المكان الدى سابت فيه وفهمنى أن  
من مين عملى إلى جانب انحصارة أن أجلس أمام الجباين نعرش  
كبير يضم أقباص معلوءة بالعب العرط المطلوب بيهه وأكله مورا  
قبل هساده.

الجنابين قديمه، لكن المائتي رحلت عنها حتى باتت الجنابين كأنها هي وسط البلد قصاصها مناشرة دار صغيرة محسنة فيها فتاة جميلة تقول للقصر قم لأجلس مطرحت، ويقول لي قم ولا تجلس أبدا ذهبت بعقلي يا حان، تقول سحرنتي 'روحنتي' لحطت عزلي أنستني الحفارة وكل شيء 'المعوبة ست الملعون تنقب أمامي تتركني أنصص لها فاعلا بعيني الأفاعيل' ولرب يسهي انازة إلى أن المعير والذباب الفاتنة قد حورت على أفعاص اللعب وبرتت فيه أكلا على راحتها عيما أما المسحر مسمر على مواجهة ابتاعة اللعوب ذات الوجه البوردي والذئب المتلطم كالسوط تحت ثوبها الواسع كانت تعتمد برحمتي وانعب بعني إ. هي تكثر من المرواح والمجىء على الدوام بتقصيع تتلوى تشد كل العروق هي مفاصلي، فأروح أبادي على اللعب واضعاً فيه كل الصفات الجميدة أبته بواجبي وأشرافى أعتب عليه تعديه لي ونقله على وتاريخي في أنصاص الليالي.

المصرية لم تهذا فوحشت بها ذات عصرية تدخل على الحاج «دعوره» حاملة قفة كبيرة ظننت والله أنها دخلت تدس في حقبي لديه وتشكومي، فتسللت وراءها بصصة لطافة وتلكأت بجوار الحاج دعوره فنادا بالبيت تطلب من الحاج دعوره أن يبيعها خمسين رطلا من النعب على أن تدخل هي وتنقبه قال لها الحاج «دعوره» وهو يضع النقوط التي أخذها في محفظته «ادخلي واستقي كيف تشائين ولكن هل تجيدين قطف العنب؟ ولا اعرفط

منك» قالت البنت. «ايعدت معي بهذا يقطع لي»، وأشارت إلى، «من والله قنبي من انروح ووقت أنتظر، فصاح الحاج دعوره «دخل معي بأحسن ووجد معك المعص الحامسي» قلت هي أمتهن «محصن بأحاج»، وأشارت إلى ابتاعة أن تشعني ظننت أمشي داخل الجناب أكثر من ثلاثة كيلو مترات، احتكى احجاج دعوره وصرت وحدا لا عين ترفها سوى عين الله توقفت الفتاة عند متعبه مثعبه بالطيب الناصج وقالت «أطف لي من هنا واقطف بي من هناك» فأشرعت المقص ورحلت أستقي من التكمعية أطايب العاصيد فأقطفها بحكمة وأرضها في انقعة وهي واقفة ترقسى وفكتم انتسامة شقية بين شعبتها صدقني يحال أنتي لم اعرف حتى الآن سر هذه الخيبة التي حطت على لقد كنت أشبال وأمحط في سبيل أن تحص على بكلمة أو تعهد بي لحظة في مكان فما بال ود حالك يوف هكذا كاللوح انطرا بعد أن جاءته الفرصة وصار معي في حلوة بعيدة كل ما أدريه أن سهم الله قد أصابني فشل حركسي وأعجز لساني وحول عيني فاندمجت في قطف العنب ورضه بحماس وجدية، فلما أمثلات ابتاعة أمسكت بطرفها وشيبتها فلما استوت ابتاعة على دماغها حتى نظرت لي نظرة فيها الهرء كله والسم كله، فادجص بصري إلى الأرض، فإذا هي «منها»، تلك الكلمة البعية التي لم أكن أتوقع أن تنطقها «أمن»، ثم دعنتي بيدها دفعة واحدة تهاوتت منها متطوحا أنساد على ادواء لصقت بها جريا وأيا أصبح «الله الله طم حرك على

تعالى. تعالى بس، لكنها لم تلتفت إلى ومضت تتعحتر تحت  
القعة الثقيلة ومضيت أجزر أنيال خييتي ولو كان معي مسدس  
في تلك اللحظة لأطلقت كل رصاصه على نفسي من تلك اللحظة  
أدبرت هذه البنت في قلبي ولم تصارقه ليلاً أو نهاراً كأن بيني  
وبينها ثاراً لا بد من تصفيته!

انتهى موسم العنب يابوى، وأوشكت الفلايس على الانتهاء هي  
الأخرى. هم يصطك وهم يبيكي تصور أننى وقد صرت عاجراً  
عن شراء ورقة دجآن لف أكر في خطوة هذه الستة؟ يظهر أننى  
من لحمي وصلت متأخراً الأيام التي مرت لم تكن طويلة، لا تزيد  
عن جمعة، غيبتها في مشوار أحصل من ورائه لقعة عيش، حيث قد  
لحاً إلى نكر من المطاير في أن أساعدهم على بيع روية مسروقة  
قوامها حاموسة وبقرتان عشار وفقنا الله بفضلها وفصل العبد  
لله في تسرب البيرة إلى بلد بعيد بسعر مرجح للطرمين ولنى  
بطبيعة الحال، أجدت حقى من الطرمين ورجعت عامر الجيب  
والقلب تداخلنى ثقة هي أسى سأجرؤ على تحطى عتبة دار الصبية  
لأجلس في حوشهم طالبا القرب من أبيها، ومكسبى من السريعة  
المباغة ليس بالذى يمكننى من قراءة الفاتحة وإيتياع هدية ثمينة  
للعروس والوعد بما لذ وطاب لكنه كان مجرد عتبة أخطأها  
ولسوف أعود من أهل خاطر عيوبها إلى مصر راغماً صاعراً  
وعلى قلبي أحلى من العسل. لمست حلباسى الكشمير واللبدة  
الجديدة والمركوب الوردى اللون، وزودت علبه فخانى بكيف يزن

أوقية، ودهنت أحطر نحو دارها أملاً في تلففها وتلفيقها أنى قادم  
بحصونتها عليها أن تمهد لى الطريق إلى أبيها لكسى عى ذلك  
اليوم لم أصادفها في الشارع تلكأت في كل مكان ظننتها تتواجد  
فيه كدت وإنه أطرق الباب وأدأى عليها بصوت عال وبلا حياء  
صانحاً «فتحي يا حنة - دك أن اسمها حنة» - بل كدت والله ادفع  
لما ب وأدخل كما في المواويل قائلًا أنا قاتل الحنة

تطعت متوقفا حوار باب دارهم تحت شباكهم كاسى انتظر  
رسولاً منهم وكأننى في نفس الوقت أقف في شارع الله الذي  
بحو لكافة الحلق الوقوف فيه لعنت أكثر من جمس سحائر  
دحتنها في علة وعصية وبسيان، أدنى قد غادرتنى وتربعت  
صحن دارهم من الداخل لعلها تلتقط لى من بين الأصوات صوتها  
دم يلعل طوال وقوهى أى صوت، وعيى مسترعة من مرقدها  
بحت جبهتى وراحت تعند هي كل مساحة حالية تبحث عن طبعى  
فكأما نظراتي اشعاعات كشاف تريحه الرياح، فلما لم يعلق بها  
طبعها انطاعت خريانه حسيرة وهكذا أعمصت عيى واشعلت  
سبحارة وأخذ دماغى يسترد نفسه ليفكر مبهود في الأمر دهسى  
و لله احساس مفاجئ بأن الشؤم قد حالفنى اليوم معها! إذ أننى  
لم أكن أصدق أن تختفى فجأة هكذا يا خال، وهي التي كانت  
بروح وتجىء في الدفيقة الواحدة ستين روحة وجيئة وكانت  
دهسى موجودة في الشارع كله حتى وهي داخل دارها جابى  
احساس بأنها الآن لا بد أن تكون في خلوة مع أحد، ففار دعى

فورا، وأوشكت أخرى في الحلاء سموت أشج به رأس كل من يقامى، لم يستغنى الا طفل صغير من أبناء جيرانهم رأيت يلعب بجوارى، لاطفته سرحت به، عرفت منه أن «حنة» انتقلت هي وأما برفقة أبيها إلى بلدة «أولاد إلياس» المحارة حيث ستنفى هناك طويلا إلى أن يعود العمدة

سبحان الله يا بوى، خطر في بالي أن «حنة» هي ابنة «أبو سكين» الحفير الحصوصى والمراق للعمدة أيما ذهب، والعمدة له ربح عريض في النج اقترىب منا، يحلو له أن يقل محل إقامته إلى هناك ليكون ساهرا بحق على رحاله لما تذكرت ذلك حفت لبرهة ثم حدثت أنه أن مزن على سهم الله حين انفردت بها هي الجباين، ثم قلت ما من بد، فلا بد أن أراها، ولأحدثن معي واحدا من أصحاب عمري القديم أو بالأحرى من أصحاب أمي ونقصم الكريم إلى دارهم.

في الصباح بحثت عن أحد يذهب معي فلم أجد، فاعتظت أيما غيظ فلأدهى وحدي بنفسى من أجل نفسى الست رجلا يملا العين؟ وقد كان.

أركنى الصحنى على الطريق وأما أنسم ربح حنة، وعطرها كلما اقتربت من حدود «أولاد إلياس» إلى أن امتلات حياشيمى دراحتها البعاده، فقلت حولى، فإذا به «أبو سكين» الحفير يخرج من عبط القطن المجاور لى، والعمدة يتحجل أمامه متقافرا فوق

دراريق مفعوحا ينكاد الكبير بفركه، وكان الشر مادييا عليه حين أرسل نظرة سنيّة إلى جوارى فطرت فدا بولد صغير قد سرق «حجر» قطنا وما هو ذا يقف مشلولاً بسريقته يتلبسه الدعرج، بعض عليه «العمدة» مأسكه من كتفه وهرب معنف ولعن «أبو الدين» خلفه، وهي به إلى «أبو سكين» الحفير، ضربه «أبو سكين» «سيف» على وجهه وربع ما معه من قطن ثم تركه نظرت هي الولد معرصة وعرفنى، انه ولد عسان وعلى قد حله ولكن يكفيه صيتا أن «عبد الرحمن ملك الموت» عمه لزم

عم الولد اسمه «عبد الرحمن» على اسم سيدتنا عبد الرحمن عروائين الذى يقص الأرواح بأمر من الله حلت قدره، ولأن عبد الرحمن كان قويا كحصان فتى عملاقا كمنذبة ضحما كميل شرسا كحوت فانه كان اذا ضرب واحدا براحة يده فقل عليه يارحمن «أرحيم» وما ساك لو ضربه ضربا حقيقيا، اذا نزل في معركة على بحر أو مخلوق مهما كان جعيفا أن يقف قائما، كان منظره يفص «أحد» في عرصة، يكفى أن يعطى اتحياز - ولو بكلمة - لآى طرف، فعلى الطرف الآخر أن يجمع رجاء رحطام حسائره ويقضها «عبد الرحمن ملك الموت» كان جبارا مكارا حبيثا غيا، يبيع نفسه «بما» وعلى المكشوف، ياويلك لو حلفت معه اتعاقا ثم بينكما بالنفس أن يجدك أمك ذات لحظة مكل ساطة، وإذا كانت «أخوه» شاطرة تجبى «أى» أن لاى حريمة وقد عصبت والله «أى» كيف تنسى «أبو سكين» كل هذا في هذه اللحظة؟ كيف

تهور وضرب الولد على وجهه بقسوة؟ قلت في عقل بالي. حقا  
أن الخادم للذعور من سطوة سيده يسقى سلاحا أعمى في يد  
سيده عدوت الرجل لما رأيت سخانة خوف وندم تمر على وجهه.  
وقلت ربما يستر

الهممي الله بكلمتين طبيبتين هذات بهما العمدة وانتهرت  
الفرصة فسلمت عليه وعلى الحفير فكرتهما بأعمامى العقهاء  
ومصيت خلفهما حتى ماكنية مياه العمدة تحت مجموعة متكئة  
من أشجار الثوت والجميز والصفصاف والكافور، حيث جيء  
بكرسى من حطيرة مبروية جلس فوقه العمدة، وأقمى الحفير «أبو  
سكين» تحت قدمي العمدة على الأرض. رميت السلام وشرعت  
أنصرف فقلل العمدة على سبيل المجاملة «أقعد أشرب الشاي  
ياأبو العم» قلت في امتنان. «تشكر ياعمده» كلك واجب» وقال  
«أبو سكين» في ود صادق. «استرح ياأبو العم والطريق طويل  
قلت «أبو الله حق الله»، ثم أقميت بجوار الحفير تحت قدمي  
العمدة متكسا رأسي في الأرض صامتا. صرت كالغريق في بحر  
ياحال، عقلى يقول لى تكلم ياغبيط هذه فرصتك جاءت لحد عندك  
ومن حسن حظك أن العمدة حاصر ومحصره قد يجيء خيرا لك  
لكن عقلى يرجع فيقول لى أعقل ياولد! فصك من شغل الحب  
والغرام ولعب العيال! أمك شيء حتى تشتمل وتجيء لخطب!  
وأبنة أبو سكين الذى يستطيع بقربه من العمدة أن يضرك

وبمشيك على هواه؟ وعلى فرص أنه وافق فمن يصم لك أن  
صروف ستعينك على تنفيذ ما تنفق عليه مع الرجس أحمد الله  
أنت لم تتكلم ولم يصدر عنك شيء يقضح صغر عقلك!..

لحظتها ياخال، زحف أمام عيني المنكسفين طيف على شكل ظل  
ملا انبثا مرائحة اللقاح والبذور ورائحة احبطة! هي أسفل ظل  
كعبين مستديرين كالريال الفضة يتسحبان على الأرض ويختفيان  
مع ظل الطيف، الا واعمدة يقول «كثر حيرك ياخنة» انفضت  
كالطفل الصغير يسمع رماة مائع الحلوى، ورميت بعيني في كل  
اتجاه بعلى أراها، لكنها كانت قد احتفت. حفت أن أكون فصحت  
نفسى فنكست رأسى من حديد فاصطدمت عيني بصينية الشاي  
اندحاسية عليها كويات الشاي.

يميم بالله ياخال ماكنت أضع كوبة الشاي على شعتى حتى  
سمعت دنيا عفا فوق الأرض أرجف الكوة بين أصبعي، فرفعت  
رأسى فتلبسى الدرعى انحال ياخال، إذ رأيت «عبد الرحمن  
ملك الموت» مقفلا يمسك نبوته الشهير يجز خلفه الولد الذى  
اصرب الناس فى بلدنا إذا راوا «عبد الرحمن ملك الموت» ماشيا  
سوته أيقنوا أن طبعته لن تخيب أبدا ولا بد أن تسفر عن قنيلين أو  
ثلاثة فى لمح البصر!

دخل «عبد الرحمن ملك الموت» محوبا مكان الدنيا قد غيمت قال  
فى أريحية وبكل ود وطيبة «السلام عليكم ياعمدة»، ثم أقمى

بحواربا ونظر لولد أحبه المصروب قنلا بانتسامة تشجيع  
«شوف يا ولد من في هؤلاء ضريك» وأشار بحوا كيف تم كل  
ذلك في لمح البصر ياخال؟ يعلم الله كيف ولكنني فوجئت من  
ولد أخ «عبد الرحمن ملك الموت» قد صبروا واقفين بالسبايت  
حولنا من كل جهة أشار الولد الصغير إلى «أبو سكين» الحفير  
وكانت البندقية المبرى لا تزال معلقة في كتفه فإذا بالسبايت  
تهال عليه كالطر ياخال. ملغص الحفير وانطلق بجري في الطريق  
والولدان يجررون حلقه يلاحقونه بالسبايت كلما طالوه، إلى أن  
سبقهم بمصافة واستدار واقفا البندقية في وجوههم ثم أطلق  
عليهم الرصاص فأوقع بثلاثتهم على الأرض قتلى عارقين في  
دمائهم

«عبد الرحمن ملك الموت» رأى جثث ولد أخوته مجندين على  
الطريق فانتفض واقفا يبغي اللحاق بالحفير، فإذا بالعمدة - وكان  
هو الآخر غنيا كمثل استرالي - يطبق في «عبد الرحمن ملك الموت»  
يطوقه بذراعيه بكل قوته قصارا يهراس بعضهما كجبلين ملتحمين  
والحفير واقف منهما على مقربة لا يعرف ماذا يفعل. العمدة  
يصيح به «اقتله» اقتله هو الآخر ناعيطه. وكان «عبد الرحمن ملك  
الموت» قد نهدل العمدة وأوشك يرمغ به الأرض، وكل منهما  
يدور بالأخر في دوامة. والحفير يصوب مأسورة البندقية في  
جنب «عبد الرحمن ملك الموت» ويصرب، فتخرج الرصاصات من

بصلع الآخر مختربة صدره بالعرض. وهذا تركه العمدة فوقع،  
نكه بهص في اسحال. اندفع يجرى جنب الحفير واسم يرب من  
حسيه ولا أعرف كيف السقط بيوته ثابته وأعب الطن أن بيوته هو  
بدي طار اليه. وكان العمدة يجري خلفه ليحول بيه وبين الحفير  
أدى بعثر موقع في المصرب بحركة بهلوانية استدار «عبد  
الرحمن ملك الموت» مرتدا في قفرة واحدة حيث هوى بيوته على  
رأس العمدة بصربة واحدة سقط العمدة بعدها وشظايا من محه  
تتأثر في الهواء كزبل الحمام. ثم أن «عبد الرحمن ملك الموت»  
مدد قفرة أخرى نحو المصرب مدعا الحفير بصربة أخرى فوق  
أرنبه. وكان سخطها يحاول تحليل بسندقية من طين المصرب  
سقط وأيها في الطين جثة هامة، فوقها سقطت حثة «عبد  
الرحمن ملك الموت» هامة. أما بيوته فكان من عزم بصربة  
وافكان اليد قد طرد بعيدا ليصيب العمدة بصربة أخرى - عفوية  
هذه المرة - في صدره»

واه يا بوي. و. ي. واه. ست جثث مرمية على الطريق وهي  
المصرب لراكد تبتدر قدوم البياض أربعة أيام بخمس لياض تصرب  
لها الشمس حتى تعفمت يمين الله ياخال أن الراشدة الكريهة  
هت كاتمة على أنفاسها جميعا سنين ملوية، والحواف كله بات  
لما عبد ماكينة مياه العمدة وعاريت القتلى تنسلق الأشجار  
والجبلية تكيد للبشر ليل مهارة

اندقنت الحدث، والنيابة التي يهملها التصريح بدهن الحدث لم يعد يهملها الإمساك بأحد ممن يعتصمون بالجبل كأنما الجبل يخرج عن حدود مسئوليتها، والواقع يابوي أنه يخرج عن حدود طاقتها وقوتها وكان العمدة قد تكفّف تهريب روج الحفير واسته أهل الموتى دفنوا موتاهم هي صمت كأن شبيها لم يكن، حتى بدأ كأنهم سلموا أمرهم إلى الله بعد سقوط رعيمهم سبحانه الله ياخال، على خطورة هذا الحادث انكبير فإنه مر كما يمر أي حادث، نسيه الناس في بحر أيام قليلة

ما أدرى إلا والعمدة الجديد ابن عمه يبعث حفيرا محبرما هي طلبي أتيت بقلبي من بين ساقى وقلت لاند أنه يابوي أن يستشهد بي ويجرجرتني في محاكم ونيايات وأنا جسدني متلبس بها من حاله فلا يطبق منظرها فكرت أسي لاند لي من الهرب يابوي أيصيق بي الصعيد هو الآخر واضطر للهرب منه لم يعد أمامي أنا الآخر سوى الجبل اعتصم به ولكن هل أنا قد الجبل طلب وأمس وأخواتي يابوي من برعاهم وما لزوم الهرب الصراحة حلوة الكلمة الطيبة أحسن أظلي كلمة حاصر ليس أريح منها قل حاصر لمن يلح عليك وأعمل ما يحلو لك بعدها في السر أو في العلن قل يعترض أحد

بحلفت في عيني الحفير فلم أجدهم عكارة تشي بأن هي الأمر ضررا فتوكلت على الله وذهبت معه خير ياعمده

لدهشتي سلم على يدا بيد وقال «أجس»  
فأعيت على الأرض بحوار الكراسي الخالية..

قال «ياحسن ياأبو ضب»

فت. «نعم ياخضرة العمدة»

قال «ما بقي فيك من لبن أمك؟»

قلت. «كله معون الله ياعمده»

قال. «أعرف والا ما بعثت لك!»

صار قلبي كالشباك في خيط مطاط يلعب به صصي. لكنني استطعت أن أقول. «ملك يمينك ياعمده»

قال «بحث في البلدة كلها عن يكون قد بقي في بدنه شيء من لبن أمه فلم أجد فعثت لك هات شايًا ياخفير»

قلت لنفسى أهلا وسهلا. وتوقعت أن يكتفني بقتل أحد الناس. وبدأت أفكر في حيلة أخرج بها من المزق، دخل الحفير لأشدي في الحال، للعمدة ولي..

والعمدة وهو يشفق «شعب ياحسن. الحكاية وما هيها حدث عن يجع ما كينة المياه طول الموسم.. وكل من عرصت الأمر يحاف من عفاريت الجثث»

قلت باسمها وقد هان الأمر على نفسي. «معهم حق ياعمده»  
«أبده مسكونة. فهقه العمدة ضاحكا وقال مشوحا في



وجهي: «عفاريت إيه يارجل! أنت رجل ميت القلب وأبوك أحسن من حجر المكى. اسمع لسوف أحملك مسسوط على الآخر طوال الثلاثة أشهر مدة الموسم»

فى هذه اللحظة يابوى، ابنه وكيل يابوى، طقت الفكرة فى دماغى لا أعرف كيف! قلت له «رقتى مداؤك ياعمده لكى لى طلب واحد فقط لو بغدته لى» «فهر رأسه فى قبول حسن وقاس مشجعا «قل عليه» قلت «أريد أن أتزوج حنة بنت أبو سكين»

انقلب وجهه فى الحال يابوى، وظهر عليه العصب الكبير حتى حلت أنه سيرعسى فى وجهى بقدمه، إلا أنه تطف فى الحال قائلا «رواج مادا يابو العم» «حسن فى جدار» هل هذا وقته بدمتك؟». خجلت من عفى والله ياخال، ومادت بى الأرض، فقلت «معك حق ياعمده» كان يجب أن أميز» قال «ساعطيك فى الثلاثة الأشهر ثمانية تاليس من الذرة»

ثمانية تاليس يابوى، كمية كبيرة والله يابو العم، أربع وستون كيلة تسترجوعا وعربنا ربما طويلا، فقلت «موافق ياعمده» ورمنا معى بلذن الله» بدى على حفيظه أن يرسل فى أعقابى أربعة تاليس من الذرة المعويجى إبنى داريا مقدم أحرر أحصل على ناقيا قرب انتهاء الموسم.

### الثالثة - عصف الريح

المبالي طويلة ياخال والشجر أشياخ مفيدة تصاعف من عمق اسواد لكحن، وقللى واقف بين جسى ياخال فلا أرى، لا شمع «حنة» محفوقا يعفريت عند الرحمن ملك الموت الذى يتفها فى صريرة متهورة عشية، أهو الشؤم أم قلة النبت؟ أم أنه موعطة من الله يسوقها لى كى أتعط وأصرف نظرى عن «حنة»! وهل الأمر بيدى يابوى؟ لو كان غيرى فى مكانى لصرب هذه النبت باصرمة القديمة ورعص الرواج منها، لأن أنها سهلة الخال ترمى نفسها تحت أقدام من يرعها وليس بالضرورة أن ترعها» عفى قول لى هذا الكلام دائما، وأراد عليه مصدقا له، مع ذلك ما أن حضر «حنة» على بالى محاه حتى ينقص قلنى كعصفور معلق فى حيط من انطاط تقول عنى كادبا مجنونا لو قلت لك أسي دحب انحظيرة التي كانت تعيش فيها «حنة» قبل الحادث فتستمت رائحتها قوية معادة مربعة ياخال قل عنى ما يحلو لك لكنى لم يكن يها لى يوم إلا فوق مصطنة تحيلت أنها كانت تبث فوقها»

انتهى الموسم على خير وبركة، ورزقني الله محبة جنيتها  
بعث بها سواقط من ررع العمدة، وعمرت الدار بحزير يكتفيها  
شهورا، وعمر جيبى بعدد يكتفى للسفر

رأت أمى أن تعد لى لقمة طرية أكلها فى الطريق أو بعد  
وصولى، ما كان لها لزوم ولكن هل أقدر أن أقول هذا لأمى؟  
بالأمس أجلت سفرى حتى تمسل لى ثيابى، واليوم نؤخله حتى  
تصنع لى لقمة وعدا يعلم الله أى سبب جديد يطرأ عليها فتؤجل  
السفر من أجله!!

قمت أمشى فى البلدة قليلا أملأ منها حواطرى قبل أن أودعها  
كنا فى البصرى والجو كثيب ملء بالرياح المترفة رأيت جماعة من  
الرجال يجلسون على مصطبة بجوار مكان الحائط سلام عليكم،  
عليكم السلام جلست جوارهم كان الراديو يرفع عقيرته بالعماء  
الحامسى، وكل الاغاني تقول مصر مصر مصر وكلاما  
كثيرا عريبا قلت: «ما هذه الاعياد؟» قالوا «مالها؟» قلت: «فيها  
جر شكل كبير» قالوا «سمعا الراديو صد برهة يقول أن ثلاث  
دول كبيرة هى فرنسا وبريطانيا ومن تسمى اسرائيل قد هجموا  
على مدينة بور سعيد - الباسلة - وأن انه نصر أبو عبد الناصر  
عليهم. وكان صوت «أم كلثوم» يغنى قائلا صوت السلام هو  
اللى كان واللبل حكيم! قلت: «يه. يه. يه مصر أنت بخير يعنى  
أم لا؟» قالوا «العلم عند الله» قلت: «مسافر أنا إليها فى

العدة، قالوا: «سلم لنا على ولد أبو عبد الناصر».. قلت كاسى  
سافعل: «يوصل» ثم حفت يابوى، قلت لأبى أن طيبة قلب أمى  
هى التى عطلتنى من أجل «ثدة لى» مهل من المعقول أن ينتصر  
«عبد الناصر» على ثلاث دول؟ أما اسرائيل هذه فلم أكر سمعت  
عنها من قبل يابوى وأما فرنسا وبريطانيا فأعرف أنا كنا  
واقفين تحت احتلالهم حتى مجيء «أبو عبد الناصر» الجذع  
«الأمير» هو صحيح جذع وأمير وبطل، ولكن هل من المعقول أن  
يحقق مثل هذه المعجزات يابوى؟

عصفت الريح فجأة وأهالت علينا تلاليس تراب، فأحسست  
والله أن الجو يذر بالخطر مر اثنان من عائلة «عبد الرحمن» ملك  
دوت بصمان يديهما فى فتحى الحلابيه، وكانا مسرعين يندو  
ملهم الاضطراب والبرحله، لم يلقي السلام علينا، فظننا إى  
بعضنا وقلنا «استر يارب» ذلك أن مشيتهم ذكرتنا بمشية «عبد  
الرحمن» ملك الموت» بعدها بقليل فات علينا اثنان آخرين من نفس  
العائلة يمشيان نفس المشية اللهوجة ولكن فى الاتجاه العكسى  
«أعقابهما» فانت امرأتان تتدثران فى ملسين أسودين ولا يبين  
«حسديهما أى شيء» وكان يندو من شكلهما أنهما عريتان عن  
البلدة

«بعضنا» بعيوننا حتى احتفتا فى حودة الشارع كفت الاغنيات  
«أه وجرج من الراديو صوت «عبد الناصر» بدأت نفسه يهرس

بكلام كثير حلو مهمت منه أنه يوجد في مدينة السوس قناة  
حفرها أنثوا وكاف عرسا تصع يدها عليها وتنعج المرور فيها  
لحلق انه بأموال طائلة وأن «أبو عبد الناصر» الجبار أحد منهم  
هذه القنابة قائلا جحا أولى بلحم ثوره مصفقت وابنه لهذا الكلام  
ولما فهموا معنى على الحقيقة تفجرت ضيحا مع هدير  
السامعين، هتفت: يحميك!.. يحميك يا أبو عبد الناصر يا جمال..

إلا وصباح شديد يجرى من يميننا ويقترب إذ نحن كلنا وقوف  
نتنظر وإذا برجل يجرجر جسد امرأة على الأرض وخلعه بصع  
رجال وأطفال يصيحون ويرطون ويجعلون مما اقتربوا مما تنبى  
لما أن المرأة المنجرجرة على الأرض هي إحدى امرأتين اللتين مرتا  
علينا من قبل، وأن الرجل الذي يجرجرها هو أحد رجال عائلة  
«عبد الرحمن ملك الموت» الذي مر علينا من قبل، وكان يصيح من  
أعماقه من أنا امرأة يا ابن الكب. والله يا حبل لم تعص دقيقة حتى  
امتلا لشوارع عن آخره ناس من عائلة «عبد الرحمن ملك الموت»  
وأقاربه، راح كل منهم يترع عن هذه المرأة شيئا حتى عروها كما  
ولدتها أمها فإذا بالصياح يرتفع ساحرا مستنكرا وإذا بنا نطر  
رجلا كامل البرحلة وإذا هو «عحروء» ابن البعده كان مستنكرا  
لهرب من البلدة قبل أن يفكر ولد عم «عبد الرحمن ملك الموت»  
في اصطيدته، ولم يكن يعرف أنه خرج من جحر الدار إلى  
المصيدة نفسها و. يازين صلي!!

محروءة يانوى؟ جهنم الحمرء اطلقت؟ فئوس وكريكات وطلط  
سككين ومحارط ومناشير، غير انقصى والسائيت كل ذلك راح  
سهال فوق جسد «عحروء» ابن البعده اوجيد ورفيقه الذي كان  
مسكوكا في رحلة لهرب الناس يانوى رأت المنظر هكذا فاحذت  
تصرف من كثرة المشاعة، حيث سقط جسد «عحروء» السككين  
على الأرض رأسه مغطت كراس الذبيحة، جاءت مساء من عائلة  
«عبد الرحمن ملك الموت» بجرين نحو الجثة، ملن عليها ورش  
شرب من دمها كما يشرب عصير القصب، ويقمن بمسح اندم  
عن شعاهن، ونساء أحريرات مرنن فوق الجثة سبع مرات، ثم  
ابالت السككين واللط تقطع في لحم عحروء ورفيقه وترمي  
للكلاب التي تكاثرت واسعرت والله لم يتبق عن حثتهما سوى  
بقايا عظم وأظفر، وحصيرة دم راحت الكلاب المستعصعة تلعتها  
في سأم!!

كل ذلك ونحن جالس في أماكننا يابوى في العصر حاءت  
مسكر الحكومة واستجوبت من لفته من الناس، فلم يفتح أحد  
فمه بكلمة، فانصرف المسكر دون أن يقصوا على أحد مروا في  
طريق عودتهم مدار تسعت منها الرغاريذ اسعالية والطنبول  
والدفوف الراقصة، ولو سألوا عن الدار التي يسعث منها هذا  
الفرح لغيل لهم أنها دار «عبد الرحمن ملك الموت»، ولو فكروا في  
لفرحه على هذا الفرح لأروا صيوان العزاء قد أقيم وبدأ الرجا

يرشون الأرض ويرصون الكراسى ويعنون الميكرون. هاليوم  
فقط يحق لهم تقبل العراء فى قفديهم.

امتلا حو البلدة بالعمار المسود، ولم تتمكن أمة من صنع لقمة  
طرية أو فعل شئء بعد الذى رأياه رؤية العين فى قلب شارعنا  
فى قلب الطهيرة والشمس مخترفة سقف السماء وجاء خبر  
انحرب فى بور سعيد فكسر مقاديعى يابوى وصور لى مصر  
القاهرة كتابها ماسورة مدفع كبير قل أن يدى تناولت على أجرة  
السكة. أخذت معها ثمر ورقة دحان لف، وفى ثامى يوم ورقة  
ثانية. وثالثه فى ثالث يوم آخر قرش اشترت به سيجارتين مكى  
قرطتهما ولغت خمس سجائر رقيقة وجلست فى حوش دارنا  
أفكر فى حنة قللى هذا العلق اللعين يريد أن يربطنى بمصيرها  
لا يريد أن يدرج الحلة ويتركها أحد نفسى جالساً فى عمر الليل  
وحدى أقول لنفسى ما الذى ستفعله هذه المسكينة العلىانة التى لم  
يعد بها أحد فى هذه البلدة؟ هل يعوصها العمدة المنكوب فى أعز  
مخلوقى لديه؟ هل يستطيع أى عوض أن ينسبها بشاعة ما حدث  
لأبيها؟ صدقت يا أجال اذا قلت لك أبى الوحيد الذى يستطيع أن  
ينسبها لو أخذتها معى إلى مصر بعيداً بعيداً وأريتها من قلوب  
العشق والجنون الكامن فى مصر ما ينسبها أهلها وحتى اسمها آه  
- فقط لو أراها!!

الأيام تجر بعضها ومزاجى معكر يابوى ليس فى حبيى  
سيجارة ودمى السحر يمسكنى عن طلبها من أى خسيس دخل

عليه شهر رمضان، أهلاً وسهلاً شهر مبارك، هو ونصيبه أول  
يوم كنت جالسا ساعة العصر أفكر فى ما عسى أن تكون أمة قد  
أعده لنا فى الإفطار فى شهر رمضان عند الإفطار تخرج  
الصواى من دور كل مروج العائلة لتعتمد فى المندرة. حيث يتجمع  
رجال العائلة ويستقدمون معهم من يلقوه فى الطريق أو من  
يعرفونه من قبل أو من يشدونه عنوة للإفطار من أبناء السبيل.  
دارما هى آخر دار فى الصف مفعلة قليلاً لكها - شأن بقية دور  
العائلة - متصلة بالمندرة، فإذا كنت جالسا فى مندرةنا ساعة  
الإفطار تلاحظ أن للمندرة باباً داخلية، يفتح على دهليز مستطيل  
كأنه شارع داخلى تحفه الحدراى وتفتح عليه أبواب الدور على  
الجيبين

تضللت نفسى جالسا فى المندرة بين الرجال أرقب الصبيبة  
القادمة من دارما أتتحيل منظرها وما سيكون عليه من تعاسة  
توهت نفسى بعيداً عن شارعنا، عامدا متعمداً، حتى أدركنى أذان  
المغرب فى جامع فى ناحية أخرى من البلد. فأمسك بى رجل كنت  
أعرفه من زمن ولم أكن قابلته منذ سافرت إلى المحروية مصر!  
رأسه وألف سيف أن أذهب للإفطار معه ذهبت يابوى، فإدا  
دالرجل يقدم الصبيبة أمامى عليها فصلة حيزك أربع فردات من  
الحمام السمين وسلطاوية الشورة التى لا مثيل لها فى تعصير  
الدماغ. بالهواء والشفاء أكلنا وشربنا الشائى والذى منه ثم انكلت  
على الله مروحا إلى دارنا.



بقايا عظام وفصلات وفروشات الباعة عدت كحاسف المال يا حان.  
لعبت على دور الشارع دارا دارا أسأل صاحبة كل دار «عندكيش  
حمام يا حانه؟»..

«لا واللبى يا ابنتى»

فعدت إلى الدار أجبرر ساقى جلست بجوار ضيفى كأتى فى  
محبرة أتلقى العزاء، فتارة يخبيل لى أن جلدسى مثقوب من فوق  
مؤخرتى بالضيبط، وتارة يتحيل لى أننى قد تبولت على نفسى  
فجأة، وتارة ثالثة أتخيل أن ضيفى قد رأى كل شىء وأحس بكل  
شىء الأرض راحت ترتفع أمام عيى وتحفص يا بوى، وثلاث،  
فرايت من مكانى فى الحوش نسوان الدار وقد انتهين من المندرة  
ووضع المساند وتجهيز الطبلى وطشوت الغسيل والاباريق  
المحاسية والقوط جوارها وصوانى القل، والشمس صرقت لونها  
الاصفر ولبست الأحمر المشتعل وهامى دى قد بدأت تتعجم وتذبل  
حمرتها المتقدة، وأحد ضيفى يسمل ويحوقل فى انتظار صلاة  
المغرب، خلاص يعنى؟ سأقع فى هذه الوحلة يارب! تخيلت  
نفسى ساحبا ضيفى داخله المندرة على الرجبال والحيرة  
تفرقنى تلحننى لا أعرف من شدة الحرج على أى طليعة أعود  
لمتطفل عليها معا متجاهلين طليعتى " فكانت الدموع تفر من  
عيى، وسمعت صوت الطشطشة فتيقنت أن أمى قد سيحت  
السمن وعلقت البيض وقلته فيه شىء إلهى ذكرى باهية خالتي  
«ميمسة» وهى امرأة تحببى وتعزنى كثيرا لأمى أحمل شعبا من

امم المرحومة، وهى متزوجة فى قلبى انسد وكلما رأيتى عزمتى  
على الإفطار وهددتى بالغصب إن لم ألب دعوتها وكنت - تهربا  
من إلحاحها - قد خلعت لها لأحصر دات لحظة طالبا الإفطار  
بنفسى

النه وكيل ما أن تذكرتها حتى رأيت ابنتها الصبية مغللة عليا  
توسع ورية الباب بردفها وتدخل صائححة «سالحير يا حانتى»  
مهصت مسرعا إليها كانت تحمل على رأسها سلة كبيرة من  
البوص مغطاة بشاش، ميلت بحوى قائلة «أمى تسلم عليك وتقول  
لك ما دمت لا تريد أن تجى لتعطر معنا فاعطارك يجى لحد  
عندك» وقركت السلة فى يدي وانصرفت، قلت: «ها ما انت كريم  
يارب»، ودخلت أجري إلى أمى. رفعت الشاش فرأيت حلة كبيرة،  
«احتها وجدت فصلة حيرك لحوما وطيوراً وأرزاً فأحدث السمن  
اشدوح من يد أمى ودلقت فوق الشورىة وقلت لها «جهزى  
الصبيبة يأمى»، وعدت إلى الحوش وقد أحسست أن قامتى قد  
اكدلت ياخال، وحررت الدماء فى لسمى انشافه، وقلت لضيفى  
«كل شة تفصل معى إلى المندرة»، ومشييا فى الدهليز المستطيل  
بحر اندرة أكاد أقول يالارض اشتدى ما فوقك قدى.

فى تلك الليلة ظلت ساهرا حتى شروق الشمس ياخال، غير  
أه أشرفت على فى الطريق وأنا متوجه إلى مصر بدون نقود  
أذكركة وبدون أى شىء وكنت وأثقا والله ياخال أسى سوب  
أصل بسلامة الله كيف لا أدري

## الجهات أربع الأولة. في الليل البهيم

شريط السكة الحديد يحنرق بلدتنا يفصل العرب عن الشرق  
العرب هي ملاديا أقوى من الشرق، لكن الشرق أعنى من الغرب  
أسبب أن أهل الشرق محاورون للين مباشرة، يزرعون الارص  
أكثر من زرعة، وهي أحود أرض في الناحية كلها، طما، بافور،  
ساجن سليم، المطيعة، أبو تيج، الحيلة، شو ضب، أولاد إلياس،  
السرد، المعصرة، العصارة، السدري، كوم المعري تحت الجبل  
الشرقي، وعيرها يابوي أرض يحلف الرخ بحياتها، وأهلهم كلهم  
ميسووظون وعال الة ال. الدور والباقي على أهل العرب مثل  
صدفة، ادونكا، الزاوية، المسعودي، الزراني، المشايعة، الدوير،  
كوم سفحت، أبو حجر، كوم سفيد، الوعاصل سلامون، اشناينة،  
المجع، الريانية، البيرية، العامري، العزايزة، العنايم، دير الجادلة،  
كردوس، يمي فين، القطنه ملاد كلها يكثر فيها الفقر كلما كثر  
عدد الرجال وما أشد ما يكثر يوما بعد يوم، فكل بصع سنوات

تتمتلىء البلاد برجال جدد، بلا عمل ولا أملاك ولا أى شيء، فمن أين تأكل يا بوى؟

أراضي الشرق وملاكمها يستخدمون النعص يتراب انلوس أمهارة وتقليد وخفراء وزرايية، وباقى الرجاى يعيشون على الحطوف والهبب والسرقه والاعتصاب شىء فطليح ياخال، لم يقد بلادنا كلها من جحافل الصعيد الراحفة سوى سد السعير إلى البلاد العربية، حيث هاجر إلى السعودية وكنويت والامارات وليبيا وبعراق أعداد لا حصر لها من المتعطلين الذين يشيبون لىالى الصعيد ويهرولها كانوا يثيرون الرعب المتواص هي عز الطهر الأحمر لكنهم - صدقنى - كانوا يؤنسون وحشة الليل. آلاف المتعطلين المجرمين تقذف بهم البطون الخصبة والدماء الساحنة فى الصعيد بلادنا تحب سيدنا محمد وتريده يتباهى بهم يوم القيامة بحق وإن شاء الله يوم تقوم القيامة الحقيقية يا حال فسوف تكون فى مصر" فمذ طفولتى وأنا متأكد أن الناس ستأكل بعضها بعضا فى يوم قريب همار على الأبواب! مثلما حدث ذات يوم فى بلدة «بنى فير»، حيث تقاتل رجالها حتى أقتوا بعضهم قاء تاما"

يبدأ موسم الخطف حينما تكبر الدرة فى الفيطان. كل واحد يحطف له خطفة واحدة كثيرة يعيش عليها بقية العام إلى أن يدير لحطفة جديدة تجيء له جواسيسه من الشرق قاتلة له أن فلان

١٠٠ من دوى الأملاك سوف يخرج فى الساعة العلانية فى يوم العلانى متوجها إلى مكان العلانى لا يقع تحت طائلة التعسف الا الدس المهمون التحاين، الذين يجيء من ورائهم جبر مصمون، يكون الرجل ماشيا فى حالة تحت جميع الطلام أو داء الفقر لا يهم، فردا بالأشباح تخرج له من بين عيذان الدرة - قصة عليه ممسكة به تحت وأبل من الرشاشات الهوائية للرمة - كان فى حراسة أحد هان مصيره معلق بفناد النخيرة من أحد بطرفين، وإن كان وحده فانه سيسلم نفسه حتى لو أصاب رهاسه يتكلمون به على الله إلى مخا بعيد، يرسل الخاطف واحد من طرفه يسع عائلة المحطوف بشكل معروف، كان يكون المرسل نائما سريحا مثلا ويقول أمام رهط من انقوم أنه سمع ، وكند فى السدة العلانية أهل المحطوف ما أن يسمعوا الخبر شى يتكلموه ويكفون فوقه مجورا، وإذا ما سألهم أحدهم عن محطوفهم فدهم يزعمون أنه مسافر فى مشوار وسوف يعود، أهم بالطبع لا يجرمون على تبليغ البوليس، لأن الخاطف بمجرد ما يبلعه جواسيسه أو الحصر وحصل إلى الحكومة يكون عليه التعسف فى المحطوف، سوف تختبئ جثته فى مكان لا يعرفه أحد، ، هنا حاول شىء يفعل أهل المحطوف أن يبدءوا فى البحث عن ، يعرف الخاطف لكى يتفهم معه كل محطوف على قدر سمواه تقدر ديتة مطلوب أنف، ألفان، ثلاثة عشرة يأحدها ، سوف حتى يطلق سراح المحطوف، فى لحظة يحترها الخاطف،



بعداً أهل المحطوف يحطونهم يدخل عليهم الدار ذات لحظة، وإن  
سألوه هل يستطيع أن يصف لهم أى شيء عن المكان الذى حبس  
فيه ولا وجه أى أحد، لأنه من لحظة احتطافه لحظة الإفراج عنه  
يظل معصوب العينين مكتوف اليدين يدخل له بالطعام والشراب  
أطفال صغار مجهولون فى أمدك مجهولة، وقد يحدث لاتفاق  
على الإفراج فى بلدة غير التى تم الحطف فيها، وقد يتم الإفراج  
فى بلدة أخرى بعيدة فى ساعة دامسة الظلام.

مثل كل الأمهات فى بلدنا كانت أمى بحرمى دائماً يمشى مع  
هؤلاء الولد، تقول لى

«دم قامض معهم مشواراً أو مشوارين بدلاً من قعدتك هذه  
يكرمك الله بالعشاء».

ولم أكن جريت المشى معهم من قبل يا حال. وكنت أمشى  
قاصداً المحطة أركب منها القطار إلى مصر ولم يكن معى بقود  
أركب بها لكن عشمى فى الله كان كبيراً، أن أحشر فى الزحام،  
معى الزحام تتحرك يدي بكل حرية والبأس ملهية هى كتمة  
الزحمة دخلت محطة القطار، انحشرت بين الواقفين أمام شباك  
التذاكر كأن معى شئ التذكرة لحث رجال عفا يمسك بيده جيبها  
كاملاً، يدفع الناس بقوة لطيفة يريحهم من أمامه يتقدم نحو شباك  
التذاكر يكاد يلامسه النصقت به مباشرة يابوى كأنى بقيقته، ما  
كان يصير أمام فتحة الشباك حتى ناداه ولد عمه من بعيد، وكانت

أعنه لحظتها قد تسربت بالفعل من فتحة الشباك رامية ورقة  
أحمر على الرحمة فى حين استدار هو ليتكلم مع ولد عمه الذى  
راح يحد ويحطى معه فى الكلام. لحظتها كنت قد صسرت أمام  
«شباك مباشرة ورأسى انصغيرة تطل على موطف التذاكر من  
«لال الفتحة، الذى نظر لى وللجنيبة المرمى أمامه قائلًا «فمين»  
«السرعة «سيوط»، فقطع التذكرة وجاء بقيقه الجنيبة أراحها  
أمامى فأحدثها ورقت من بين الأحقاد والأرجح وانطلقت أخرى  
«الريح وكان الزحام قد لفظ صاحب لحبيه عصر يحاول  
الدخول فيه من جديد والوصول إلى الشباك ثانية، بينما يصيح  
«دعراً» «تلاته سيوط يابيه وبقية الجنيبة» تلامه «سيوط يابيه وبقية  
لحبيه» قلت لنفسى: فرجيت ياولد، وعشبت رجلى فى أمشى  
متدحرجاً نحو سفح الطريق.

## الثانية - الوقوع فى عرين النار

عصبا عني وجدتني بحداء الجبل. كنت حرميا فاشتريت ورقة  
دخان وتشوقت لكوبة شاي، فقلت للرجل الذي باعى الدخان «ألا  
يستطيع المرء أن يشرب كوبة شاي في هذا الطريق الفقراء؟ فظفر  
في عيني مباشرة وراح يتعصصهما، ثم قال مهدوء العاهر  
«يستطيع» طالما في الطريق ناس فإنك لابد أن تجد فيه  
ما تحتاجه» قلت «ربنا دائما يوقف لنا أولاد الحلال» قال  
«تفضل! لف واحل!»

وكنت أظن أن العنشة المربعة التي يجلس فيها على الطريق  
وسبع السكر والشاي والدخان واجر الواوور والحيط والطوى هي  
مجرد هذا المربع الصغير، فلما لففت في الاتجاه الذي أشار لي  
عليه وجدتني في دار أخرى يابوى، بل وجدتني في مملكة مثلت  
كبير من الأهرام في مجدر حادع، مسور بالحديد والسلك أرضه  
باحد في العلو كلما اقتربت منها فيما دخلتها خير لي أننى أدخل  
تحت الطريق في سرداب متصل بالجبل الشرقى بمر من تحته  
مسافة طويلة لابد أنه يكون من شق الفراعين أنفسهم ولا أحد  
سواهم يعوت في قلب الصخور هكذا. ثم فوجئت ناسي في معارة

محفورة في جذر الجبل على شكل فسقية مهولة تصلح أن تكون  
سامرا تحت الأرض وتصلح أن تكون مدسنا للقوم كلهم. عشرات  
الرجال والنساء رأيتهم يجلسون جماعات أو اثنين يشربون الشاي  
والقهوة والقرافة المطرية ويدخنون الحشيش على الحورة، وثمة  
من يقوم بخدمة هؤلاء جميعا من ولدان متحركين نشطين ما هذا  
الولد يابوي؟ الرجل الطيب لمن بي خيرا، لاند أن منظرى حذعه  
فتصور أسي أريد ما يريد هؤلاء أين أنا من هؤلاء يابوي؟

استقرت صخرة مربعة جلست فوقها، رحت أتأمل في هذا  
الخلق الذي لم أكن رأيته من قبل أبدا يابوي ولم أكن أعرف أنه  
موجود في هذا المكان جاءني أحد الوندان سالحير يابوي العم  
مساه النور أهلا وسهلا تشرب ايه؟ قلت كوب شاي من فضلك  
واحسانك، ما مررت دقيقة إلا وجاءني الصبيبة عليها برد خارج  
لثوه من صهد الرمل تقوح منه رائحة شاي طازج ومعه كوبة مع  
قطع من السكر وضعت القطع في الكوبة وصرت أدلق من البربور  
في الكوبة فوق السكر وأعود أدلق في البراد وأكرر حتى صار  
الشاي مربوبا مرغيا وآخر حلالة صرت أشرب وأدخن وبغسي  
مفتوحة لمفسين من الحشيش الذي بدأ يدخل في نخاشيشي  
ويملها. شغطة شاي والثاينة ورأيت ظلا يقف على دماعي  
ويصبح «حسن ولد أبر ضب» فزعت ناظرا إليه، قلت: «حدامك  
أهلا وسهلا.. باثلثمائة مرحبا.. جلس بجواري، منظره جذع  
محترم، يلبس الكشميرة والصديري الشاهي، من الواضح أن  
جنبيه منتفخ بالمسدس وخزينة الدخيرة والمحفظة، عمامة كبيرة

بشان ماصع البياض حول طاقية بيضاء، جبين عريض مبيض  
وحهم، شارب مستنفر على الدوام ياصيعين يحركهما فوق شعنتيه  
الرقيعتين باستمرار قلت.

- «من الكريم؟»

قلت

- «تهت عنى يا حسن يا ولد أبي ضب».

قلت

- «العتب على النظر! لا تؤاخذني!».

- «محسبوك زناشي»

صحت فيه مقاطعا

- «ولد محيمر أبو ناهيه»

تيسم قائلا

- «براه عليك»

قلت

- «أجاويد بنى فين»

قلت

- «الله ينور عليك.. كيف حال الجماعة؟».

قلت كأنني الماكنية

- «بخير»

ثم تذكرت أن الجماعة الذين يقصدهم هم أولاد عمي الكبير، إذ أن «رناتي» هذا ولد عم روجة عمي لزم، صلبت كوة شاي قدمتها له «توصل الشاي» فأصبحت الكوة بيد كبيرة تلمع في أصابعها الخواتم الذهبية وقال: «تشكر يا أبو العم»، ثم شطط وهر يده الكبيرة باسمًا فيما يقول.

«لكن كيف وصلت إلى هذا المكان يا أبو العم؟» «نك اذن نشقى حظير!!»

رفعت كمي مشهدا الله صائجا

«مظلوم والله.. إنما حودت لأشرب كوة شاي وهذه أول مرة أحطو هذه العتبة! صدقني يا أبو العم»

قال ضاحكا

«طبعًا طبعًا .. والا كنا رايناك وعمرناك!!» ففهمت أنه من أعيان هذه القعدة، وأخرجت عتبة دخاني وقدمتها له قائلا «لبي لك واحدة»، فتناولها، ولاحظ أن شيئًا كان لصيقًا بها قد وقع منها على الأرض بجواره فقال وأخذه، فإذا هو تذكرة القطر نظر فيها وقدمها لي قائلا

«كنت مسافرًا سيوط ولا ايه يا أبو العم»

حقق والله قلبي يأحبل، قلت بلحجة

«لم يحصل نصيب يا أبو العم.. قطعت التذكرة وجريت لكن القطر كن أسرع مني وما ناسي إلا أن انطردت في الأرض»  
«جاءت إلا أسافر اليوم».

قال مشوحا يديه في بساطة

«دولك عمي عمل مصيبة اليوم من أجل تذكرة كهذه.. كاد روح فيها قتيل لولا أن ربنا سلم!» زلقة خشنة انحشرت في حلقى يابوي، وأنا أحاول أن أندمش قائلا في استنكار.

«اليوم اليوم!!»

قب

«مدد دقاتي!.. جاءنا الخير أنه يتعارك في المحطة.. جثنا بحري لم نجد.. لكننا وجدنا جثة وهبه أفندي موظف التذاكر بالسكة الحديد ممددة على رهيف المحطة مشجوجة الرأس متورمة الوجه تش تشاوه بين الحياة والموت. وبعض رجال آخرين من زملائه منهم من تهشمت أضلاعه ومن تكسرت أسنانه ومن جدد أنفه ومن انفتح حاجبيه» سالنا ما الأمر يا ناس؟  
«والو! أن ولد عمي أعطى جيبها لرهبه أفندي وطلب ثلاث تذاكر لاسيوط ويزعم وهبه أفندي أنه لم يعطه شيئًا كلمة من هنا وكلمة من هنا هاج ولد عمي واشتد غضبنا في الجميع وبط هارب نحو الجبل فطفت أنه ربما يكون قد جاء إلى هنا فجئت أسأل عنه!!»

غص قلبي في ضلوعي بإخال، صعر وتلاشت دقاته، قلت في صوت مرتعب في ولوله  
«يه يه يه.. لا حول الله له في حلقه شئو»

وهبرت أنصيد عين محدثي باحثاً عن شيء فيها يكون قد وشى  
بى، فلما رأيته يستغفر معى فى واد بعيد عنى وجدتنى أقول.  
- «أمن المؤكد أنه قد يجىء إلى هنا الآن» أم تراه يهرب فى  
مكان بعيداً؟»

قال ناظراً إلى كأنه يستعطينى ولكن بلطف.

- «لا مكان للهروب سوى هنا يا أبو العم»..

قلت برعدة خفيفة

- «نحن إذن فى قلب الجبل الآن!!»

قال كرجل يعلم ابنه خطوط الطريق:

- «نحن الآن فى مقهى الجبل. هذا هو المكان الوحيد الذى  
يعيش فيه المطاريد حياتهم الطبيعية بعيداً عن الأعداء.. هذا المكان  
الذى يشبه العسقية بسراديها هو الخلاء الذى يعيش فيه المطاريد  
بحريتهم هو مكان اللقاء المضمون بين المطاريد وحريريمهم  
وعشيقاتهم ومصادر دخلهم وتموينهم. أصحاحه المطاريد أنفسهم  
وكل الولاد المشتغلين ما هنا من أبناء المطاريد ولدوا هنا وربما  
ألقيت بذرتهم ما هنا أيضاً ذات فجر بعيد..» وليس لقرىب أن  
يقتحم حصار هذا المكان مهما كانت قوته ودياباته وطائراته، لأن  
المكان له عشرات السراديد السرية لا يعرفها إلا عدد محدود من  
عتاة المطاريد المعتقين فى الجبل، وليس كل من يعرفها يستطيع أو  
يجرؤ على السير فيها وحده لأن بعضها يشبه بطون ثعابين

حرامية متعرجة لا نهاية لها! بعضها موصل إلى حلاء بين سعوح  
وبعضها موصل إلى عنق رجالة مسدودة حيث لا سبيل للتقدم  
أو للقهقري. وأما إدارة المكان فيتولاها عشرة من عتاة المطاريد  
يصرفون عل موتها ويتقاسمون علتها يرأسهم عن حدارة ذلك  
الرجل صاحب كشك البيع الذى ذلك على هذا المكان. لقد أرسلك  
وهو وثائق أنك صيد شمين لتابعه الجالسين ما هنا. فكل من  
يجلس أمامك وحوالك الآن هم من عتاة المطاريد. رجالا وساء!  
هذه الحورية الملعونة فى جلياب أسود وطرحه سوداء أكبر مهربة  
محبرات قس الصعيد الجوانى وهاربة من أحكام تصل إلى قرابة  
مائة عام. وهى تعيش حياتها ما هنا على أكمل وجه وتدير  
أعمالها وبيع أرامصيه على أتم ما يكون. لا يقصصها من متع  
الدنيا أى شيء! وبعد قليل سوف تصرف من هنا إلى عشة  
محولة بين سعوح الجبل بشرقى تفوق سرايات الحكام فيها  
مراتب والحة ووسائد وأسرة ودونب وأراك وأطباق وحش  
ونار ولحوم دواب. وهؤلاء رهد من رجالها أما زوجها معضو  
فى أبرلمان يوررها كلف أكله ايره. وكس من يحلس ما هنا بينه  
وبين الحكومة شارات لاتتهى. حتى أنا نفسى كما لعلك تعرف  
سر بين المطاريد مكانه سوف تلمسها، فلفد هربت من السجن ثلاث  
مرات ثلاث جرائم هتل وهى كل هروب قتلت حارساً. أمك والله  
دعية لك. لعلك كرم أعصامك العقهاء هو الذى ألقي بى فى طريقك  
هتل أن يكتشف أمرك ما هنا فيجردوك من كل شيء وبحكموا  
عليك بالسجن فى الجبل مدى الحياه يسحرونك لخدمتهم تحت

حراستهم فإن تردت قتلوك أو توهوك في الحبل شريدا لا تعرف  
لك رأسا من دنس حتى تأكلك الوحوش والطيور الجارحة  
وانحشرت السامة أو يلتف حولك ثعبان من ثعابين الجبل  
المتوحشة ،

### الثالثة - المطاوعة

بهم «زماثي» قاستقبل ولد عمه العملاق أما أنا فلم أهو على  
الدهوض ياخال..

تحتسبت مفاصلي، صررت أرتعش كأنني في مهب ربح عاتية  
باحار، أتوقع أن يهجم على يبرمني كما يبرم المرء لقعة من رقيق  
وبحشرني في حنك يهرمني بأسنانه على أنه جلس بجوارها  
وجعل ينظر في وجهي متفرسا كالتوجس، ووجدتني أقول له

- «هدى» أعصايك ياخوي.. الدنيا لم يعد فيها ذمة ولا  
صمير!!»..

فشوح في عصب صامت كأنه يقول: «دعنا من هذا الأمر ومال  
عسى ولد عمه، فعرقه ولد عمه مني، فطرد لي من تحت جنيته  
محصنا ابتسامة مرهقة وقال «أهلا وسهلا بيك»، فقلت بحماس  
شديد، «ياثلثمائة مرحبا»، وهزئت يدي جوار رأسي ونحو  
صدرى عدة مرات في أمتان شديد.

نظر «زماثي» إلى أحد الولدان بطرف عينه، فلم تمص دقيقة  
حتى حاه بالجورة والحجارة المروصمة بالدهان المعس. أخرج

أعطني عفتك ياخوي، فإن عفتي قد ذهب لا أبقى كم لبثت من  
زمن غائبا عن الوجود يحملني صوت «زماثي» يشيلي ويحطني  
ويبعثني في شعاب الحبل تدوسني أقدم ثقيلة تطحني صروس  
بعد تعريق أييب. لكن «زماثي» حين لكرني في كفتي بعسة دحانه  
المعدية الثمينة شهقت كأنني استرددت نفسي وعدت روحا في  
جسد. صحك «زماثي» وعمرني بالعلقة أدنا لي أن ألق لنفسي  
سجارة، وكان يصمك أثلا في سحرية

- وهم يضحك وهم يبكي.. واحد يقتل من أجل تذكرة قطار  
وواحد يرمى بنفس التذكرة نحن ندفع عمرا ثمنا لتذكرة كهذه قد  
لا توصلنا إلى أي جهة على الإنسان أن يمص في هذه الحياة  
بغير تذكرة! لا في القطار ولا في الهباب! حين يزيق الحق ادمع  
وتخلص من الزنقة والسلام! ما بال الواحد منا يضيع وقته في  
قطع تذكرة! المهم أن تلحق بالقطار ياخوي العم! وب تنعم التذكرة  
من هاته «القطار»

وجاء براسي شاي جديد لم نطعمه. أخذت أثقلت حوالتي كأنني  
أحشي مقدم الموت وحقق نطق «م» من حاف من الدنس يطلع له،  
فإذا بالعملاق الذي سرقت جنيته يدخل علينا كالهول.

زنانى من جيبه قطعة خشيش وراح يوقع منها بإيهامه فوق  
الحجارة، والولد يسقيها، ما هذه الأبهة يا ولد؟ وما هذه الحلاوة  
وهذا الروقان؟ هكذا رحت أسأل نفسي وأردد مستعبراً صريح  
والله قوله تعالى «وقى السماء رزقكم وماتوا عدون» ولقد والله  
تخمت أبى صرت ملكاً يحلس على صخرة العرش مال «زنانى»  
على ولد عمه وقال مشيراً إلى

«مكتوب له لقمة عيش فى مشوار»

خفت وانبطت فى نفس الوقت، وقيل ولد عمه

«كل شىء نصيب»..

فقال «زنانى»..

«لقد ساقه الله إلينا ما عليك إلا أن تتعرع لقطع الطرق إلى  
البلد»..

جاء الولد بجسارة حديدية ودار وجسورة حديدية فكف «زنانى»  
عن الكلام وأخذ يرض الحشيش، وأخذما يشرب فى صمت،  
ومضى سارح فى خبر هذا الكلام ابدى سمعته «لأن من «زنانى»  
فلما انصرف الولد ليغير ماء الجورة والحمارة ويحدد الماء ما  
«زنانى» صوى وقال

«فيك من يكتم السر؟

قلت.

«هى»!

قال، «أعرف أنك رجل ولد رجل»..

قلت «تشكر من أصلك»

قال «أوراءك شغل من هذا لحد الغد»

قلت «من هذا ليوم القيامة»

قال «حلو»، ثم سهل برهة وأصاف

«مشوارنا فى بلدة أبو حجر نريد أن نحط قسيساً

«لأح» هو تقريباً أعنى قسيس فى «البلدة»

قنت

«البلدة كلها قسيس.. وكلهم أعتياء»

قال.

«القسيس بنيامين أغنى أغنيائها».

صحت قائلاً

«بنيا.. و.. ي.. يه.. يه.. يه.. يه.. أما وجدتم غير بنيامين

حطفونه يا أبو العم؟ انه حويط حدا يا أبو العم لا يخرج من

أسدة أبداً ليلاً أو نهاراً واداً مرضى قائلطيب يجي لحد

عده»

قال زنانى، «لكنه يخرج ويتحرك داخل البلدة»

قلت وقد هالنى والله قوله

- وكيف يأبوا العم تحفهوه من شوارع بلدته؟ أن البلدة كلها من الأقطاف فردا فردا يس فيها مسم واحد حتى مواشيهم وكلابهم ودوابهم هي الأخرى تدين بديسهم وتحمل شكلهم وطبيعتهم!! صحيح أنها بلدة تعيش بمعزولة وسط دائرة كلها من المسلمين. ولكن ما تحسى يا أبو انعم أنهم أقطاف أقوىاء! عندهم سلاح كبير وبخيرة كثيرة وكهر أكثر ولؤم شنيع".

انتم «زناتى» وقال.

- «عذا أسب يوم لتعيد حمتنا. فرجل البندة كلهم يسرحون إلى القبطان لجمع القطى ولن يبقى فى البلدة طول النهار سوى الحريم والعجائز تحيفهم بضح طلاقات».

سبيلت رأسى على خدى ورحت افكر فى كلام «زناتى». ولم أكن وصلت إلى شاطيء أستقر عليه بعد حين عاجلتى

.. «معنا بئذن الله يا حسن»

خفت حدة التردد، وأيقنت أنه قد يقطننى إذا استجبت من الموافقة، فقلت

.. «والله معنا جميعا بئذن الله»..

ولقد شعشع والله الحشيش فى دماغى وصور لى أن «طلعة» كهده تجىء لا بد بطلع كثير محترم محل فوق النساء مساء حديد، وفوق لسهرة سهرة الميع وأعمق حيث أمتد أمامنا حير. نعيم

كثير من مأكول ومشرب وتعكير فى الحقة المرسومة مررت ومرات ومرات بعدن فيها وبعدل التعديل ثم يعود فتلقى التعديل من أسسه ثم يعود فبعمده بعد تعدين بسيط كما سبعة رجال أثنان بالله، مع الرشاشة على مدح السلة، أثنان فى اشرار العمومى بدافع الرشاشة أيضا، ثلاث بدافع الرشاشة يهجمون على دار القسيس «بنياهمين» الفلاح، مهمتهم انتراعه منها بالحية أو بضعط السلاح إذا اضطرمهم!!..

القسيس «بنياهمين» الفلاح عجوز زكى، قصره محاط بحديقة دت سور منى تحتوى على حطيرة كبيرة للمواشى والدواب، وهو يخرج من القصر ليتمشى فى الحديقة الواسعة يعنى يشتون مواشيه يقلم الأشجار يروى الزرع و لورد، لا يقترب من باب سور الحديقة إلا ليفتح الباب لأحد من خدمه أو فلاحيه، ولا يفتح الباب إلا بعد أن ينظر من خرم دقيق فى حديد الباب السميكة ويطمئن إلى أن الحارة كلها أمامه حامية لا من الطارق الذى يعرفه، وإن يفتح إلا إذا عرف من تصدده مروره بأحد حصة الطرق وقد لا يفتح إلا بعد أن تفرغ الحارة نقابا من الطارق، ثم أنه لا يخرج من الباب إلا محفورا بحراسة أشد من حراسة لعمدة، أما الذين يعملون فى معبىه فكلهم من امفرين يسب جدا ومن تربوا على يديه وأمنوا بانقل القاتل من يأكل من حمبر اليهودى يصرب بسيفه، وبعض هؤلاء يحمل فى جنبه سحرة من معاذ باب سور الحديقة (المطل على الحارة!!)



ذلك ما كنت أعرفه عن القس «بنيامين» وسمعت من زناتي،  
ورجاله ما عرّسني به أكثر ألهمني أنه بفكرة طيبة ياخال، قلتها له  
«زناتي».

«سمعت من ناس كثيرين في بلدة أبو حجر أن امرأة حفي  
القسيس تدخل الحظيرة صبيحة كل يوم لتحلب الماشية وتفتح  
باب سور الحديقة بفتح تحفظ به مربوطاً في صغيرة شعرها .  
فعلى أحد منكم أن يتصيد امرأة الخفير هذه وهي خارجة من  
داره في الصباح فيكنمها ويكمنها فيها ويأخذ منها المفتاح ويحفيها  
هي في مكان بعيد »

وهضمت ناخرا فيهم لأرى وقع الفكرة على وجوههم ماذا  
سي أرى اعجاب واستنكاراً معاً نظرة واحدة، وابتسم «زناتي»  
وقال.

« فكرتك حلوة بأبو العم ولكن فيها معيلة عدم المؤاخدة»  
المره لايندا العمية بالصرب من أولها والا جلت على نفسه الحصر  
وناظت عمليته بحس يا أبو العم لا مريد الطخ واصل نحن  
لاطبخ الا عند الاستعساء أما ياأبو انعم دعنا نحلي فكرتك هذه  
نمرسل البداة من هنا لزوجة الخفير»

واقف شعر رأسي، قلت

«البداة! الأجنبية؟»

قال ببساطة وثقة

«نعم.. البداة التي يخفونك بها»

قلت ببساطة

«عندكم ها هنا بداة؟»

قال مشوياً نحو الفراغ الممتد في سقف الجبل

«عندنا كل عقارب الأرض»

عندت هي قعدتي قانلاً

«عال! عال! متصورة بآذن الله»

واعتد «زبي» هو الآخر وقس

«البداة تذهب بعد دقائق إلى دار الحفي وتنادي على زوجته  
بسمها تدخلها وتحدّها وتسرق المفتاح من صغيرة شعرها  
وتضعها بعصر أماكن عربية وتعود بها إلى دارها فتقني ناشئة حتى  
حصر تكون قد أنتهت من شغلنا»

استحسن الجميع الفكرة، ووصل رباتي موجهة الكلام إلى أنا  
«وبحي لك شوب كتوبها.. تليسه وتدخل الحظيرة كانتك  
هي تبدأ فتحلب الماشية وخير يحيى القسيس بنيامين ليتم  
على الحلب تمسك به وتكنفه وتسلمه للثلاثة ابو قعين مالاب يدا  
بيدا»

تلمل ولد العم ونطق بعد صمت طويل لكن في ضجر

- «ندام المفتاح يصير في يدنا . ما الداعي لمسألة أن يدخل  
الحظيرة ويحلب المواشي؟! فلندخل عليه ونمسك به من قلب  
فراشه ونكل على الله» لكره «رباتي» في حبه بقوة، وقال

- «مجانين نحن! نرعى نأجسان في مخدع اللذئب! من أدرانا؟  
أما لاند مستعد لأن يعلق علينا الباب فكل العلقة المودية إلى  
الموت! الأفضل يابو العم أن يفسح حسن مآقلاه بالحرف  
الواحد»..

ومن فوره قام، استعصى لى ثوبا نسانيا أسود وشالا أسود،  
وفي الحال ذهبت «النداهة» إلى ماكينة انقس «بنيامين» التي يسهر  
حفيره عليها طول الليل، فأغرته بنفسها حتى اندلق على صدرها،  
فخبرته وتركته سطحية تحت تعريشة تبعد عن الماكينة بمسافة  
هائلة ثم ذهبت «النداهة» لدار الحفير فبادت على امرأته وأخبرتها  
أن روحها يطلبها الآن لأمر ضروري يتعلق بخير جاءهما يريدان  
أن تحمله معه إلى الدار فحرجت معها الولية فعلا، فصارت  
تسليها بالكلام وتشممها المحذر حتى وصلت إلى ماكينة المياه جثة  
تنطوح في الهواء، تيمتها «النداهة» بحوار الماكينة ومكت المفتاح من  
ضغيرة شعرها وعادت به إلى «رباتي» والشمس لم تطلع بعد

## الرابعة - المحاولة

انطلقت أجرى بالمفتاح وعن خلفي - على مسبعة قليلة - الثلاثة  
المدججون بالسلاح، الذين سيقثمون الدار لذي صيحتي وصلت  
إلى دار القسيس «بنيامين»، فتحت الباب، تسلمت إلى الحظيرة،  
ولكن ما كدت أقترب من المواشي لأحلبها حتى ضجرت منى  
وبعرت وصارت تكسكس كلما لمستها وتزاح هنا وهناك وتلفظ  
بالعير، وكنت أعرف أن هذا سوف يحدث لأن المواشي تشم  
رائحة من يعتاد حلبها ولا تحن إلا إليه، إلا إذا كان الآخر حريفا،  
نكنى لم أكن أتصور أن هذه الحركة البسيطة سوف تلفت نظر  
«بنيامين»، إذ أنني رأيت حياله يقترب من باب الحظيرة قبل أن  
المس الماشية بيدي، ثم إذا به يتوقف في الحال عندما سمع صخب  
الماشية للمعبر عن عدم ترحيبها بي مما أكد لـ «بنيامين» أن  
شخصا غريبا قد اقتحم الحظيرة، ورأيت خيال يده وهو ينكسر  
متدا في جيبه وخيال كتلة «السدس» تعبر فوق الأرض مسرعة  
لتسفر بجوار قدمه، هانكشت على نفسي تحت أقدام الماشية  
أحدا وضع الاستعداد لأي شيء رأيت دماغ «بنيامين» يعين على

المحتجب وينظر داحي الحظيرة منلصصا، وقعت عينه في عيني مباشرة فأصابه انهلع واستدار على الفور يجرى. اندفعت أجرى وراء محاولا اللحاق به كان أسرع مني يا حال، فدخل القصر وأغلق الباب وراءه، وإذا بمن يخترقني من الخلف يتشن على قفس الباب بطلقتين أصابت أحدهما القسيس فصرح في حين تهتك مكان القفس وانتشع الساب ورأيا اقسيس جريحا يجري متقافرا على السلم الخشبي العريض ممسكا بموضع الجرح بيده وباليه الأخرى يستدير حصعا ليطلق تجاهنا بعض انطلاقات حتى نفذت بحيرته، وهوجئنا به بيسل عر شرفة السلم في الدور الثاني ليحتمي بدورائها، فحاصره رصاصا داخل هذه الشرفة، وطلقات الرصاص ترد علينا من جميع اتجاه اسلدة على سبيل التهديد. وأراد القسيس أن يعبر الشرفة من الخارج إلى شرفة الحجرة للجاورة ولها هي الأخرى أفريز من الحديد المشغول، قمر، كان يهوى، أمسك بحديد الأهرير وصار معلق في الهواء، فاندفعنا إليه وجدناه من قدميه بقوة فهوى بين صدرنا، فبطلقنا نجرى به تحت وأبل من الرصاص المنطائر من أماكن مجهولة وكانت الركائب في انتظارنا على أبواب الشوارع هاقلتنا مسرعة في اتجاه مكان مجهول من الحبل حيث احتقن «نيتامين» وأفتت على أننا قد عدنا نجلس في المعارة ضاحكين كأن شيئا لم يكن. وهم، عر الليل أعطاني «زباتي» عشرة جسيهات بكاملها وهال لي «أكل على الله أنت لا شأن لك بما حدث ولا بأي شيء آخر»..

فعرقت أنه يأذن لي في الالبصراف، فمضيت حين أحسست أنه يريد أن يصصرف إلى شأن من شئونه الكثيرة وكنت فرحا عاية افرح. ليس باحتيهات «عشرة يابوي»، ولكن لعملية في حد ذاتها يا حال وكنت أود البقاء مع «زباتي» في هذه المملكة الساحرة، ولكني مع ذلك سمعت صوتا بداخلي يقول لي أنني لا بد من سفرى إلى مصر قبل صياح هذه العرصة وانحدث طريقى نحو محطة السكة الحديد.

\*

## في عين العدو خمسة الأولة - صورتان ليستا على الحائط

عند منزلتان محطة الزيتون سالت عن قهوة المعلم ودحروج السنطاوي، الشهير بطريف، فدلوني عليها، هذا هي أشبه ما تكون برمانة غرقانة في أرض حتى الحرام، ومدخلها من وراء سور محطة خبط لوق.

يه يه. أهذه هي قهوة ظريف؟ يمين بالله أن عشة البقطة الثابتة التي يبيت فيها الحفير النظامي على مفارق الطرق لاحسن منها. غير أنه الصمت ولا الغنى

جعلت أهدب الدرج وقلبي متقبض والله يابوي، كائنني أدخل مسقية للدفن. وقد عجبت والله لناس محترمين كالعلم وفروود رمضان، ورجاله كيف يجدون هنا راحتهم مقاول غير الذي أحمرى عنه «شمدويلي»، يلعب في زكائب من البنكوت، كيف يجعل من هذه المقبرة مقراً له، يلتقي فيه برحاله وأبغاره ليقبضهم أجورهم ويوزع عليهم العمل؟ وأنا مالي يابوي؟ هليجس حتى على كوم السماغ ما دامت المياه البنكوت تحرى في يمينه

وشماله هذا ملك بطمه سيده سبحانه وتعالى، فإليهم اكتب لنا  
لغة عيش من يد المعلم «هرود رمصاء» مثلما كتبت له ولدت عسى  
وأهل بلدى، كل واحد قبلته قال لى عليك بالمعلم هرود وكل  
عاهل من بلدنا يقولون له اجزى إلى معلم هرود لا تعود  
خائفا قلت فلأجزي أما الآخر أليه ولدت أنسى واحد شعلا لديه،  
اد هو يأخذ مقارلات كثيرة من الجيش المصرى ومن الأهالى ومن  
كل الشركات والهيئات والوزارات، فاشعل عبده اد لا يتوسى  
وكل طالب نوعا من الشعل يجده عبده

بالصلاة على النبى حير ماذن الله وفيها عيش، هكذا قلت  
لنفسى حينما لمست قدمى قطعة حمر مرمية على الأرض بحوار  
العنة ملت عليها فالتقطتها فقلت لها ثلاثا ملامسا بها جبهتى فى  
كل مرة ثم وضعتها فى جيبى

النسبة كانت فى مواجعتى مبنية بانقيشاني ورخامتها نظيفة  
لامعة وكذلك الحوص واصبوبر الحاس والأكواب اسى انكبات  
خلف النسبة لم يظهر أحد أما المقهى فمستطيلة من الداخل تسع  
مائتى شخص بالراحة، والتراويرات العتيقة بعوارضها الحشوية  
الكالحة، الضفادى المطوية الاقدام المهيصة المفعصة، الكراسى  
المصنوعة من الحشب والقش متسادة من فرط التهاك على  
الحوائط وعلى بعضها البعض، كلها كلها متاثرة بها وهناك وليس  
من أحد يوحد الله اللهم الا قطة شقيانة كحيابة رقدت على كرسى  
فاردة جسمها عن آخره ومستعركة فى نوم عميق

رقص قللى ياخال وأنتفض بشدة، فقللى دائما يرقص  
ويقص هذه الانتفاضة التى لا أعرف ر كانت فرحا أم حوفا،  
عندما أجندى فحاة فى محل ماس آخرين وليس معى أحد، إذ  
بشرع دماعى فى الحال فى لنشين على أشمن شىء موجود يمكن  
أن ألهه بسرعة وأحتفى فى الحال قبل أن يدركنى أحد تطيرت  
بصاننى مخلقة فى كل شىء بسرعة رجافة، أصدت العرشة  
نمشى فى ساقى كالعانة ثم يكى ثمة من شىء ها هنا يستحق أن  
يسرق على كل حال سوى بعض الأكواب والبرابيص، أما الحوائط  
فكانت عمارة الا من بدى الحبر لكبح الحش، وعلى لحائط  
الجافى للنسبة صورتان مما يباع مع المجلات مالا لوان واحدة  
للرئيس ابو عبد ناصر والأخرى للمشير أبو عامر، الرئيس يظن  
بظرة ناشفة مرعية لشخص مجهول لعله العدو الصهيونى  
البريطانى الذى يحكون عنه فى الراديو والخرين، شاربه تحت  
أربع المستطيل يتكتم بين شفتيه سرا شيعا أما المشير فإنه  
يتسم انتسامة سهلة وهى عيبه بظرة دلالة نائمة متسهلة  
ملينة بالود المشكوت فيه ياخال كأنها تمرر لك أفعل من وراء  
ظهري ما تشاء وأيسط بعست كيف د - هر مانا عارف ومعتص  
لكن «ذا استعملتنى مصيبتك سود خيل لى والله ياخال أن  
سمادة المشير يكاد يطق قائلا لى انهف ما تشاء واجز وإن لم  
تجد أمامك شيئا يستحق اللهب فابحث تحت النسبة لعل وعسى  
كدت أفعل والله ياخال لكن مظرة أبو عبد الناصر كانت تسمرنى  
فى مكانى وترعشنى وتكاد تنطق فى الأخرى قائلة لى اياك اياك

وبتاع الناس فاحترم نفسك وأبق ماذيك تأكل عيشا معرق جبنيك  
أو فانصرف محتشما بدلا من التهرىء وقلة القيمة

أما عظمى فقد قال يابوى يا ولد أنت قادم تبحث عن لقمة عيشك  
فلماذا تفكر هذه الأفكار التي تفضب الله؟ اللهم أحرك يا شيطان  
ثم صحت يا لسيادما ياللى هذا يا خلق يا ملايكه هادا بصوت يرد  
فى جفاه وخشونة

- «عايز ايه يا جدد أنت؟»

ارتعدت ياحال، لفعت حول نفسها ناحتا عن مكان الصوت فلم  
أجد أحدا قلت لنفسى ليس من المعقون أن الملائكة هكذا تقول.  
شكل للبيع وقلت مازها

- «أظهر وبان عليك الأمان»

عاد الصوت مرة أخرى يرن رنيناً عميقاً

- «عايز إيه وملاش غلّة؟»

أثار النوم كانت عالقة بالصوت. جلست على أقرب كرسي  
وقلت

- «عايز واحد شاي»

فلذا أنا بمارد يتمطى متسللا من تحت النضبة يدعك فى عينيه  
يتنأب بصوت كالعواء. سحب السحان الكبير من فوق الرماله،  
عدل كوبا وضع فيه قليلا من السكر وصب فوقه الشاي. أشار لى

سراعه الطويلة قائلا «اتفصل»، ولكن بلهجة من يقول «اطمح»  
تهصت واقفا وذهبت إلى النضبة لأحد الشاي فنظرت للرجل جيدا  
هرايته طويلا نحيفا، وجهه مستطيل ملهى بالأخايد المشحونة  
بالقهر والشقاء وكبر السن، لكن فى عينيه طيبة شديدة ويكتم بين  
شفتيه الرقيعتين حمة دم ظاهرة.

لامست الكوب بأصابعى فوجدته ساخنا فتركته منتهزا  
الفرصة للوقوف مع الرجل. كان معى سيجارتان معوجتان فعدلت  
واحدة وقومتها وأعطيتها له، ووضعت الأخرى معوجة فى معى  
قلت له -

\* - «مش دى قهوة المعلم دحروج السطانوى برضة»

أشعل ورقة من تحت الرماله أشعل بها سيجارته ثم قربها  
منى قائلا من خلال الدخان:

- «أما المعلم دحروج السطانوى يلزم خدمة؟»

صمكت كأننى لا أصدقه

- «المعلم قرهود رمضان يقعد هنا؟»

قال.

- «عايز منه إيه؟»

قلت

- «عايز أشتغل»

قال مشوحيًا بكوب الشاي كأنه يطردني.

- «تجيء له هنا بعد صلاة المغرب»

جعلت أشرب الشاي في عيظ قبال الرجل بعد برهة كأنه صار من الآن مسئولًا عني

- «عندك مكان تبيت فيه؟»

قلت على الفور

- «لا والله يا أبو العم أنا من العنايم قبلي وقادم لنسوى ولا أعرف أحدا هنا»

هر رأسه في يأس من سمع هذه القصة آلاف المرات، ثم شحط في صانحها

- «ماعليها.. ماذا ستفعل؟»

شوحت قائلا في ضيق

- «أرضي الله واسمعي يا أبو العم ومن يقصد الكريم لا يصام»

صب لنفسه كوبة شاي صغيرة كالخستنان شفط منها شعة ومن السيجارة شقطة، رفع ذراعه اليمى مشيرا إلى اتجاه المزلقان خلف المقهى.

- «هنا شادر مطيح صاحبه الحاج رفقي وهو طيب وصعيدي مثلك من قديم الأزل» ينام عنده ولد عحك وبلدياتك الصعايدة وكلهم ممن لا أقارب لهم سقواء قاعدا أمام شادر المطيح حتى

الصبح! قل له أنك تشتتن عند المعلم فرهود وأعطه خمسة قروش فيديك تدخن وتدم داخل الشادر! وإن دفعت له قرشين اثنين يدعك تمام بجواره في الحلاء ويحرسك هو حتى الصبح».

أهبيت الرجل يابوي، شكرته على هذه الخدمة الكبيرة ورجت أشرب الشاي على مهل طامعا في خدمة أخرى كهذه تقع من برجل أمامي فانبمع بها لكن طفلا صغيرا صاح من أعلى السلم طالبا سقاة شاي في الأجرخانة، فاستدار المعلم «دحروج» وصب لشاي في الأكواب الستة مسرعة قمت أما بسحب الصيديعة ورصصت فوقها الأكواب ثم ملأت كوبين بالماء ووصفتها على الصنيبة قائلا «أوديعهم أنا»، فابتسم قائلا «أنت قهوجي؟»

قلت - «تعلمت من المعلم شندويلي». قال - «بدر مصر القديعة؟»

صحت في فرح شديد - «تعرفه؟». قال في فرح أشد

- «عشرة عمر» اشتعلت سويا في العاغل وفي كل بلوى»

فت

- «عال! عال! كسند صلاة النبي»

وأحسست بأنى سيكون لى عشرة طيبة مع المعلم «دحروج» مسحبت الصنيبة بالأكواب وشرعت أمصى قائلا «مين الاجرخانة؟»

قال - «هنا»، وأشار إلى جانب المقهى، فحملت الصنيبة ومضيت حتى أوصلتها إلى الاجرخانة وعدت، لأجد المعلم «دحروج» يلف

سيجارة وضع لى أنه يحشوها بالحشيش، فخرجت كل العرج يابوى، قلت له: «مساء الغل ياسلم». بمن لى من تحت جعبته المنكسة قائلا «تشرية؟» قلت «أشريه» فاضل السجارة وجذب منها نفسين عميقين ثم قدمها لى، فسحب نفسين أعمق، وأدبتها اليه، وهكذا راحت نثقل بيننا الأنفاس العطرة حتى انتهت السجارة بنغمشة فى تلافيف محيى فعمرت أن المعلم «دحروج» حشاش قرارى وصاحب قرارى أيضا قصبت معه أحلى عصرية، دار بيننا الكلام الطلى لا يقطعه إلا حروجه لتوصيل طلب، عرفت المعلم «دحروج» كائن تربيته مع هذا أحلى ما فينا يامصريين ياالولد العرب المعلم «دحروج» له أربعة ولدان صبيان موظفون فى الدولة أحدهم وكيل وزارة العمل وأمين وحدة «الاتحاد الاشتراكى» عن الحى، وحمس نوات متزوجات من كبار التجار وكبار الموظفين، له أربع عتبات ملكا، كل عتبة تمتع على خمسة أدوار وسبعة أدوار وكل دور يفتح على أربع شقق وحمس، كما أن له - فصلة خيرك - أرضا وراعية فى بلاد الأرياف نواحى بلدته السنطة فى الوجه البحرى.

عرفت بين ما عرفت أشياء كثيرة عن الحاج «فرهود رمضان» أشهر مقال عمومى فى هذه الناحية كلها هو فى الأصل لم يذهب إلى مدرسة، اشتعل غتالا فى ميناء «أثر لنبي» أيام كان قائما على شط نيل مصر القديمة، اشتغل مع «الأورنس» فى «كامب الانجليز» موردا للأنعار ثم قائما ببعض العمليات الصغيرة من يابنا، جمع مالا كبيرا وخبرة واسعة، صار يأخذ عمليات

كبيرة للجيش البريطانى، بناء ثكنات عنابر مكاتب، مصنوعات ومفروشات وأدوات وكل شيء تطله منه ينفذه لك وكله بحسابه، مما قامت الثورة كان الحاج «فرهود» قد صار كبيرا يابوى، صارت لديه شركات كثيرة للفلل والشحن والتوزيع والبناء والتخطيط واستصلاح الأراضى، كل ذلك والحاج «فرهود» لا يعرف أكثر من فك الحط بمساء عاجرة لكنها بصمة لا يمكن تقليدها، يشتت عنده ناس من كبار القوم يابوى مصروف عليهم ثقتهم ومن أرباب المراكز العالية يذهبون إلى مكانه كل يوم مرتبت كبيرة ينقص منها (السمع، ويلبسون الملابس ناشىء انغلانى ويركبون الأوتومبيلات ذات الأجمة كالمطارات، أما هو هم يلعل الجلباب يابوى، لا ولا أهداء والعصامة الصعيدية الكبيرة حتى اليوم، وكل يوم يجىء بنفسه إلى قهوة المعلم «دحروج» ليجالس العمال بعينه ويوزعهم على العمل، لكنه إن دخل على آتحن تخين فى ابلاد يستفص له قائما يقدم التحية ولا احترام، مرسال منه إلى قسم الدوايس يفرج عن المحتجر فى شحشية، كانت باسمه له إعتدرة عند وكلاء النيابة ومديرية لأم، تليفون منه إلى شخص تتحرك البضائع المتعشرة فى حمارك (نواىء) والمطارات وتفرج كثير من الكروب عن كثير من لرجال هنا وهناك، ربنا يعطيك ويعطينا فى الدنيا أن أرادت تعطى قالت حد عندك وما عليك إلا أن توسع لها، قيراط حظ ولا مدان شطارة يابوى اعطنى حظا وارمى فى النحر بدون عوم بسا الحاج «فرهود» مع ذلك شاطر قوى يابوى، مفتاح وشهم



وحدع يعحك. راصع من بز أمه لا أحد يستطيع انوقوف قصاده،  
لكن كله بالطيبة والأحلاق وحسن المعاملة. ولأهم من هذا ودك  
دعاء الوالدين

أزددت يقيناً بأننى سأجد شغلاً وراحة لدى الحاج «فرهود»  
فما كان المساء يعمر جو المقهى منكراً حتى أصبحت مات «ديون»  
كالعصى المدونة على الحيطان وفي السقف ذاب قوافل الأنهار  
تجىء فترمى بحلقاتها على الأرض بحوارها وتحط على الكراسى  
مروحوه كالحبة معفرة بالتراب منشقة، لكن أصواتهم الحبية ملأت  
المقهى دفناً حياً وجنوا يا حال، علمت ريطرة وربلطة كانها «فرح»  
هم ولد ملدى يابوى يحل «الفرح» أيما حلوا، «الفرح» فى أعقابهم  
أسرع من طلفة رصاص النثار

لفليلة كبيرة يابوى شملت اللبثاء، عراك ما تدرى فرح ما  
تعرف، وأصل الحكاية أنهم يتحدثون فحسب، ينادون بعضهم  
بعضاً يتفكرون يتعاطبون يتواعدون، ثمة من يقوم فيصم إلى  
طابور صغير أمام حوض الصبعية لنسلم رأسه وبدنه ورجليه  
للماء يتوخأ ويعود ماسحاً أطرافه فى أطراف ثوبه وما يلت حتى  
يقدم الصلاة فى ركس مفترشاً منديه الحلاوى أو لاسته أو  
تلفيعته «المعلم» «دخروج» يصيح فى هذا ويشطح فى ذاك بأعلى  
صوت، فيزدنون عليه بصوت أعلى مشوحيين مأذرعهم السروحة  
المعروقة فى الهواء وعروق رقابهم تنتص حتى لتكاد تطرق، وما  
الأمر فى النهاية إلا مجرد زعيق

الطريف يابوى أن المعلم «دخروج» كما لاحظت كان فى أشد  
السعادة بهذه الريطة أقطع بأن رعيته المتواضع هذا، وشطحه فى  
كل من صادفه، إن هو إلا تعبير عن قرحته يا حال، هؤلاء هم  
مصدر رزقه الوفير، يوم الجمعة من كل أسبوع يتولى هو  
محاسبة الحاج «فرهود» رمصاص، يبدأ عنهم ليختصر حقوقه  
طريعه هكذا قر لى قس محبتهم، وأخبرنى أنه فى الصباح يصعب  
قولا مدمست شيئاً لا نظير له فى مصر انقاهرة كلها ويقدم معه  
بصلاً أحضر وجرحيراً ومخللاً بالمجان للأكلين. وفى المساء يقدم  
وجبة عشاء قوامها عدس وبصل أحمر ومخلل من جمعة لأخرى  
بجهد العسوة يطبق من المسقعة أو انحصاره «الطيبة» به يابوى  
يتحدى أن يحس مخلوق أمام طعامه سوى أن يفتح شهيته ويأكل  
أصابعه، وهو ييسى حبيبا يابوى أن الذين يجيشون للأكل عنده  
يكونوا فى الأصغر وقعين من الجوع والجوع عموماً كب قبل  
سيدنا «عبد الرحيم النقاشى» طيب الله ثراه وأرضاه

أنصف اليعمين يابوى أن «دخروج» كان صادق فيما حسبه  
يسرح بعقلى كى أدب أنا لأجر مثلم فأسلمه يومئذ على دمة  
أكل، كله أوطه فى أوطه. وهل أنا عبيط يابوى حتى أعطى الأمان  
لأساء «اندية» حتى ولو كانوا من أبناء الزيف سابقاً، صف  
أصحاب المحلات الذين يبيعون لدس أكلا مطهراً جميعهم حربو  
اندية لا يكلفهم الطبق مليحاً ويبيعونه بحمسة وعشرين، مالى أنا  
ولا لأكل المطهو «ابن دوات أنا يابوى» ما عيب اربعيفين والنصلات

مع طبق من الفول أشتريه أب من عربة حوالة معلو لهفته لو كان عند «دحروج» وأمثلة يقسمه على أربع أطباق ويسمى كل منها واحداً هذه الأكلة هي الصبح ونمنم على ذلك حتى صباح اليوم التالي إذ أننى جئت إلى هنا كى أرسل الحوالة النبريدية لأمى كل بضعة أيام لا لكى يحضرها المعلم «دحروج» أو غيره من الدجارج الأخرى بجميع أنواعها.. عبيط أما يابوى؟

صدق من سماه «دحروج»، إذ أنه تدجرج إلى قلبى شيئاً فشيئاً حتى تملكه وتمكن من الصرب فى قلعة مخى المنيعة الحصنة العبيدة عزمى على العشاء سلجان، أبى والله يابوى غير أننى لم أكن أظنه يقصد ذلك حقاً فى أول الأمر ذلك أننى فوجئت بسيدة شابة من بنات الحارات الفاتحات تلجس قستاناً أسود يظهر شدة بياضها الأسر، ويظهر جسمه مجروحاً على قارب ملء بالابراج العالية واقباب تطير عليه كل أبراج الدماق قتل الحمام وآه يا حال، حافسة القدمين بكعبين كريالين من العضة وسممتى قدمين كشهدتين طائفتين، ممتعة الجذع بارتفاع صدرها للناهد مع ذراعيها وكثفها تسد بيديها حلة كبيرة ثمة من يتطوع ليحمل عنها الحلة قبل وصولها السلعة الأخيرة، وهى تصبح فيه بصوت كالفجج اللاهب «حاسب» حاسب أحسن دى سخنه الكل يريد التطوع بسند ادحلة للاحتكاك بمرآة ما أمكن، مداريا نوايه الخبيثة بطيبة مفتعلة فى قولهم: «على مهلك يا أم حنفى! كيف حالك يا أم حنفى! وحشتينا يا أم حنفى» وهى لا تفتى ترد على كل

واحد بلهجة بين الجد والمزاح لكنها إلى الحد أميل محدة، مما دلنى على أنها فى جوانبها التى لا يعنمها إلا الله امرأة محبوبحة هارلة إلى حد كبير يابوى وأنها تحشى ضياع هيبتها شاماً بين أساس فتفقد بذلك لقمة عيشها «يسعد مساك بأخويه» ماتشوش وحش ياصنايا! رسا يطيكم الصحة والعافية ويقدركم على شقاكم!

عرفت بالمعلو يابوى أن «أم حنفى» هى التى تتولى طبخ العشوة لحساب المعلم «دحروج» فى منزلها وتأتى بها إلى هنا فى يوم معلوم قلت لأبى أنها تقوم أيضاً بتدريس الفول عندها وتجيء فى الصباح تملأ به «قدرته» الحاسبة اللامعة وقد صدق حدسى يابوى، وهمس لى ولد من بلدياتى ما «أم حنفى» هى الساعد الأيمن - والأمين - للمعلم «دحروج» منذ سبعين بعيدة مصت، وكل شيء يتم فى منزلها الكائن فى حارة سد صيقة من حواري حلمية الزيتون، إذ كان زوجها دوابا لعمارة كبيرة واسعة منية فى مواكير شاة اليريقون. للعمارة منور كبير واسع تطل عليه أبواب ثلاثة من غرب البيروم كان صاحب العمارة يستخدمها محرنا لبضائعه من زيوت طعام ومواد غذائية بجميع أنواعها إلى حبوب ومحاصيل وخمور وما شئت، لذا فقد لزم أن تكون عرفة البواب هى الباب الرابع المطل على فسحة هذا الدور الكبير الذى تسقط إليه الشمس والأمطار عابرة عشرة طوابق من الشبابيك الصغيرة وبسطات سلم الحدم الحارونى الذى لا يستخدمه أحد وقد خدم الدواب - «أبو حنفى» لدى الزيات - صاحب هذه العمارة - مايزيد

عن عشرين عاماً حتى مات بفعل الشجوخة والمرض مخلعاً و«أم حنفى» وخمسة عيال رُعب الحواصل هم «حنفى» وأربع بنات.

الولية صعيدة يابوى، محكومة، شاة لاتران، لكن أكل العيش مر، والشاطر من يحلى مرارته، يحيها بالشقاء الرائد والتعب والعرق أمال يابوى، بدلا من التعريق في الشرب وتعميرص النفس لسواها الدائم كل شيء في اندنيا قد يتصح أنه عيب إلا الشغل عنده الغيب وسافر «شغل يابوى» واشغل تدرب في حنكك مرارة الملح وتجد نفسك في بحر الحياة مرتويا بالعة والكرامة والمهانة هذا ما صرت آتونه لنفسى يابوى مقتديا بهذه الولية العبدانة الجدعة «أم حنفى» النقطها المعلم «دحروج» - كما يرغم - نية أن يساعده على المعاش ويوفر لها رزق وواقع الأمر يابوى - يقول ولد بلدى من حولى - أنه يستغلها أشنع استغلال يابوى، يتحدها خادمة تقوم وحدها بما يطلب من مجموعة عمال، خلاف استعماله لمرلها «لدى هو عمارة عن عرفة واحدة تمام ميهها باطعاليها تراحمهم فيها أجولة العول والعوس وبراميين الريت ولولا أن سكان العمارة كلهم يتعاطفون معها لصاقوها

«أم حنفى» عابت ثم ظهرت ثانية في فراغ الباب تحمل صندوق كبيراً حياء ما أن وضعناه على الأرض حتى تبينت فيه تلالا من الأطباق البلاستيك والالونيوم الصغيرة، يتحلها إكوام من النصل الأحمر وصفيحة ملآنة بالباذنجان تفوح منه رائحة تقوى لك كلنى أنا وحدى في اننو، نفس الكلمة التى يقولها لك

جسد «أم حنفى» بمجرد ما تراه، خاصة إذا طلع صوتها بالعنج الذى لا افتعل فيه، تضامنا ممددا أصابعها خلسة لتخرج تفسيراً من السادحان بلتھما وأمعة ترقص. شحمة المعلم «دحروج» هي التى أوقفنا عن التهام «بادجان كله مرة ثلثة» ظهرت «أم حنفى» تحمل طاولة عليها تلال من الصدر الساحر، تركتهما على رحامة «نصبة» وبصرفت تقدم المعلم «دحروج» وصار يتناول الأطباق ويملاها بالعوس مرشوشا على سطحها حفات الثقيلة ولد بلدى يتزاحمون عليه، وكل من حصص على طبق مال نحو الصندوق فتحت بصلتين كبيرتين وانتحب بادجانة كاملة ثم عرج على طاولة العيش فامتقى ثلاثة أو أربعة أرغفة خلال ذلك عادت «أم حنفى» بطاولات جديدة من الخبز عدة مرات متلاحقة حتى إذا ما ألقنت المقهى كلها إلى ناس منكاة فوق الكراسى وعلى الأرض، والأيدى كلها متصلة بين أطباق عديدة من العوس والخبز وبين الأمواه، مكن شمعال يقرقش البصل يطحن في لدة واششغال عظيمين مهيسين يابوى كأنهم يؤدون أعظم وأقدس عمل في الوجود يابوى.

كنت الوحيد الذى لا يشترك في هذه العملية، أجلس وحدى في ركنى هذا منذ مداية تعريق الأطباق، إذ أمسى في الحق لم أكن أبوى أن أدفع «خمسة تعريفة»، هي واحد عدس كهذا فوق قرش للرعيفين الذين أحدهما لنفسى في الطقة الواحدة ثم أن كل ما معى من قروش لا يسمح لى بهذه الرماحية، ربما لا يسمع ثما لهذه

المشوة وحدها فانا لم اشتغل مثلهم بعد ولم يجز القرش في يدي، راقبت المعلم «دحروج» وهو ينظر خلفه في انتظار أن يتقدم منه أحد يطلب طبقا، شعل الحميج بطورته تأكد من أنهم جميعا مدمجون في الأكل، مسح يديه في حرقه مللة ثم جفف يديه في حواطب حلماته البويلين الكالح دى البقة والاساور اشمرة، مصى بحر ركنيته نحو النصب، ما أن وصلها حتى هب لنفسه كسقبان شاي ثم اشعل «سجارة نفث ثخانها في الهواء ناظرا هنا وها هنا، وقعب بطورته على فيما أنا متكور في ركني أقور بأرض اشقى وانديسى أحاول إبعاد عيني عن الأكبين باي شكل يقافا لريقى الحارى مع مصفهم، كسبرت عيني هربا من نظرة المعلم «دحروج»، لكن بعد أن تأكدت من أنه وأنى ياخال، تأكدت أيضا من أنه قد فوجى» وقد اندهش، ففرحت وارتبكت معا يابوى، حفت أن يحترني في السؤال حتى يصطرنى إلى الاعتراف أمام الذى يسوى والذى لا يسوى نأنى ليس معى نقود، ورحت أدبر كلاما أرد به اذا ما سألنى لماذا لا نتعشى؟ لكنى أحسست به يرشف انكوبة كلها بسرعة، وبظله يخرج عن حدود النصبه يتجه إلى حلة العدس الكبيرة فيكشف غطاءها، يتناول طبقا من الصدوق، بالمغرفة الكبيرة راح يقلب العدس المتبقى في قعر الحلة ثم جعل يفرق ويضع في الطبق عدسا ثخينيا يتصاعد منه البخان ورائحة الثقيلة ثم يتناول طبقا آخر، رشقه بين أصابع نفس اليد ثم امتثل من الصفحة أربع باذيجانات كبار سليمة وصمها في الطبق،

١٠ سمع فوقها أربع حصلات كبيرات، وعرج على الطاولة فانتخب من البحر يريد من شامس أرغفة حلوة التقاطيع حمراء الخدود «صيفة اندم، أى والله يابوى هكذا مدت لى ساعتيها ما أدري إلا و معلم «دحروج» مقل يحوى هذه الوليمة العظيمة، ثم ترمع على الأرض متأوها، رص ما معه على الأرض، شور لى نحو الأرض مدلا «إسر يا أبو العم» وأنا ما كان مرادى أن يصل للأمر إلى هذه اللحظة لكن صوت الرجل كان حادا قاطعا وبسيطا في نفس انوقت يندرنى بالطبيعة إن تمنعت يعلى على الحسة أن شعفت محى يا حال، وعلام بشعان الملح يابوى لكننى ربت على صدرى فدا «كتر حرك يا أبو العم! تشكر تشكر أف هئا وشفاء»، شحم بحدة كأمى عبه الذى يشتغل عبده ويأمر بقوة «إسرل يبو العم قلت لك»، وأحسست أنه يعلق أبو العم هذه ويمطه يحيط كما لو كان يذكرنى بأنه يتفصل على هذه اللفظة والمغروض أن يدينى سواها، وتأملت لأعصب وأعملها رغلة ولكننى ألهمت أن لاداعى لتشفيف الملح أكثر والا اكسر وتفتت، غير أنى إرتبكت يابوى، صرت أردد ألفاظا من قبيل «أصل أنا كنت إلح إلح» في حين لا أقول شيئا هذا على وجه الرجل تصميم يندر مفصحة لو أنى سقت الدلع أكثر من هذا، كدت أميل على أنه هامسا «أصلى معيش فلوس» لكنه كان أسرع منى، شور لى ناظرا في قلب عيني نظرة جادة «إسرل إنزل! على حسابى»، تاملت قليلا ثم نزلت متربعا قصاده وفى بيتى أن اتفق بمصغ لقة أو لقمتين إكراما للرجل، هما كدت أمد يدي وأسحب الرعيف

حتى لامس ركنتي بأصابعه علامة نسيه فطرت فيه باهميه فطر  
 هي باسم يقول «س العزومة دي الليلة دي وس» إوعك تاحد  
 على كده انلى أوله شرط آخره نور يا أبو اعم ثم صحك  
 وصحك الجميع فصحك معهم مصطرا لكن ما كدت أشرع في  
 تغميس اللعيمات باندس و لبادجان وانصل حتى فعدت الوعى  
 والله يبورى، عصرت أطوح في فمي بلدة هاشقة ودرجل يبطر لى  
 من حين لحين ميسما كأنه يذكرنى بتحديثه السابق عن مذاق  
 أكله لا أذكر عدد الأربعة التى مزقته وبرمناها وطوحتها في  
 بالوتر لكنى أذكر أن الرخص حاء بثل آخر من الأربعة وأعاد  
 ملء الطبق مرتين وهو يقول: «معلش! غلطتى واستحق التوبة»  
 ما كان مسى ما لى دهانى فدعانى لأن أقطع أمك في تدوق  
 معامى مرة ثانية بدور بقوى، وحين أخرج أمامى آخر بصلة  
 وبه من آخر ما في الحلة صر يمشى قنلا «لا تصدقنى يا أبو  
 العم! لسوف تاكل عدى وقتما تشاء دقت أو لم تدفع»

ثم أنه أتجه إلى النيسة فعلا يراص العمى ولقمه بالشى  
 وصف الأكواب متعذلة فيما هو يدخن بلدة فائقة، ثمة حاطر يحول  
 في دماغى بأنى ساكون حتما من زياش الأكل عند انعم  
 «دحروج»، وأنى لا محالة تارك له يوميتي يجز منها الحساب  
 الذى يحدده هو وئمته.. صار يصب الشاى في الأكواب ويريمها  
 بعدا وكل واحد ينهس فيجىء ويأخذ كوبا ويعصى قمت بدورى  
 هادب كوبا فطر لى قانلا «على حسابى برصه»، قلت «لا

على حسابى أنا والأكل أيضا على حسابى! عزومة هذه الليلة  
 ناددت على حسابى يا أبو العم! ويبقى لى عندك عزومة»، إرتفعت  
 اصوات الشغط فصنعت جوا لطيفا، راح المظم «دحروج» يهر فى  
 دفت مرق سحبه من تحت النصة، بقلم جاف أحد يدون حساب  
 كل واحد منهم، ثم صاح تجاهى وبده على صفحة حديدية بيضاء  
 «اسمك إيه يا أبو العم؟»، صحت قائلًا «حسن ولد أبو ضب»  
 كتبه، ولا أدري ماذا كتب أمامه من أرقام، لكنى في الحال فتحت  
 دفترًا في دماغى وكتبت فيه ما أخذته اليوم بالمليم

إلا والحاج «فرهود رمضان» داخل علينا، حوله أربعة رجال  
 أشداء وجهاء بعمائم صعيدية كبيرة وجلاليب من الصوف المعتمر  
 وعاءات من الجوج على أكتافهم كانت شخصية الحاج «فرهود»  
 أوضحهم، يتقدمهم، قصير القامة نوعا، عريض الكتفين، منتلىء  
 الوجه بالدماء والعافية، غليظ اللامح، تحين الصوت أجشه،  
 يرتدى مثلهم نفس الثياب ولكن العز والفخفة تاضحان عليه،  
 ومن فتحات اثياب تندفق البعثة في ملابس باحلية ثمينة، من  
 «وصح أنه يستحم ويحلق ثفته كل بضع ساعات، ويبيده العصا  
 الألبوس العوجاية

كل من معه تافقوا من الكراسى ونقضوها بأطراف ثيابهم إلا  
 هو جلس على أقرب كرسي كيما اتفق «فما اندهشت أحبرتى ولك  
 بدى أنه على هذه الحال منذ ما يزيد على عشرين عاما ولم يشأ

أن يعير عاداته بعد أن أكرمه الله وصبر من الأثرياء، بل قصص أن  
يطل مباشرة عمله الأصلي في المقاولات البسيطة بنفسه. نازكا  
شركاته الكبيرة بوظيفة الكبر بديروتها بالطريقة التي يعلمونها  
تحت إشراف وحراسة أبنائه وهم أفندية كمار متعلمون.

ثمة رجال آخرون كانوا خارج المقهى بامئات صاروا يتدققون  
عليها فحسبهم جعل يقصص أموالا كبيرة سيقصص بها مصالح  
عاجية، وبعضهم يقصص أموالا صغيرة، وبعض الثالث يتلقى  
بعض الأوامر والتوصيات ويصرف فوصح لى أن الرجل  
الأربعة الجاسير هم أربعة رؤساء كل واحد منهم مسئول عن  
حوالى مائتين أو ثلاثمائة نفر يعملون فى عملية معينة فى مكان  
ما تمنع الحاج «مرهودة» فلما لاحظت أن الزحام بدأ يحد  
وبتلاشى تقدمت من الحاج «مرهودة» وقلت له «تمسى بالخير  
ياحاج» قال «مسا النور تحب تشغل فى إيه؟» قلت والنشر  
يطيح منى «أنا أحب أن حضرتك تشوف لى شعلة على قدى»  
نظر فى متأملا ثم قال «أنت كنت متشتغل إيه قبل كده؟» قلت  
«سمك» وقهوجى، أعاد النظر فى وزام مفكرا ثم قال «أما  
اسمك فلم تشغل فيه بعد؟» وأما القهوة فأمر به نظره. قلت  
محبا قهيه «ربما يخليك! ويزيدك من نعيمه» أعاد نظره فى ثانية  
وعال «أنت متين يا أبو العم؟» قلت بسرعة «من العنايم قلى»  
ووم سعيد من ولد أبو صبا أعمامى المشايخ الكبراء يمكن

مع عنهم» انبسط وجهه فجأة قال «بقى أنت ولد أبو صبا دا  
مع أبو صبا الكبير كان الفقى متاعى يا ولدا! كنت تلميذا فى  
الـ... وأما طفل صغير» ووالله ما تمنى فى الحياة حتى اليوم  
... ما تعلمت منه فى ذلك الزمن» رحمه الله» انفشحت يابوى  
على «أحر وكبرت قامتى أمام الحلق، ونظر هو إلى واحد بجواره  
و قال «يا ريس حمدون! حظه معك لى المعسكر ناكرا! هإنا  
محتاجه!» ثم نظر لى قائلا «ناكرا قبل طلعة الشمس تكون هنا  
مسطر الرئيس حمدون لتترك مع و نروح المعسكر الهايكستب!»  
فاب بقليل من التوجس «حاشتغل إيه فى الهايكستب يا حاج؟»  
شوح قائلا «بكر ساريك ما تفعله» ثم حول نظره عى مرددا  
من حوله «حد تانى عايز أى حاجة منى؟» فلما لم يتقدم أحد  
بحاجة بهص متكتنا على العصا قائلا «توكلنا على الله» فنهص  
الجميع فساروا خلفه وانصرفوا فحل بالمقهى هدوء شديد شديد  
حقت له الأضواء فى اللمبات.

## الثانية - سقف العراق!

شدر البطيخ كبير جدا يابوى، يشبه دوار أكبر عمدة هي البلاد  
لها يتهاوس ولد بلدى قائلين العجب هو ثروة كبيرة هي يد  
حساحه الحاج «رفقى» الذى استولى على هذه المساحة الشاسعة  
موصىع اييد منذ سنين طويلة ثم أحرقها من اللدنية ثم آلت إليه  
ملكيتها فى النهاية بثمن بخس طلع عليه مصاريقا نفثرية شادر  
التيهت اسم محسب يابوى، والبطيخ كله لا يريد عن كومة صغيرة  
مرصوفة فوق بعضها على باب الشادر. أما الشادر نفسه -  
المتد على مساحة ههنا! أو أكثر، والمبنى بحدران طيبة ومسقوف  
بشمع الخيم - فإنه ملآن بعربات اليد الصغيرة مجبرة بأقفال  
هى صفوف طويلة من أول الشادر إلى آخره، وبقيّة من أرضه  
ملآنة بأجساد مرصوفة حوار بعضها، منهم المغطى بطنانية  
حيش قديمة، والمغطى بحرام صوفى عتيق، والمغطى بجوال  
محرق، والمغطى بجلباب قديم متهرىء أما الحاج «رفقى» نفسه  
فإنه - تحلف اليمين - لا يساوى ثعريقة، كرش هرمى قاعد على  
الأرض، له ما يشبه رأس الإنسان، فتحة طوق جلنانه معشوحة

وفتلة من الدويارة المثينة مربوطة في عروة الصديري وطارفها  
الآخر مربوط في محفظة جلدية كبيرة جدا ومنفحة في حيب  
الصديري، وجهه كالنطيحة بالصيط يابوي، لونه - تحلف اليمين -  
بين السواد والحصار، منفتح العينين يملأ العماص جفونه

رحت وجئت من أمامه عدة مرات ومرادى أن أكشف عن زاوية  
بعيدة معه أرمى فيها جثتي سواد الليل دون أن أدفع شيئا، فعراء  
معراء وحلاء مخلاء ولا داعي إذن لمحصارة قرشيين كنت أظنه لا  
يلحظني ياسوي، لكن اللعين شعر - وهو في مكانه - بملامسة  
جلدي لحدار الشادر المخفى عن نظره، إذ ما كدت أتفرص مرتكبا  
للحائط كاسي سأستريح برهة وحيزة حتى سمعت نحنة بصوت  
عال وبنقة ذات معنى. وما كدت أتدد وأصعأ ذراعي تحت رأسي  
حتى صاءني صوته راعدا كصوت العواء المقبض «أنت يا جدد  
أنت! هي وكالة ولا إيه؟» مههصت في الحال جالسا، أظهرت  
نفسى مقللا تحوه «سالخير يا حاج رفقى» وضع كفه كالنثدة  
فوق عينيه مساح مغير ود «سا النور يا حويه! أنت من اللى  
بيترموأ تحت الجدران ولا إيه؟» تبسمت رغما عني قائلا «لا! أما  
من رجالة الحاج فرهود! وراجل أعجبك! بس الزمن هو اللى  
قانس!» إعتصب إبتسامة خشنة، قال «طب وماله! بس تيجى  
تمسى علينا الأول واحنا تشيلك على راسك!» قلت «عاوز أناك  
للمسيح!» قال «جوه ولا بره؟» قلت «جنتك هنا». قال «بص

«مركز» قلت «والحاح مانوش إكرمية» شوح قائلا «الحاج هدام  
بص «مركز» دا حتى يبقى عيب!» ثم أشاح عني كانه أنهى «القدسة  
مددت له يدى بالقرشين وبعيظ يفريني» وقلت بنفسى صحيح  
أنها مصر أم العجائب! عشب وشعبا من يبيع لنا النوم فى بعراء  
بقرشين! همار وتار فى جنته

استرطبت مقعة مجاورة له تماما وتمددت طاوليا ذراعى تحت  
راسى وقت له قل أن أستغرق فى النوم «واللى تصحبنى بعد  
صلاة الفجر على طول!» قال «طبيب، غفوت» ثم صحوت» ثم  
عموت ثالثة، وكلما مسحوب لأغتنى على أنحب الآخر رأيت صف  
«الأحسان المنمدة بحورى يصن إلى احمر جدار لشادر من كل  
ناحية



### الثالثة - نهارك أبيض!

من شاهدي لحظة عشوة العدس بالأمس لا يشاهدني صباح  
أيوم، وقد اندمجت في الرجال حول قدرة العول ورحت أصبح  
مثلهم بلهفة واستعجال. «شوية ريت حار هنا! يصله يامعلم»  
مدبجانه تانية! أكلت حتى امتلأت صحة وصرت بفعل العول  
والنصل يابوى مستعدا لصرب الحديد مقبضتين.

تسلطت أمام كوب الشاي الساخن وكان معي سيجارة مكن  
هليود قطمتها بصفين شبكت أحدهما فوق أذني وفرطت الآخر في  
ورقة باهرة يرمتها وأشعلتها وتاملت لون النخاع فرأيت ارتوازيا  
في لون الصباح أبيض انقلب ياحال. كنت قاعدا على الرصيف  
حارج المقهى في انتظار الرئيس «حمدون» وقعت عيني - سامحها  
الله - على نافذة بيت في مواجهتي على الرصيف الآخر تشبه  
طاقة مستديرة مغطاة من الخارج بشبكة سلكية. وشمة وجه أرمي  
يحاول النظر من خلالها من الداخل. كانت الحائط من الخارج  
ملوثة بالرطوبة وقيها مواسير للمياه مما جعلني أظن إلى أن هذه  
النافذة في حمام البيت يابوى. فأصانني هياج كبير يابوى. وأنا ما

كان مرادى أن أنظر يابوى لكنه الشيطان قاتله الله، هو الذى أقامنى من قعدتى فعدت الطريق إلى الرصيف وفي ظنى أن الذى يحاول النظر من الباعدة من الداخل لابد أن تكون امرأة، لعلها «أم حنقى» أو من تشبهها، ولابد أيضا أنها تطليبنى لشيء أو ترغب فى مساعدة، وإلا مابقيت تواصل النظر هكذا يابوى ولابد كذلك أن الله جعلنى امتبه إليها يابوى لمصلحة لها أولى ما أن وصلت إلى الباعدة حتى توقفت مرتعبا وقلبي ينتقص. شببت على أطراف أصابعى، فتبينت الرأس المشعر واقعا لا يزال حلف الشبكة السلكية ثم قعرت فى الهواء أمام الباعدة ملقيا بصري فى الغرفة فاصطدم بظلام داس. مخ صعيدى يابوى صدق من أسماء صممت على رؤية هذا الشخص والتأكد من أنه امرأة تناديسى من حلف الحجاب لتتواعد معى على شيء ووعد النساء دائما بهيج ياخال.

فى قفزة عالية قلت للرأس الوافف خلف الشبكة. أنا خدام. فى قفزة ثانية قلت لأمرى وأنا أنفذ. قفزة ثالثة قلت: أى خدمة. فى قفزة رابعة سقط جسدى بين أيدي ثلاثة من الرجال الأشداء، كفتونى، وخد عندك حين يوجعك زغد وتلطيش وتشليت وسب أم وكل ما لا تلبك يحبه إذا بهم مخرون سريرون. وإذا بهذه العرفة هى غرفة الحجز التابعة لقسم الشرطة الذى يطل على الشارع الجانبى. أخذونى إلى القسم يابوى وأنا أسيح لله مابعيشى حتى تحطمت قوائى قبل أن يبدا النهار، فيأله من نهار شوم كانت بدايته ناهضة السجن يابوى.

ولد أعمامى وبلدياتى لحونى، فصاروا يصحكون يصيحون فيما أنا واقف أمام الضابط والفئرب شمال على قفائى سألنى ما الذى كنت أفعله مع المساجين؟ فلم أعرف جوابا قط سوى قولى والله ما أعرف أنه سجن. الذى طلع على ساعته قولى والله ما أعرف أنه سجن إلا الرئيس «حمدون» مقبل علينا كالأسد يصحك نهض له الضابط وسلم عليه باحترام كبير - طبعاً يابوى. قال الرئيس «حمدون»: عمل أيه الولد ده؟ عملت أيه يا ولده؟ قال أحد المضربين «مصطفا» يبط على متور الحجز ويتكلم مع المحتجزين. رحت أبكى وأبكى، قلت «أبدا والله! أنا كنت أتع شوية رياضة وعمال أتخطه» قال مخبر آخر وهو يركز بصره فى عيني: «يا رجل اتق الله فى دينك» يطل كذب!». وضحك الرئيس «حمدون» وقال: «تتخط ليه يا ولد؟ إنت مجنون ولا أيه» داهية تسمك!»، ثم تلطشنى هو الآخر كفا تخينا على صدعى حتى اصطدم خاتم فى أصبعه بصرس فى قمى قصرخت فرعا. قل الضابط: «حضرتك تعرفه؟». قال الرئيس «حمدون»: «هو يبدو عليه أنه تأثر من شربى «أيوه» نا من أنفارتا نا ولد عيب وغلبان وابن ناس طيبين؟ بلا قدامى يا ولده». نظرت إلى الضابط، فأشار لى بيده قائلا «غور من هنا واره أشوفك تانى!»، فادفعت أخرى إلى المقهى، لأجد ما تبقى من الرملة يضحكون ولكن فى شعور بالخوف والشفقة على حالى يابوى. فلما لحق بى الرئيس «حمدون» أشار قائلا «ولا يا ولد اركب انت وهو!».

كانت عربة اللوري واقعة تشبه عربات الجيش أو الشرطة الحالى الناطق غير أن هذه مكتوب عليها «مهود» وركبها. وركب الرئيس «حمدون» بجوار السائق. مضت العربة فاخترقت «عين شمس» حتى وصلت إلى الهايكستب فافتحت أمامها البوابة فصعدت فى الداخل مسافة طويلة حتى انتهت بنا إلى قرب محطة تسمى «المصححة» هى آخر محطة للقطار الذى يصل من باب الحديد إلى هذه المنطقة وجنود الجيش يخرجون من المعسكر إليها بعد مشى طويل ليأخذوا منها القطار إلى باب الحديد عند سفرهم فى الإجازات، وبالطبع يزلزلون فيها عند العودة.

توقفت العربة عند بنايات متقابلة يصقف جملون، وقيل أنزلوا. فنزلنا، ساقنا الرئيس «حمدون» خلفه فمشينا بين هذه البنايات الطويلة وقللى مقبض غاية الانقباض ياخال لست والله أعلم السبب، ربما كان سبب الضرب الذى نلته اليوم على ريق الصباح، وربما التشاؤم من تطلمي أمام غرمة السجن بكل سعادة وعشم، ربما يابوى كل هذا ولكن السبب الذى كنت أحسه قاطعا فى نفسى هو منظر الزموس المظلة من شبابيك هذه البنايات وقومها الكاب الأحمر والأخضر والأزرق، ومنظر النجوم والصباير الالامعة وهو مشهد يلقى الرعب فى قلبى وحده ياخال، لست أحب مشاهدته أبدا، إذ أن أمى طول عمرها كانت تسمى لأعاشى من الجهادية بائى ثمن، ولولا رفاة قلبها لغلطت بى ما «هل عبرها بأبائهم إذ يكسرون له أصعبا أو يشتلقون فى جسده

نشوها لكى يسقط فى فرن النظارة ولا تأخذة الجهادية، لكن أمى طول عمرها ونحن كلنا طول عمرنا نكره هذه الكابات وهذه الصباير والنجوم والشرايط كراهيتنا للإنجليز فكيف أحمى لهم يقدمى يابوى؟ ندمت والله على أننى وافقت بالأمس على الجيء إلى هنا، كان الواجب أن أقول لا، حينما جاءت سيرة المعسكر والهايكستب، لكنه قدر الله يابوى. وعلى كل حال فلاند أن أتصعب النوم حتى يعقد الرئيس «حمدون» أمله فى شفتى فيستعدي عن هذه العربة ويعدا يحلها الحلال يابوى. إهم بالطبع يعرفون أننى أكلتها اليوم أزواجا وأفرادا، ولابد أنهم سيصدقوننى إن رعت المرض.

انفصلنا عن البنايات وصربا نمشى فى عراء الشمس مسافة طويلة إلى أن صادفتنا بنايات أخرى على صفتين متقابلين لكنها متهدمة. عندها توقف الرئيس «حمدون» متوقفا لحظتها فقط انتبهت إلى أن الأعمار كلهم يحملون معهم فئوسا وكريكات ومقاطب وقصاعا وأشياء من هذه الا محسوسك لا يحمل شيئا قلت حلو، سوف يكتشف الرئيس «حمدون» هذا فيزجرمى ويطرمنى فأتكل على الله إلى محطة «المصححة» عائدا إلى باب الحديد ومنها إلى باب الله الرئيس «حمدون» شاهدى ولكنى لم يفعل شيئا، وقف يوزع الأعمار على الجدران المحرقة ليحولوها إلى هديم وأنقاض. ذلك أن هذه هى إدارة المطار الذى دمرته طائرات العدو، سوف يعيد بناءه من جديد على نسق آخر. هكذا قال الرئيس

«حمدون» كان ثمة عسكري كالحارس يجلس على مقربة من الهديم ويجواره راديو مازكة صوت العرب مفتوح عن آخره وصوت «محمد عبد المطلب» يصدح معنياً بأساقى الفلبون عدى القتال عدى وقيل مات عدى خذ منا وادى ده اللي سحت بحر القتال جدى عدى عدى، يأساقى الفلبون تلالشى صوته تحت صوت أم كلثوم يقى صوت السلام هو الى ساد واللى حكم ثم تلالش هي الأخرى وبحلث المجموعة تصدح بجعير يفزع القلوب حماسة، الله أكبر! الله أكبر!

قلت فى نفسى ما للإداعة اليوم رائلة هكذا والكل عمان يدخ فى بعضه يريد أن يعنى فوق الآخر ماناعية ممال على أدنى قاتلا «أما علمت؟» قلت بلهفة «ماده» قال «هجم عيبا ثلاث دول هي اسجلترا وهرسا واسرائين» قلت «هجمت عليها كيف يالو انعم» قال «على بور سعيد» ودار القتل هي الشوارع والبيوت وطال الصرب مصر القاهرة من الحو وهذه نتيجة الضرب هم يهدمون وبحر نبيى» صرحت فيه «لماذا فكرتني بالمرسب ياشيخ» لعن الله الصرب والضاربين حتى يجربوا عذاب المضروبين» حينئذ لكره زميله، فتركني وجرى بفاسه ومقطفه.

كل الأنهار تورعت وبدأ الشغل في الحال الا أنا يابوى، ظلمت من وقتي ميهضا امتظر المصير. فلما اطمأن الرئيس «حمدون» إلى أن الشغل يعنى على بركة الله، استقدار نحوي كانه هوجى» بى بدو أسى صبحت عليه يابوى. تذكر الكف الذي رزعني به، فإذا

هو جمع يده برحق شديد على كنفى ويريت، وإذا هو يستدرجنى هو شى بحواره وأصعا يده على كنفى كانا ليصالحنى، وإذا هو «بول» «بور» أنك في الأصل قهوجى؟» استدركته مصححا «أقول أبى اشتغلت قهوجيا ذات يوم». كان منتسما، «يعنى عندك فكرة» «ن» «عندى وأهم في هذه الصنعة جيدة». ربت على ظهري قائلا «حوى» «ناس بلديك هؤلاء طول النهار يودهم لو يشربو لشاي خمسين اشئ حجتهم في اقريفة خصوصا بعد العداء وهذا معسكرا ليس فيه كلام من هذا! ما رأيك لو جئت لك بوابور وعدة بصبت بها نصبة شاي وقهوة جبب الأعمار وربنا يرزقك من ورائهم أما المعسكر فليس لك شأن به من يتعرض بك أحد ما دمت أنت في منطقة بعيدة عن الخطر! هم أيضا يجيبون شرب منحن من القهوة وواحد شاي عند العصارى» سترزق من ورائهم أيضا»

لم أدر والله يا حال الا وأنا مهال على يدى الرئيس «حمدون» استقبل والشكران. تعادلت حيرا بهذه اشعلة التي لم تكن تحظر بي عنى من يخال، حيث لا يتحكم في أحد ولا يتقل كنفى حمل قلت للرئيس «حمدون»

«هذه الشعلة هي عين المرام! ولكن أنا ما معنى نقود الآن اشترى بها العدة والمونة فما يكون الرأى؟»..

قال «أنا اعطيك سلفة تشتترى بها لوازمك وعندما يكرمك الله ردها» وفى الحال نقدي خمسين حبيها بالتمام والكمال اهتز من

لسها بدنى كله ورقص قلبي ولولا حوفى من رهبة الرئيس  
«حمدون» وقوة الحاج «فرهود» لأخذتها ووليت عائدا إلى الصعيد  
وبارك الله فيما رزق، إلا أننى كنت قد مويت لله خيرا واستقامة،  
ووجدتنى أقول فى غبطة «وهل أنا سأقدر على رد هذا الملح  
ياريس حمدون؟» شوح بخاتمه فى وجهى قائلا «ياخى بكره  
تسقينى بيهم شأى وقهوة»

قلت: «أبدأ من غده». وكان قد مضى خطوات فاستدار صائحا:  
«بل من الآن! فما وراءك اليوم؟» قلت «كيف يابو العم  
والمواصلات كلها» قاطعنى «عربات المعسكر طول النهار رائحة  
جانية إنزل فى واحدة وارجع فيها أو غيرها المهم أن تشعل تارك  
اليوم وتسقيا شأيا بعد الغذاء إن الرزق يحب الحفية يابو حاله»  
ثم تركنى ومضى. قلت والله لأفعلن.

تسلقت عرمة جيش نازلة التفت بى فى الريتون وأوصيت  
السائق أن يمر على فى قهوة «دحروج» ليشرب شأيا ويأخذنى  
فوافق وأوصانى بدوره أن أشتري له علبه سجائر ورطل موز  
فوافقت - المعلم «دحروج» فرح لما أخبرته الخبر، تمنى لى كل  
خير، زودنى بالمصائح عن أسعار السوق وعن الشراء وعن أن  
أجود الواورات البريموس وأجود الكويات ياسين وأجود الشأى  
الست الفلاحة وأجود السكر الحرز يفرط معك ويحلى. كل ذلك  
فيما هو واقف معى على الباب. دعوت له بالستر ومضيت، قصدت

الحل الذى وصف لى مقره، إشتريت منه الأدوات كلها من إبرة  
الواور حتى البراريض والملاعق، وهماجين بأطباقها للضباط  
والكباب المربية بنسور ثقيلة لف البائع لى كل ذلك لفة واحدة هى  
صندوق كرتونى كبير متين مسطر مالحش والورق حملته فوق  
راسى ومضيت. قصدت دكانا آخر وصفه لى المعلم «دحروج»  
أيضا فإشتريت منه شأيا وسكرا وبتا ويسون وحلّة وكراوية  
وكركديها وكبريتا هو الآخر لف لى كل ذلك فى رباط منين  
حملته فى يدى ومضيت إلى مقهى المعلم «دحروج» مررت بقسم  
الشرطة فوجدتنى أتكأ فى السير أكاد أزحف كأننى أكيد له أريه  
إلى أى حد أنا رجل محترم ومعنى نقود تشتري أشياء كهده آمال  
يابوى بجوار المقهى حذرت على كشك للسجائر فندتعت منه  
علبتين هليود صغيرتين واحدة لى والأخرى للمعسكرى سائق  
العربة ولم يكن قد بقى من الثروة كلها سوى ورقة عشرة  
جسيهات صحيحة صعب على أن أكسرها بشراء الموز والقروش  
المتبقية معى تكفى للنوم على باب الشادر وتذكره قطار كوبرى  
الليعون إستدردت هوجدت العربة واقفة على مبهدة والمعسكرى  
جالس على ماب المقهى يشرب الشأى فى انتظارى. فلما رأى  
منظرى بالشيلتين وحرمى على شراء السجائر شهط الكوب كله  
ونهمس يحبل عنى قناعيته الصغيرة ومضيت بالكبيرة  
موضعاها فى إرضى العربة واستديت مانتا «الشأى عدى

يا معلم، رد قائلا «ماشى يا ابو العلم، ماتشى مؤاى وعهمت  
 هرية أن يكون لك دفتر حساب عند الناس وأن يستروا كرامتك  
 أمام الناس هي لحظات كهذه ركب السدق وأدار المحرك العربة  
 عدة زعقات متوالية كأنها تدرنسى بأن أنذكر شيئا أكون بسيفه  
 قبيل الرحيل وكنت أرى المور على مقربة منى لكنى اعتمدت على  
 أن رعفات العربة استعجلنى فقهرت شادبا هي الباب للمحاور  
 للسائق ودلعت حساسا بخواره حادبا الباب معى بشوة أنست  
 ضلوعى وجع الشلايت المؤلم مؤحسرتى بإخال كانت هي الأخرى  
 تنصع بالمشلايت تقرصنى كلما حاولت الجلوس. احتوتنى  
 شلته الكرسي فعفوت مدة جزء يسير من الثانية، أى والله يا بوى،  
 تحلف اليمين «بى مادرت مشى» البقة، إلا أنى فتحت عيى فجأة  
 هوجدت العربة معتدنة على الطريق الطوالى نحو المعسكر هذب  
 فى أوصالى الانتعاش وفحلنت عيى كأنى صبحوت بعد يوم  
 طويل وهما قد أصبح الصباح فإذا بى على عاية واضحة ومستقبل  
 فيه العشم الكثير.

قال السائق «صبح اليوم» قلت «صبح مدتك يا وحش»،  
 وأخرجت عليه السجائر فعدبتها نحوه قائلا «هى هدية منى لك!  
 ولكن لا تؤخذانى نسيت الموز! يظهر إنك استعجلتنى! لكن»،  
 قاطعتنى «لقد اشتريت»، وترك عجلة القيادة مستوددة بطرف  
 أصبعه، وسحب سيطرة موز نزع منها ثلاثة أصابع ره بما فى

حجرى قائلا «قشر وكل»، ثم نزع ثلاثا أخرى رماها فى حجرى  
 قائلا «وقشر لى» تراقصت من الفرح وقشورت له وقبرت  
 الأصابع من فمه فالتهم والتهم وقشرت لنفسى ولتهمت فمرل  
 طعم الموز فى جوفى سردا وسلاما يا بوى، صرت ادعو للولد  
 بأستر أشكر الله على عظيم نعمه وفصائله، مما انتهت من مصغ  
 الأصبع الثالث حتى كان الولد العفريت قد فك سلوفان عليه  
 السجائر وفتحها ووزع منها سيجارتين قدم لى واحدة ووضع  
 الأخرى بين شفتيه ثم أخرج مشط الكبريت فأشعل عودا صنع  
 شعلته بكفيمه قبة تحميمها من الهواء وقربه منى فأشعلت  
 سيجارتى باستمتاع وأشعل لنفسه ورمى بقايا العود فى الهواء  
 بعد أن أطفاه ثم أخرج من حبيب صدره شلدا ورقيا رماه فى  
 حجرى قائلا «ثمن علقة السجائر» قلت صانحا «لا يا وحش هي  
 هدية منى لك»، ورددت الشلن لكنه ضغط على يديى بعنف قائلا  
 «هدية إيه يا أبو العلم! أنت رجل على باب الله تستحق المساعدة»،  
 وظل قايضا على قبضتى بأصابع حديدية حتى تأملت فصحت  
 «خلاص! خلاص!»، وخلصت قبضتى من قبضته ووضعت الشلن  
 فى جيبى وقد أحسست نحوه بمشاعر الأحوه والصداقة انفتح له  
 قلبى يا بوى، نسيت به كل وجع فى رحمت أوصل الدعاء له  
 بالسعر وهو يتابعنى مرددا «أمين يارب العالمين إحنا وئنت  
 والسامعين»، حتى صرنا فى قلب المعسكر.

استقبلني ولد بلدى مزينة كبيرة، صار بعضهم يساعدني في  
هك اللقتين، والبيض يصنع لى مركزا على مبعدة قليلة، اذ جىء  
ببعض عروق الخشب المتخلفة عن الانقاص، وبعض الأواح  
العريضة الكثيرة المتراكمة هنا وهناك، والأواح الصاج وأعواد  
الحديد، من كل ذلك تشكل - فى دقائق معدودة والله يابوى -  
كهف جميل راكم على الأرض فتح فكية كالتمساح للحنط، فإن  
دخلته وجدته ممدودا، وكلما امتد ضاق مجاله حتى يلتقى سقفه  
بارضه فى امسجة وضعت فيها صغائع المياه الحنة للشغل،  
وأقمت طاولة عالية ووضعت الوابور فى مكانه والأكواب فى  
مكانها ولم يبق أمامنا سوى إشعال النار. صار الجميع فى أشد  
الشوق لسماع صوت الوابور بل أن المساكين المراسلة جاءت من  
المباني البعيدة تسأل اذا ما كان الوقت قد حان لفتجان قهوة على  
الريشة بسرعة؟ غير أننى كنت كالأهمل فى الزفة. سامح الله  
المعلم «دحروج» ذكرنى بكل شيء الا شراء الجار، إلا أن ولدا  
بهرانيا من سلاح الإشارة غاب قليلا وعاد حاملا زمزمة كبيرة  
ملانة بالحماس فاستبشرت حيرا إن هى إلا ثوان قليلة حتى صهل  
الوابور وتوج رأسه بالبراص العمال الكبير كصمامة الصعايدة  
لكى زرقاء كانت أمتع لحظة لحظة أن رأيت الجميع مصطفا  
أمامى فى الكهف وخارجه معسكين، بالأكواب المحتلثة بلون عروب  
ذلك اليوم

وكنت أشرع فى إطفاء الوابور وجمع العدة استعدادا لمغادرة  
المعسكر مع رملاتى الأنعار حين جاءنى الولد البهرانى وقال أننى  
يحق لى المبيت هنا حيث أنه قد جاء لى بتصريح من القيادة  
حيث أنهم رحبوا جميعا ببقائى فى الليل قلت هرجت جىء لى  
مصندوق خشبى هارح وكبير من صناديق الذخيرة قلبته على فمه  
حعلت من فمعه سريرا أما الأكل والشرب فميسور أمره فى  
المعسكر وأما الطلبات الأخرى فطريقها معروف وسيارات المعسكر  
لا تكف عن الرواح والمجىء، ماهيك عن سيارات «مهرود»

## الرابعة - بل القراقيش

طابت لى الحياة فى المعسكر يا بهوى، جرى القرش فى يدي  
والأشياء صارت معدن وآخر فل بالصلاة على الحبيب النبي هات  
واحد شاي يا حسن. هات خمسة قهوه يا حسن. يا حسن يا حسن  
يا حسن صرت أشهر وأحد فى الهايكستب كله، الصابط قد لا  
يعرف بعض جوده لكنه يعرفنى حق المعرفة صرت كل بصعة  
أيام أبريل إلى النديفة لآتسوق المومة، وكل من أراد طلبا من سكان  
المعسكر يؤجله لحين نزولى. قرش من هنا على قرشين من ها هنا  
تتحمم الجنهات، فقبل أن يديها دفء ضلوعى أرحلها إلى البلد  
بحوالة بريدي لامي.

فى ليلة من ذات الليالى كنت أتاهب لإمزال الباب والنوم،  
وصوت الوابور كان يون فى بطء شديد لهث يدعونى للتشطيب  
بسرعة، وكانت يدي قد وصلت بالفعل إلى المحبس لإقراع الهواء  
حين دخل على عسكري صعيدي يحمل لغة مستطيلة، إرتمى على  
الصدوق قائلا «واحد شاي يا حسن قبل ماتطفىء» صهبت له  
واحدا وبقي فى الكنكة قليل من الشاي، فلما رأيت الولد العسكري



يلوح بورقة سلوفان فيها عدساية أفيون كبيرة أهرعت بقية الشاي  
 في كوبة صغيرة لى قاتلا للولد «ليلتك قل» اقتسم الولد عدساية  
 الأفيون معي وجلسا يشرب الشاي الساعة في معصم الولد  
 كانت تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل. الولد العسكري هذا  
 يابوي، بلدياتي، تعرف على منذ أول يوم، فكرنى بنفسه وفكرته  
 بنفسى وبان أننا كنا أصحاب أيام طورتنا في كوم سعيد في  
 العنايم قبلى، لولا هذا ما كنت أمنت له لم أكن أدقق معه في  
 شيء، مرة يحاسبني وعشر مرات يشرب ويمشى، لكنه بين وقت  
 وآخر يعاجش بهدايا لطيفة، حنة حشيش كبيرة، عدساية أفيون،  
 علبة بولونيف مبرشمة، علبة سجائر أجنبية، طبق من قطع اللحم  
 المسلوق، أرغفة صابحة مع طبق أرز ذلك أن هذا الولد يابوي،  
 يشتغل فيما يسمونه بالكانتين وفوق ذلك هو واد ملقط وابن  
 زانية، مفتاح على الآخر، جدد، خفيف الدم مفعص الوجه له عيون  
 مثل عيون الكلب ساجية على الدوام وسنتان بارزتان وفك طويل  
 وأذنان طويلتان مما يجعلنا نتصور أن أمه لابد أن تكون قد ميت  
 بقلب وأجبت منه هذا الولد واسمه «قرقوشه».

كان من الواضح أن الولد «قرقوشه» مسلول على الآخر قلت  
 له «إنت جاي عنين ياولد؟ سقط الخبث من عينيه إلى شفثيه  
 فتهدلتا بابتسامة مرتجة كأنه أراد أن يخلص من القلق عليه راح  
 بدعسى في جيب الأهرول ثم استخرج قطعة حشيش تصلح حمص  
 ست سحائر بالراحة أعلقت الباب علينا وأسلطت الوابور لكي

«على رائحة الجاز على رائحة الحشيش ورحنا ننسجم بشراهة  
 مبرة فجلت عين «الواد قرقوشه» فكان لابد أن أسأله

«إلا قر لى يا واد ياقرقوشه! إنت متجيب الحشيش والأفيون  
 ٥٥ معين ٤٩

قال صاحبك

«من باب الله بيحبنى لحد عندي من غير ما أدور عليه  
 معلمين الصاعدة يا آيا قراب صاحك! كلهم معلمين كدر قوى!  
 يعبهوك قوى قوى»

«دهشت والله يابوي، قلت له

«وإنت إيه اللي وداك حذاهم يا قرقوشه! ولا إيه اللي جابههم  
 حداث! دول ماس شياطين ياوله! وانت راجل على باب الله ريباه»  
 صحك الولد الملعون وشد نفسا عميقا نعه بشعطة شاي وقال  
 بساطة

«هم كل يوم والثاني هذا! ومنا عسكر كثيرين يشتغلون  
 عندهم مراسلة وحرسا وكل ما شئت من شغل!»

اندبشت أكثر يابوي، تلعبك دماغى وزعولت بطلنى وصبرت  
 أقور

«هم رتب في الحشيش»

شوح يقصته السوداء فى وجهي غامرا بشعته

«أنت سدوك أهبل؟» كل واحد من أقربائه هو الآخر له محاسيب! هي لعبة ولا إيه! كله يالبنى بتاعه هنا وهناك! أمشى وراءه تكسب وتاكل الشهد»

تحلف اليمين يابوى أن صدرى تقاربت صلوعه وكيست على أنفاسى يابوى. شىء إلهى قال لى أن الولد «قرقوشه» وراءه سر غير طبيعى، انه ولد واعر يابوى، ولا يصح أن تصدق من كلامه شعرة واحدة، وكل من يتلصق فى كسير أو غيره من الكبار المهاجرين لابد أن يكون - من أساسه - نصابا محتالا، أو يكون مفضوبا عليه مثل ولد بلدى هذا..

كنت لا أزال محيرا فى هذه اللة التى جاء بها معه وومعها بجواره على الصندوق، إلى أن نهض وأقام وقال.

«مش عايز أى حاجة من البلد» أنا مسافر فى قطار الصحافة ثمانية وأربعين ساعة»

قلت.

«عايز سلامتكم! سلم لنا على البلد وكل من تراه»

مضى نحو الباب يتلصص ويقول مشيرا إلى اللة

«حلى دى بقى هدية منى ليك»

سرعة أمتدت يدى وأمسكت معلقة فإذا هي بدقية آلى ملفوفة فى حرقه كدت أصرخ فيه يابوى، والنزى دار فى دماغى ساعتها اسى يجب أن أصرخ وألم عليه الدنيا تبرة لفسى، فربما يكون وراءه من يراقبنا، لكننى قدكرت أنه بلدياتى وولد جدع وأننى لم أعمل معه إلا كل خير، صحت فيه بفحيع يمزق القلب

«فى عرضك يا قرقوشه» أنا راجل عزدى عيار! عيلة كملة فى رقتى! تريد ناكل عيشا فلا تودى بنا فى دامية! الله لا يسيبك!»

«لعلون ضحك صحك مكتوما وزغدنى فى صدرى برهق قائلا «ما تباش صعيدى مقول وعيبك» ثم هس قائلا

«محير تعمل شر تلقى! الحق على أنا أردت خدمتك! هده يمكن أن تبيعها بملع حلو! خمسين سنتين جيبها! لست أطلب منك شيئا غير الكلمة الحلوة والعلاقة الطيبة»

تحلف اليمين يابوى أسى صرت كدلعار فى المصيدة، أنظر هنا وهناك، أفتح الباب وأخرج وأعود، لأقول له

«أعمل معروف يا ابن الناس! خذ هذه المصيدة وأرحل عنى بعيدا! الله الغنى»

إبن الكلب لم يهتر حتى وهو يرانى أرتعش وأكاد أسكى بل كان يتسم والفجور يطل من بين أسنانه. ضغط بيده على كتفى حتى أقعدنى فى هدوء وراح يقول.

«أنت تنفتش حين تخرج من البوابة»

قلت

- «لا يا أبو العم! أنا الوحيد الذي لا يفتشه أحد على البوابة» إذا به يبتسم قائلا  
- «إنهم يفتشونني دائما ومع ذلك لا بد أن أمرب كل مرة حنتين وثلاثة»

قلت

- «كيف يا أبو العم؟»

قال

- «شطارة!»

قلت

- «عجائب والله! وكيف تتصرف فيها يا ولد؟»

قال

- «ألف من يشتري في الصعيد! وألف من يبيع»

صبرت والله أرتجف من جميع أنحاء جسمي، إلا وصوت أقدام مقبلة نحو كهفنا من بعيد، فاحطمت كل مفاصلي وقلت جاءك أنرت ياتارك الصلاة لكن الولد اللعين قضى على كتفي قائلا

- «متخافش! متخافش! على كل حال خليفها عندك لحين رجوعي من السفر! فسوف أقابل خطيبتى هذه المرة من بعيد ليعيد»

وأنا به يرفع الصندوق قلبلا ويسربها تحته ويقوم ليفتح الباب ويمضى محملا بأى كومة من الثلج اسناح سمعت في الحلاء من يؤدى التحية ويسلم على بعض لباس باسمهم، وبقيت في تكومي أنظر من القادم أن يدخل فيحصلني ويفتشني ويصع الحديد في يدي. القادم كان أحد الصباط ومعه بعض الامشاشية مساء الحير بيبو على مساء انور بافندي فقامت أشعلت الوابور صنعت بهم شايًا وظللت أرتحف حنف المصبة إلى أن خيوي وبصرهوا

مضى حوالى شهر يابوى وأولد لا يربى خفتته فقلت وله لأحرص هذه لشغلة كدت بارلا لشرء لتموين فاحفيت البندقية نقت ملابسى في احرام من اجنث وخرجت من السوابة دون تفتيش، فأسرعت الخطى إلى محطة «المصحة»، وقبل ذلك يحوالى جمعة كنت في المدينة فحطمت رحلى إلى المعلم «شندويسى» في مصر القديمة وهاتحته في هذا الأمر سألته إن كان يستطيع تصريف بندقية فقال «هت بدل البندقية مائة» هات متقدر عليه وحد منى أربعين جنيها عن كل واحدة. سألته أين ستصرفها يأعلم شندويلي\* فقال أنه عى علاقة طبية متحدر السمك الكبار كلهم - وكلهم من كورم سمعت، نواحيا - ومعارك «لثار قائمة بين عائلاتهم لا تنتهى ولا يفرغ لها صرب نار! غير أن المعلمين الكدر هنا متفقين مع بعضهم إتفاق شرف أن يتم التقتيل في البلد والا يتعرض أحد لأحد هنا، وما عليهم هنا إلا توريد الأسلحة لنديمهم في البلد!»

كنت أثق في المعلم «شندويلي»، فاتخذت طريقى إليه مباشرة، سلمته البندقيّة فدارها في عنقه، ثم انصرف وغاب حوالى نصف ساعة عاد بعدها قابضا على أربعين جنيتها مطوية ووضعها في يديّ فقلت «واكراميتي؟» نظر في وجهي متردداً ونزع من جيبه جنيتين وضعهما في يديّ قائلا «مش خساره فيك» بس إنت مات كثير وخلي بالك من نفسك كويس!!

ثم.. ثم أننى استطيت اللعبة يابوى

## الخامسة - حلاوة النار

كل بضعة أيام يجرى الولد «قرقوشة» منتفح الصدر عليّظ الحسين، مما أن يطمش إلى أبنا وحدها حتى يرفع الصندوق ويسحب من عنقه قرعة أو قرعتين وبعض علب نخيرة يسربها تحت الصندوق ويحس فوقه كأن شيئاً لم يكن. أحيانا لا يجدنى في الكهف فيفعل فعلته وينصرف ليعود ثانية يعطينى جبزا أنا أيضا تحودت كلما غبت عن الكهف وعدت أرفع الصندوق تلقائيا وأمرر يديّ تحته بحثا عن الأمانة، وفي العادة أجد خيرا كثيرا تحلف اليمين يابوى أننى حتى هذه اللحظة لم أعرف سر الولد «قرقوشة» العجيب. لقد حيرنى يابوى وبعثر دماغى فى كل ناحية مما سمعت فى فهمه وما استطعت أن أعيد لم دماغى ثانية إذا مرضنا ياخال أن هذا الولد يسعى لجمع النقود من وراء هذه الشغلة مما باله لا يطلب متى نقودا أبدا؟ كلما عزم عليه بالنقود أسمى كل الإباء! غير أنه كلما وافته فرصة السفر إلى بلده استلف منى شيئاً، من خمسة جنيهات إلى عشرة، وفي العادة لايردها ولا ياتحسب فيها كثيرا ما يسألنى عن حجرين من الحشيش

أو بوسته أهيوين فيحدي أدحر نه شيئا منه أتره ولد عبيط  
ياحال؟ أم أنه يدبر لتوريطي في عملية كبيرة؟

عصبا عني أهيت شغلي بهذا الأمر وركنته في منفعة حقبة من  
دماعي صرت أتسبب إلى الكسب، وهي كل مرة أقول لنفسي  
تكن هذه آخر مرة أتوب بعدها لكن اتوبة ليست سهبة أبدا  
يابو، دائما تمنعها ظروف خرجة عن الوصول إلى صاحبها في  
مواعيد منكرا، والإنسان في العودة يهرب من التوبة دور أن  
يدري، في كل مرة خرجت فيها لفردة جديدة وتوبة جديدة أهاحا  
بأن سعر الفردة قد ارتفع من تلقاء نفسه عشرة جنيهات دفعة  
واحدة ثم أنني رأيت عصا يابوي، صدق من قدر أن من عاش  
يرى كثيرا ومن لف ودار يرى أكثر كل معلم من الصاعدة دوي  
العمائم الكبيرة الذين صرت أوصل لهم المادق يدا بيذا أخبروني  
أن لهم أولادا كثيرين مجدود في الحيش يمدونهم بكل أنواع  
الأسلحة والذخائر ويرزقون هم طبعا يفرسون بالإكثار من جلب  
السلاح لهم حتى لا أخاف

زهزت لي الحياة يابوي حتى صرت قادرا على تحقيق كل  
مطلوب ومرغوب إلى أن تغلب الوعد والمكتوب، وآر الأوان ليظهر  
الصحيح من المغلوب، والغالب من المغلوب، والأصيل من المغلوب.  
ولكن ربك - في النهاية - رب قلوب

كان معي فردتان وأربع علب للذخيرة تشبه علب السكر  
القبولب، فوضعت هذه الأخيرة في حزمة ورقية من جعب

الكامابة ووضعت فوقها حلفات قديمة، أما العردتين فحشرتهما  
بالطول تحت تكة السروال وداريتهما بالجانب ومن فوقه ليست  
بالطو من بلاطي الجيش وخرجت كالعادة من البوابة دون تعتيش  
ومصيت مسوط أربعة وعشرين قيراطا أعنى وأصرب بالور،  
حتى وصلت إلى محطة «اصح» فوجدتها كإعادة خاليه كنت  
سائر فوق الفسكات بين القصصان أبغي للوصول إلى اسلم لدى  
أصعد عليه إلى الرصيف، إذ أنني ما قدرت على التفرغ فوق  
الرصيف لأن العردتين حالتا دون رفع ركنتي فتعصت لذلك يابوي  
وبوت الانتباه حيدا حتى لا أكرره والا برز دور المدقية مرعوا  
تحت أذياب بقيت مذهب ياخال وقد وفر في ذهني أنني خلقت  
هكذا مصلوب الحين لا أتزوج ولا أبحي وكان سبب برصيف قد  
لاح عني بعد عركة كعب، ولاح معه ثلاثة من النوليس أحرسي من  
دوي الكاب الأحمر، وشخصية الصابط وأصحة عليهم من نظافة  
السراويل والسترات وتساقها عليهم صرحت صعبا عنهم، مالى  
بهم؟ قدرت أسي ما رأيت شيئا يابوي حدثتني نفسي بأنهم ربما  
يمرهنني إذ أنني مشهور لدى الكبير والصغير وعموم العسكر  
وحينئذ قد يسترقعونني ويسلمون على هذا، ليس من مصحتي في  
شيء فملعون أيوهم وأبو سلامهم لست منه في عوز

تملكت سلم الرصيف وجعلت أصعد في ثبات حتى تملك  
الرصيف نفسه وكانوا هم وأصعين في انتظار انقطاع مصدع  
البصر عنهم ماها نحو غرفة شدك التاكر تحت السقف الجمود  
وأمامها الأرائك انحشية الخصره التي ما أن رأيتها حتى طلب

قلبي حين تذكرت أنني لا يجب أن اجلس أو أحاول الجلوس أمام أحد لأن طرفي الفردين سيبرزان فوق صدري لا محالة.

هي خطوة واحدة خطوتها يابوي، وإذا بواحد من الثلاثة الواقفين يتعنى مناديا «حد ياولد» فاحط على قلبي جبل من الجرايمت الاسود يا حال، لكنني تجاهلته على اعتزاز أنني لست ولدا. إذا به قد صار واقفا أمامي واصمعا كفه على كتفي باطرا هي عيني قنلا «أنت رايع قين؟» قلت لكل ثبات «رايح أركب القطار» نازل البلد بلذ الله! قال «أنت مجيد» قلت «لا! أنا حسن متاع الشاي» حوه المعسكر تبع الحاج مرمود (المقاول) زام قانلا «وايه الكي معاك ده» مددتها نحوه قانلا «خلقاني» سوف أعطيها لامرأة تفسلها! وسوف أشتري المونة! لكن يده - تستحق القطع - كانت أسرع من جوابي، إذ أمسكت بالجمعة فكأه قبض على قلبي وألله ياخال. فتحها وأمسك علب الدخيرة مطلقا من بين شفتيه صفيرا حادا محيفا «أصبطه» ثم أشار إلي زميله فلقحا بنا وهم من الاندهاش والفرح في حال. صار يمرض عليهم العلب. ألهمني الله بكلام صرت أريده

- «والله والله يا سعادة البية أما لاقيه في السكة دلوقت ورايح أسلمه لإدارة المعسكر»

زغدني في صدري.

- «أنت كداب! أنت لسه قايل أنك نازل البلد»

ألهمني الله من فضله وكرمه

«يا سعادة البية أنت حصرتك شافني على رصيف القطار «لى طالع على المعسكر» يعنى لازم أروح المعسكر الأول أسلم الامانة دي وأرجع»

فما دخل عليه هذا الكلام طمعا. ضحك.

- «أنت تستغفلنا! أنت تركب من هنا كي تجد مقعدا خاليا» وترجع مع القطار قبل هجمة العساكر على انقاعده

صار كل واحد منهم يسألني سؤالا، كل سؤال يودي إلى داهية كبيرة. والذي طلع على لحظتها «أنا لقيته وكنت رايح أسلمه! غير كده ما أعرفش» من أعطاك من لاهك من سواك من سحمتك؟ ما أعرف ما أعرف ما أعرف

جاء القطار فدفعني نحوه وقالوا أركب، قلت حاصر، ورجعت قدسي لأصعد سلم القطار. فارتفع صدي، هبزت ماسورة البنذية تحت اثنياء فعبطوا في. صاروا يتحسسون جسدي من كل ناحية وهم يصيحون في استهوال. مهرب مهرب! لم يكن في القطار غيرنا محمدت الله على انحصار انصبيحة عادوا بي إلى المعسكر طورا يمشون بي بين البنايات وقتا طويلا، وعند كل ساية يفرقون في ويدخل واحد منهم فيغيب دقائق ويعود وهي أثره عشرات من الأشياخ الصفراء برؤوس حمراء ورقاء تتسلل وتتبعص وتتصمص بالشعاه وتبصق في اتجاهي بحظتها لم يكن في رأسي غير أمي وأخوتي والمعلم شيدويلي ولم يرعسي في كل ذلك - صدقتي يابوي - سوى البيت «حنة» ومدا ستقوله

عنى لو رأتى الآن فى هذه الرحلة الشنيعة والعيد ناله البصقات  
ترجمنى فى قفى إلى أن سهل الكريم قدخلنا فى نهاية فيها  
عرهتان متقابلتان، دخلوا بى إلى العرفة اتى على اليمين فقلت  
بشرة خير أن جاء كتابى بيمينى فلسوف ينجىنى الكريم بإذن الله  
من هذا المقلب دفعوا بى فوق بساط وردى مستطيل تحفه  
قصارى الروع من الجاسين استوقفوسى هرفت وجهى عن  
الأرض فإذا أنا أمام مكتب يلعب كالذهب، والقطيفة الحمراء تكسو  
سطحه، وفوقه أوراق وتماثيل وطعائيات وعلب سجاثر، جلوس  
خلعه رجل عتل غليظ العنق كبير الوجه كراس أبى الهول فيه  
الكثير من تقاطيعه، ثقل الحاجبين أسودهما بارزهما، ومن  
تحتهما عيان لا تكفان عن التحديق فى وجهى، عريض الكتفين  
بارز الصدر كهوابة مسجد. كان يتكلم فى التليفون وكلمنا سمع  
كلمة بخلقت عيناه فى نغيظ، فلما وضع السماعة واعتدل طهر على  
وجهه أنه قد عرف كل شيء ولم يعد فى حاجة للسؤال عن أمرى  
خرج صوته كالرئير تحلف اليمين يابوى أن جنينة حيوانات  
بخالها فى صوته المخيف «أيه حكايتيه بالطيط الولد ده؟» حكوا  
له ما حدث بالضبط، وبالمثل. خفت أن يظن هذا الدرفيل أن  
سكوتى إعتراف منى بالجريمة، فبكيت صائحا «يا سعادة السيد»  
ربنا يخليك ويستتر عرضك أنا مظلوم. ما كنت أظن أن الدرفيل  
الجنلى يمكن أن يتسم مثل خلق الله يسوى، أو يتدو عليه مثل  
هذه الطيبة التى كتبت والله أن أصدقها وأكل الطعم الذى فيها، قال  
فى صوت لا أدرى من أين وأنته كل هذه الحمية..

.. «معيشة» معيشة إذا كنت مظلوما تأخذ حقا أربعة  
وعشرين قيراطا! على كل حال سيكب من الناس دوله

صفق بيديه نحو الواقفين يهشهم، قادوا له التحية العسكرية  
واستداروا معصرفين، وبقت وحدى أمام هذا الرجل التخين، الذى  
مد يوره بحوى فى ود كبير، فدهمته صوت كالريح العاتية «د  
سيجارة»، وأشعلها لى، وصاح «هت له واحد شاي» وقدم  
بحوى فلوسا كانت على مكتبه قائلا «مش محتاج فلوس؟ إطلب  
مايهمكش! ده احنا بلديات واولايج فوق كل اعتبار» إنبريت  
أقول «تشكر يا سعادة النيه تشكر» وجديت نفسا، وحضر الشاي  
وسمعت صوتا يقول «إجس»، فانتبهت ساطرا فى الرجل فإذا هو  
بقول بالفم اللسان «إجلس»، فترددت كثيرا حتى سمعت الأمر  
للمرة الثالثة فجلست على طرف الكرسي خشية أن يتلوث حله  
من وساحة ثوبى وحشية أن يلتصق ثوبى بالقروح المنتهية  
الزمائة فى ظهرى من أثر الصرب مانكرباج والشلالية والشوم،  
وتأوت ياخال من شدة الوجع وانهمرت دموعى يا حار تحلف  
«يمين كاشها المطر، والرجل يصيب حاطرى ويقول «إشرب الشاي»  
إشرب الشاي» قال متحاششا «للى ضريرك حيابد عقابه» وكنت  
منكسا وجهى فى الأرض لكننى كنت ألح الباب الأزرق يفتح سما  
فى صوته يؤلمنى يقول لى لا تمصع يا حسن وإياك إياك شربت  
كم شقطة من الشاي وكم نفس من السجارة ومسحت دموعى  
بكم جلبابى، فاشعل هو الآخر سجارة وقال لى:

« به بقي لحكاية يا ابو علي؟ قول كل حاجة بكل صراحة! إنت  
شخصيا سيمش اى مسئوليه بس الجدعنه بقي تنورنا بالحقيقة!  
نعم - إنت حاييف بحوف ده كله بيه؟ »

فبت

« أحسن بحكيه يا سعادة النيه أسى كنت ماشيا قاصدا محطة  
المصلحة لأركب منها إلى المدينة كي أشترى التموير وأعود!  
فصادفتي هذه البسة مرمية فى الأرض وأنا رجل عظيم! لم أعلم  
أن هذه صناديق بخيرة لأنها معلقة بالشمع! وبعدها بحطوات  
وجدت البندقيتين مرميتين على الأرض ويظهر أن أحدا كان  
سارقها ورمى بها! قلت فهاسلماها لإدارة المعسكر! ولهدا طلعت  
على الرصيف الذى فى طريق المعسكر! فشاء سوء بحتى أن  
يصادفنى البكوات على الرصيف ولم ينتظروا سماع قولى  
قمشومى وابهلوا على بالضرب وحروبو إلى هنا بالعافية وأنا ما  
استطيع أن أفتح فمى بكلمة! »

أشعل الرجل التخيز عليونا من الغلابين الكثيرة المتكومة أمامه.  
ولاح أنه لم يرمض بالاستماع لكلمة واحدة مما قلت فكانتى ما  
تكلمت. مال نهموى وهبت رياح صوته تحاصرئى من كل مكان:

« شف ياؤد! إذا قلت لى من الذى أعطاك هذه الاشياء مسوف  
أتركك! تعود فى الحال إلى بلدك وأهلك! سنكتفى بحرمانك من  
الشغل فى المعسكر! فاسمع كلامى أنا ولا يهكم من أى أحد آخر  
عيرى! فما أقوله لك أنا هو الذى يتعدا! »

قلت بصوتى انفرقان فى النكاه

« والله والله يا سعادة النيه يعين أحاسب عليه فى نار جهنم  
أسى! أتكلم الصراحة ولا أعرف غير ما قلت! »

فأشعل الغليون ثانية ياخال، وأحمر وجهه، وهدر:

« دادا قلت لى من أعطاك هذه الاشياء لى تكون متبهما بل  
شاهدا! أهممت؟ »

قلت

« لا إله إلا الله محمد رسول الله! وحق جلال المارء فى  
سماء أسى! كنت ماشيا قاصدا المحطة فالتقيت هذه البلية فذهبت  
لأسلمها فالتقانى البكوات فاعدمونى العافية وحاموا بى إلى هنا! »

أشعل عليونه مرة ثالثة ياخال، نفتت الدخان قال كانئى لم اتكلم  
من الأساس

« إذا قلت لى من أعطاك هذه الاشياء فسوف أتركك فى  
لحال! »

بحلقت فيه ببأس، قلت:

« يعنى إذا قلت لك عليه تتركتى حقا! ».

فاعتدل ياخال وتحصاعف حجمه وصار وجهه كسلة البيص  
ولح الناب الأزرق فى بياض عيبه المصفر، وصاح:

« بطيحا! ».



فاشرت إلى العسكري الواقع أمامه وقتلت

- «هذا العسكري هو الذي أعطاهما لي»

استغض الولد العسكري صارحا ياولداه وكاد يقع من طوله

وهب في هزاع

- «استعمر الله! أعوذ بالله! أعوذ بالله»

حينئذ - وبكل هدوء ياخال - سقط الرجل التخمين على زر

جواره فدخل العسكري السابق فابتدره قائلا

- «والعروسة»

فاحتفى العسكري في الحال كأنه تلقى أمرا بالفرح يابوي.

وعاد بعد بوهة كأنه العرعح نفسه صمحيه اثنائي يخلعان العروسة

تقدم العسكري منى وطرح العروسة على وشرع يكتفى فيها

ويتعمد أن يجدينى نحو مكان بعيد عن المكتب ثم ادا به يعطى

ظهره للرجل التخمين ويهمس فى أذنى

- «إياك أن تعترف على أحد حتى لو قطعوا حنك للكلاب» إسا

فى صالة حرب ولاد أن يضربوكما بالنار أنت ومن تحترف

عليه»

شكرته بنظرة عرفان، لست أملك غيرها إنتهى من مهمة

تكتفى وتركنى للآخر.. وبميك ما تشوف إلا الدور يابوي.. فين

بوجك يا حسن ياولد أبو ضب، الكرجاج طوين لسان يابوي وفيه

بار الله الموقدة يلتف حول صلوعى بمنقها، يتعب الضارب وتهد

قواء فيتوقف متشربيا أماسه فحينئذ الودع الحقيقي ينته إليه

جسدى، ويبدأ صوت الرجل التخمين.

- «إذا قلت لي من الذى أعطاك هذه الأشياء ترحم نفسك

وتعنى من الصرب»

فأرد عليه بنفس الكلام حتى تعبوا من صربي يابوي ولم يبق

فى جسدى جلد يتلقى لسع الكرجاج فتراحت عليه السنة الذهب

الحمراء فوق بعضها كالجبل والهصاب فوق جسدى وسلم الرجل

التخمين بأبه لا فائدة ترجى من ورائى، فكتب كلاما كثيرا على

ورق كثير وشوح به نحوى. فاندفع مصع رجال أشداء يلبسون

الأفرولات مدهموني مقيدا، ألقوا بي فى عربة البوكس فوردي، التى

مصمت تنهب الطريق بها حتى وصلت إلى مصر الجديدة وتوقعت

عند منزل حليم قيل لي أنه سرارى النيابة. دخلناه. مشينا فى

طرقات وصعدنا سلّمات ومررنا على غرف، دخلنا غرفة فيها

أفندى مهيب صغير الدماغ مفلوق الشعر فى الوسط من رأسه كما

الممثل معاذ حمدى، ولد الطلويات داك الذى يطلع فى الأعلام كان

شبهه الحائق الناطق تقول هو بعينه ظهر على وجهه انه مرتاح

من مطرئ يابوي، وانه - تقول - مستاء لما حل بي وبأدميتى

قلما دفعونى أمامه بعف كاد يكسنى على وجهى صرح ميهم

«ما هذا؟» صحت ناكيا «أنا أطلب الطبيب الشرعى يساعد البية

أما واقع في عرضك يأسعده النبي بعد شرحوني ولسوف أموت  
بعد هدية قليلة. ورفعت ثيابي فعرثت جسدِي وصوت ألف حول  
بفسي أسماء وكان القميص يابوي قد التصق بخروج الحلد فما  
رفعت نزع سلحات من جروحي أنقيحة فصار منظر حسي عجا  
واله يابوي. ولما واجهت الرجل وجدته مبعدا رأسه إلى الناحية  
الأخرى لاويا ملامحه من انقالم مداريا عينيه مكفيه. قادر ومنا أن  
يحرسي لو كنت كاديا، كانت هذه أول مرة أشعر هيبها أن  
لحكومة يمكن أن يكون لها قلب وهذا ما لم يكن دور لي بحد  
على الإطلاق يابوي العم

بسرعة شديدة تناول الرجل الورق وأشر عليه قائلا كلاما  
ههنت منه أنه لا يقلل أن يتسعمي فطروا نحوه بعين أشد ثم  
دفعوني رعدا وتلصيت تحت انحرام، عادوا لي إلى العربة انطقو،  
عائدين إلى سراية أخرى في مصر الجديدة، هنلقاني شاب في  
مثل عمري وتجنسني جيدا وعلى وجهه كثير من الرع الحقيقى،  
ثم أمر بإحالتى إلى المستشفى العام وادوا ١٠ يابوي مكنت  
في المستشفى العام أربعين يوما مدة استمرار الحس. ومن  
المستشفى رحلوني إلى السجن ره الحسة التى سامتل فيها  
أمام الحكمة بعد بضعة شهور

## أيام الخلق ستة الأولة - مدرسة الظلام المستير!

من لم يدخل السجن لم يعرف من الحياة كلها الا بصفها  
يابوي صدقنى والله، ولم يعرف من طبيعة الخلق الا ربيعها  
بانكثير أنت يابوي عدم المؤاحدة لا تعرف شيئا كنت لها  
ودوارا وما أدراك. لكن تأكد يابوي من شيء هام جدا إذا لا قدر  
لله دخلت السجن لسبب من الأسباب فانت داخل إلى المدرسة  
الحقيقية التى ربما ما يكتبها عليك، تعود بكل ما ينتج عنها من  
معرفة. بكن إذا كان ذلك قدرا مقدورا عليك، ففتح عينيك حيدا والا  
صعت في الأقدام، تفتح عينيك تصبح أستاذ كبيرا في الحياة،  
وتحصن من الجنون، تسوق المعادة تصبح ممسحة للأقدام

أيام كانت مريرة يا حال ومليئة بالسواد والهم المقيم. كل  
لساحير تحينهم ريرت الا العبد لله كالمطوع من شجرة. كل  
المسجين لديهم داخل الرنازين أشياء تخصهم الا أنا ليس  
يحصى شيء ولست أحتكم على شيء، هالنفود لتي كانت معى  
صادرها عسكر اشترطة من أول علقه ولم أجرو على أن أموه

قلت لا عليك يا ولد إن اشتغلت خادما لهؤلاء المحكام الفتوات  
 سم الحاكم الفعلى يابوى إن كنت ضيعفا مثلى فى موقف ضعف،  
 ووليه كانت أحلى فكرة الفتوة جالس فى مكانه وأنا أغسل له  
 ثيابه أطنخ أنظف الزنزانه أسقيه المشيش أقصى له الطلبات، وما  
 المانع يا حال، إذا كان من هم أقصلى منى ممن علمهم أهلهم فى  
 كبريات المدارس وعالى المعاهد يخدمونهم بأموال كبيرة فلا صير  
 على أن خدمتهم بأكلى وأصبح فى حمايتهم. وهكذا ولعت على  
 المعلم «طريشه»..

تاجر حشيش كبير قوى يابوى، يخرج من الحبس الاحتياطى  
 ليعود إليه كل مضع سنوات تجارته شغالة فى حى الباطنية من  
 وراء الجامع الأزهر، كالعادة لم تتعطل ساعة واحدة، توين شريه  
 يحىء إليه كل يوم فى الحبس فى عامود الأكل الساخن مفتحه  
 يابوى فسجد المحمر والمعمّر والخضار المطبوخ والأرز المفلعل  
 والكنافة والمهلبية، كل يوم والله يابوى تحلف اليمين كأنه فى  
 لصيف لا ينقصه إلا أن يحىء البحر تحت قدميه مسافرا من  
 رأس البر، فى أيام الزيارات الرسمية تجىء السلة ملآنة بما لذ  
 وحساب من هواكه وسجاش وحشيش وأميون، كل ما تمسحت عنه  
 خارج الحبس فلا تصدّه باى ثمن تجده فى الحبس بأقل ثمن هذا  
 بالطبع يتكلف تكلفة كبيرة يابوى تصل إلى مئات الجنيهات كل  
 يوم والهدق يفهم.

كلمة مرادى أن أتكمب فى السجن مثلما يفعلون يابوى،  
 فالسجن سوق أشد من أسواق الحرية، ناتج الحشيش المسجون  
 شغلته فى السجن بيع الحشيش أيضا، تاحر العملة كذلك،  
 مزيعوها، لاعسو الثلاث ورفقات، كل صاحب مهبة قبل الحصة  
 يشتغل فى الحبس شغلته التعموين يدخل السجن برصاء العسكر  
 وفوق أنوفهم أحيانا ومن وراء مؤخراتهم أكثر الاحبايين لكنهم  
 جميعا مرزقون مسعدون ومع ذلك هم يشددون الحراسة على  
 الآخر عسكر من ويتاع من يابو العم؟ إياك تظن أن فى بلادنا  
 بالذات شيئا يمكن أن يمدعه الحراس، أو عملا يمكن أن يخلصه  
 المستوطنون بدون أن تعطيههم عن يد وأنت صاعر، وطالما أن جميع  
 القاضيين على الشغل فى بلادنا يمدون الأيدي حتى وإن لم  
 يخرجوها من جيوبهم قرار ماتسمونه القابون والصمير وانعدل  
 مجرد كلام فى كلام يابوى، خذ هذا الكلام من أخيك حسس ولد  
 أمى ضب وقلته فى دماغك وأنت تعرف أنه حقيقى، اسأل نفسك  
 هل استطعت طول عمرك أن تقصى أى مصلحة بدون أن تبرطل  
 عليها وترشوق؟ فمادا تفعل لو كنت مثلى سجينا وليس فى  
 حورتك أى شىء ترشوق به السجناء مفلعلو السجن العتاة من  
 فتوات المحرمين والنصايين تحار المخدرات والقوادين أولئك هم  
 حكام السجن يابوى صدقتى والجميع خدم عندهم بالأجر، كل ما  
 يريدون فعله يفعلونه والقرش هو الذى يتكلم، وأنا نفسى محتاج  
 للقرش كى أبر به جسدى المدهوك فمادا أفعل يابوى؟

قن أن هذا الرجل المددع أعجنني، أحسنه والله حتى لكل رح  
 تكسر أنف الحكومة ويدلها بأي شكل إنه يشفي عليي وينتقم لي  
 يدوي قلت لابد أن أكبفه على الآخر فالحشيش لا يسلى ولا  
 يكيف. حدث بكور صغير كان في الأصل غلة عصير وحدث طبانة  
 العيش الساحر وهي نصف ناصحة ومعتنها ثابيه مصيفا إليها  
 قليلا من التراب صنعت منها خمس حجارة من حجارة الجورة  
 وبوصيتين قصيرتين تركتها حتى نشفت تصلمت صارت لو  
 حطتها في جبهة رجل نبطحه وكنت أسرع نفا من قطر المراتب  
 وحشيات الكرسي أصعب منها أسرطة مسرومة أعسها في الجار  
 ثم أحفيتها في مكان خفي من الروايف مع غيرها من المصنوعات  
 الصغيرة الحجم، أما المصنوعات الحظرة كالحشيش والأهيوون  
 ولنفود الكبيرة التي يبيع بها انعم حشيشه في السجن فكنت أنا  
 محبرها، أبرم ورق النقود مع الأشياء في حواير مذكوكة في  
 بعضها جيدا وملفوفة بئلاستيك الأكياس الباعم الأملس حتى إذا  
 ما لستها في مؤخرى استأبنت بسهولة إلى الداخل وأن حرقتها  
 ترفطت حارجة بكل رقة، كنت ألس أكثر من حابور، ثلاث أو  
 أربع أدوار فوق بعضها وأكون عازها بأن الحشيش في الحابور  
 الأخير ليسهم إفلاته كلما احتجنا لتعمير الدماغ، إذ محرك السجائر  
 أو الدخان المغسل فوق حجر الحورة ونشع الشريط وتمرره فوق  
 الدخان المبروج بالحشيش وشعط إمراج كائنا مشرب على أحسن  
 جورة لدرجة أن المعلم «طريشه» نوى أن يأخذ هذه العدة معه عند  
 خروجه من الحبس

بهذه الطريقة وجدته يابوي استطعت أن أمكث في الحبس  
 لا احتياضي كل هذه الشهور، وأنا كل نصعة شهو أمثل أمام  
 مصبة المحكمة فأض في العقص الحديد من مذكورة لصباح حتى  
 جر الحسنة إذ يؤشر انفاضي على أور في مائلا يعود كما كان  
 فأعود كما كنت يابوي ولا أحد يسأل في صحة سلامتي والمعلم  
 «طريشه» يصيرني قائلًا إن الله معه، ويعشمني أنه حين خروجه  
 من الحبس وجروحي بإذن الله سوف يأخذني لأشتمل عبده نفس  
 هذه النشقة التي أشتتها له في الحبس. إلى أن جاءت إحدى  
 لحظات ذات يوم فمثلت أمام انفاضي حتى انتهت الجبسة فمدوا  
 علي قدحلت بعرفة أنتي يدخلها العصاد نور إنشاء الجلسة  
 كالحافقين المدعورين من أمل سفاضي ود في أمام ثلاثة من  
 الأهدية كل منهم يكفي لتخويف بلد محالها وكل منهم راح يعصر  
 في عيسى بقلبي من فوق لحنت فأن الحاس في وسطهم وقد  
 ظهرت عليه لطية «ياولك أنت» فب «نعم ياسعادة الله» قال  
 «أنت لقيت هذا السلاح وكنت رايح تسلمه من كده»، صحبت على  
 انفور قائلًا «مضطوب ياسعادة الله» أنا لقيت هذا السلاح وكنت  
 رايح أسلمه. فظهر لانتصار على وجهه وتراجع منحبص  
 للحائط صائحا في الكاتب الجالس بحواره «أكتب لقيت السلاح -  
 وكنت - رايح أسلمه»، وصعط على كلمة كنت صغطا طويلا  
 مضطوبا إلى به الرعب في قلبي فلم أستطيع فتح فمي بكلمة وأنا  
 به يطوي أوراقه قائلًا «يعود كم كان» عدت كما كنت يابوي  
 وقد أيقنت أنني مكتوب لي لقمة عيش طويلة الأمد في الحبس،

والمكتوب ما منه مهروب. يوم ذاك جاء الحاميس يزورون المعلم «طريشة» في زنارته فتكلموا جميعا في موضوعي، إنهم لفقهاء في القانون يابوي أحسن من القضاة والمحامين يابوي بل هم أدكى من واصع القانون نفسه ليتهم ما تكلموا يابوي، لقد كسحوي، كسروا مقاديفي كلها، أفنوا كلهم أن عقاسي في هذه القضية لن يقل عن خمس سنوات، نعم يابوي خمس سنوات هي براءتي في هذه القضية كما يقولون أما حكمها الحقيقي فالعياذ بالله منه

## الثانية - زائر الفرج

لكنها الدنيا يابوي أجوالها عجب في عجب...

في ذات ليلة كنا حالسسين كالعادة نشوف مزاج المعلم إلا وصوت الأقدام يقترب من الزمالة. فامتدنا، فما كدنا بشعر «اصباح» ووضع في قفل الباب حتى دارينا كل شيء بكل سرعة وتطرقنا على الأرض كأن شيئا لم يكن ما أن انفتح الباب حتى ادفع نحونا شاب أشقر الشعر أبيض الوجه مستطيل طويل القامة «بدو أنه ابن ناس وادن مدارس ومن الواضح أنه لم يتعود على «إهانة» انطلق باب الزناراة في الحال فبقى الشاب واقفا في منتصف الزناراة كي تتعود عيابه على محتوياتها، ثم استدار نحونا متطوحا كالسكران المجهد قائلا «مساء الحيرة»، ثم ارتقى على الأرض متربعا بجوارنا، فكشفنا عن العدة من جديد وشرعنا بشوف مزاجنا بعد هذه الخصصة الجامدة وكنت مترددا في الكشف عن العدة خوفا أن يكون ضيفنا هذا من المباحث المدسوسين علينا وعلى أبا الدات، لكن المعلم «طريشة» قرأ في وجه الشاب أنه متهم بالفعل في قضية وليس يمثل دورا، ثم أنه

راح يتابعه في اسبهر شديد ولم يمتنع عن الشرب حين ما ولده  
البوصة بل أمسكها بحرقنة واشتياق

حجر فالتاسي فالثالث فالعاشر انتهى علينا الشاب حكايته من  
مطلق سلامو عليكم اسمه «وائل عثمان» وشعبته وب لنعبد  
- إمسك رأسك يابوى - وكيل بيانة، وتهمة بروير في أوراق  
رسمية خاصة بجوارات السفر وهو في الحقيقة مظلوم فيها  
ولسوف تنكشف براءته بسرعة هو بالفعل طيب وبرى هكذا  
قال المعلم «طريشة» من أول ما بدأ الشاب يحكى، وأعلم  
«طريشة» لا يخطئ النظر أمداء، إنه يعرف ابن الناس الجريء من  
المجرم من كلامه سلوكه طريقة جلوسه نومه أكله شربه كس  
«وائل عثمان» يظل طول الليل يفكر في قصيبته وفي القابون  
واسيجارة الأجنبية - ليس ابن ناس - مصهانة بين أصعبه على  
الدوام الزيارات تحي له بشكل متواصل فيها، صيب الأكل يدهده  
أماما كله لقد أحبه المعلم «طريشة» كما أحسنه وصربا مشغولين  
بقضيته أكثر من شغلنا بقصيتنا لكنه ذات ليلة شرب معنا حجارة  
كثيرة وبدت عليه علامات الانبساط فراح يستمع إلى حكايتي  
بشغف، كاملة هذه المرة بعد أن كان يستمع إليها متعابها صغيره  
قلت أنهيت كلامي ضحك من كثرة السرور وحطني بكفه على  
كتفي قائلًا والإشراف كله في وجهه «أنت قصصك سهلة وبراءة  
منة في المائة» قلت أنا والمعلم «طريشة» في نفس واحد «كيف

بأرجل؟» قال: «وأنت في المعسكر! هل كانوا يفتشونك في  
«حول وهي الحروح؟» قلت: «لا يسرى» أنا لم يكونو يفتشونى  
لأنهم عرفونى ووثقوا في» قال: «أنت لا تفهم هذا! إذ أن الفروض  
أنهم لابد أن يفتشوك وأنت خارج من المعسكر» قلت فرحا «نعم  
بالحسن» قال مشوحا بده خلاص! امتيت القصية» حس «كيف  
يأرجح؟» قال: «لأنهم يفتشوك عند خروجك من «البوابة» وهذا معناه  
أنك لم تسرق سلاحا من المعسكر! إذ لو أنك سرقته لضبطوه في  
«سوانة عند تفتيشك» ومعنى هذا أنك لقيت هد سلاح في  
الطريق»

تُحلف اليمين يابوى أن هذه الكلمة نورت في دماغى مثل  
الكتاب في لخرج قلت: «والله أنها فكرة كسرة يابوى من أين  
حئت بها يا «ابن الدس الطيبين!» قل باسم!» «تراك تستطيع أن  
تشرح هذا للقاصي؟» قلت مرتعشا بالفرحة للمعلم، «ربنا معي»  
قال: «معك محام!» قلت: «لا والله يابوى العم» محامى هو الله!»  
قال كأنه يسرح بخيالى: «لا عليك! إن المحكمة ستندب لك محام  
بدفع عنك بالحق!» وسأكتب لك مذكرة قانونية تعطيه للمحامي  
أول ما تراه!» قلت وأنا في غاية العجب «والله بكرمك ويوقف لك  
أولاد الحلال! الله يفتحها في وجهه دسا وآخره الله لا يوقف في  
صيفة ويفرج عنك ما أنت فيه!» فصار يرت على ظهرى في  
حنان وصرت أبكى في غزارة

«وائل عثمان» ابن أصل صحيح يابوى اللهم زد وبارك ظل أسبوعا بحاله يطلب ورقا أبيضاً وأقلاماً وكتباً معينها يحدد لزواره أماكنها في دواليب بيته، وأسبوعاً بعاله يكتب في هذه المذكرة كل يوم يكتب صفحة، إلى أن حان موعد الجلسة فأخذت هذه الأوراق معي إلى المحكمة. ووقفت في القفص الحديدي إلى أن نودي اسمي فصحت كاللوج قائلاً «أنا أطلب المحامي الذي تقدمه المحكمة للدفاع عني من فضلها وكرمها علي» - وكان «وائل» قد لقى هذه الصيحة - فأسلخ عن مقاعد المعامين رجل عجوز تبدو الطيبة على وجهه، وتقدم معي قائلاً «أه محام، فدفعت إليه بالورقات فذهب يقرأ فيها طالماً إرجاء القضية حتى أحر الجلسة، فاستجابت له المحكمة، فجلس مضطرباً في القراءة باهتمام وتقرعصت داخل القفص أتامعه بقلب واجف وهو يقبض الصفحات واحدة بعد أخرى حتى أتمها ورفع وجهه عنها وبدأ متحمساً للكلام ونودي اسمي من جديد فانتبرى المحامي يدافع عني بكلام من دماغه يشبه الكلام الذي يقوله «وائل» بالصبط وقد أكرمه الله من أجلي فانطلق لسانه في كل واد وقال كلاماً كبيراً يابوى رقص له قلبي من الطرب، شرح للمحكمة حالى وغلى وطيبتى واستحالة أن أكون ذلك المحرم الذي يتراءى للمحكمة الموقرة وفي النهاية يابوى لم أصدق نفسي وأما أسمع صوت الحكم على سنة مع الشغل! لم أصدق إلا بعد أن بارك لى الحاجب والمحامي فرفعت ذراعى صائحاً يحيى العذل!

### الثالثة. فولة في قلب غولة

حاجة تهوس يابوى، الدنيا أمورها عحية ولها في كل يوم نصانيف من تصاريق لا تحطر للننى آدم على مال. أما مثلاً يابوى خرجت من الحبس يامولاي كما خلقتنى يارب ثورقنى، لا قرش ولا عشرة، الثوب الكشمير والآخر البويلين والقميمص والسروال تسلمتها من عهدة المسس فليستها ومضيت في شوارع مصر المحروسة أتشمع عير الحرية أتنى أن أكون في عشرات الاماكي في وقت واحد وأرى عشرات الناس في لحظة واحدة كنت جاثماً فشعنت وتعبا فاسترحجت ومريضاً فشغيت كل ذلك من هواء الشارع فحسب، أى والله يابوى، وبالإمارة كان يحيل إلى أن كل من يلقاني يجب أن يقف ليسلم على وأسلم عليه في اشتياق ولست أقهم من أين جاءني أن كل أهل المدينة كانوا على علم مسجيش وأنهم تبعوا لذلك لا بد أن يفاجئوا من رؤيتي في الحلاء طليقا، إن هو إلا إحساس عجيب قناته الله يابوى، إحساس بأننى قد صرت مصنوماً ببصمة السجن حتى وإن صرت حراً

غير أنني ما لبثت حتى جعت وصبرت هفتاباً أنطوح في مشيتي  
كحبر مائه امخلوع من الأرض تلعب به الرياح مشحهاها شبت  
من اللب هي شوارع المدسة وحواريها لتي كانت أوحشسي وهي  
اسهاية صرت أتمى رقعة من لأرض أنوسد هيهه براعى وأسلم  
روحى لنكربم الذى لا يعمل ولا نام، حيث لا يصححى بالامر  
سحان ولا يتأمر على جلوبش أو حفير أو ديدبان، لكن أين هذه  
الزقعة يسوى؟ هذا حم كبير جدا يابوى في هذا البلد لا نحقق  
مثل هذا الحم، إنه لا يتحقق الا فوق مصطبه دارنا في بلدتنا حيث  
أمرى وعين الله ساهرة

والرجل تدب مطرح ما تحب، هذا مثل من الأمثال شهدت به  
أرحل البشر على مدى الأيام يا حال الذين قبل قالوا وقولهم  
حق مدور في صحائف الأيام يابوى أنا مثلاً، ما اندى عادى إلى  
حوارى مصر القديمة رغم أنى لامت فيها الهواء وشربت منها  
كسكات الدل والمارز المؤكد يابوى أنى لى فيها صلب كبير هو  
المعلم «شندويل» أحب أن أراه ويرانى، لى فيها أيام حلوة  
وليالى أس وأن كانت قليلة فإنها لا تعيب عن الدال أبدا

أمر عجيب والله ياخال، لقد كنت مقلدا على مصر القديمة  
وكلى سرور وانتهاج كاسى في سكه المرواح إلى سدئ وأهلى  
هى أول اسهار كنت أسير بلا هدف أترك الحوارى ترفعى إلى  
لشوارع ولشوارع تدلقى في الميايى والميايى تدهورنى وقتنا  
تسكى بعده في اتجاه غير مقصود أما مصر القديمة فاسى

مصدتها قصدا دون أن أدري وترسعت طريقها حتى أشرفت  
عليها قميل العصر مقليل فمائل كلما اقتربت منها ودخلت في  
عمق حوارها ينقص قلبى كأن يد مارد شيطان تقصص..

وا. د. ه يابوى، أنا أقول لك السبب ولكن، لا داعى، فضلك من  
هذا السبب فريما أكون كادبا فيه، فليس يعلم بسر القلوب غيره  
سبحانه وتعالى، إنما الذى أما متأكد منه ياخال أن حواري مصر  
لقديمة وشوارعها راحت تلقى في وجهى بالليالى السوداء  
بكالحة جماعات وعراىي كلما أوعلت في دروبها طلعت على سود  
سبالي تلح هي شحوب، مساء تذكرنى نفسها يابوى تنعرف على  
مكاد الأحجار المرمية على نواصى لحارات تهب واقفة وتقبل  
بحوى مسمة ومعاينة لأحصان تقول لى أبش حاله يا حس  
ليس على وجهى سوى ابتسامة أشعر أمها جفت من طول ما  
أمام ليالى السود الكاسية مذكرا يدهه في رقة بأننى هو، نعم  
هو، تلك اندى أحبك بماسيب وبلاويك ومصاصك وشقاواتك  
العدنة الحصبية ياخال أن ليلة من كل هذه الليالى التى تعرعت  
عليها وتعرعت على بين حواري مصر القديمة وشوارعها لم تتكرم  
ودعوى لبقاء في ححرها حتى الصباح يابوى، لم يطق صوت  
واحد يقول تفصل يحس على العشاء أو حتى على شرب الشدى  
أو حتى تفصل ولو على سميل برو العتب رصينا بالغلب ولكن  
معلب لا يرصى!.



قلت والله لا أرضى بـدل أبداً، ومضيت لا ألوئى على شيء حتى خلعت مصر القديمة وراء ظهري وصرت في إسطنبول عترة تذكرت هجاة أمي ما مررت على المعلم «شندويلي» وكان الواجب أن أمر يابوي فالمعلم «شندويلي» كله واجب، وهو القلب الحبيب الذي كنت أصمم عنده غدوة كبيرة وبومة خلية الببال هنية لكنه ألح الصعيدي يابوي، تريس تريس شديدة ولم يشأ أن أعود كل الطريق الذي مشيته يحيل إلى يابوي أمي صنعت على نفسي أن يراني وقشف السجن على وجهي وكل جسدي وعنى لساني ثم طرأ الحاضر الكبير على دماعي يابوي قائلاً وما الداعي يا أبا علي أن يعرف المعلم «شندويلي» أنك كنت في السجن أصلاً، لو علم ربما يستقلك في نظره ولا يعتمد عليك في سر، وقد يتسرب الحمر منه فيعلم به ولد بلدي وتكون العضيحة في بلدتي قلت: ياما أنت كريم يارب، ومضيت اخترق شوارع إسطنبول عترة.

في إسطنبول عترة مقهى صغير حفيف الدم يقع على منصة صغيرة لكنها بارزة، صاحبها يرص كراسيه النقش المعصمة وبكته الحشمية المعلقة في أرض الشارع الذي لا تسير فيه الناقلات، يجلس في هذه المقهى خلق كثيرون من باعة السمك السريعة وأصغار شغل العامل والشبالين والتباعين، لي فيها ولد صديق يمسح الأحذية في الشوارع بصندوق صغير ويتخذ من هذه المقهى موطاً ليلياً حيث يلعب القمار مع شلة من أصعب خلق الله مثلي اسمه «حسن»، غير أن أهله يدعونه فيطلقون عليه اسم

«ميمي» دلع الفقارة يقع المارة كما يقول المثل والاسم غير رابك عليه لكنه يركب عليه فقط هي قهوة «بعره» هذه وفي لعشش التي يسكن مع أهله في واحدة منها على بر الجيزة نحو جزيرة الذهب، حيث كل سكانها مغفزين حسدني الوجوه وبينهم «حسن» هذا أبيض الوجه على جبينه خصلة شعر كأولاد الذوات له ثلاثة إخوة صغار يشتغلون مثله في مسح الأحذية ولا يرجعون أدار إلا لأمي وإني لأحب هذا الولد لأن فيه لطشة أجدعنة يفعل أشياء يعجز عن فعلها رجال بشوارب عظيمة وحافظات تقود متفخة، لا يهمه أي شيء هو الآخر يحسني لله في الله وكان يتعارك من أجل متاعاً أتمارك من أجله إذا وجد أجدنا الآخر في زقة.

الولد نط من القرح بمجرد أن رآني وألله يابوي وشالسي عن الأرض «أزيك يا حسن أهلاً وسهلاً عاش من شاك» جاء الشاي مشربناه وجدنا على كوعة الرصيف المقابل وقام «ميمي» فاستاف علياً سجاناً صغيرة وضعت بيننا قال: «أنت قادم من البلد»، قلت: «أنا قادم من السجن مياشرة إلى هنا»، نهض واقفاً في الحال يقول «طلب يلا بيضاء» ثم سحبني إلى كورنيش النيل بعد مبداء أثر الدبي، فعبرنا النهر بالمعدية ومضينا على الشاطئ قليلاً حتى وصلنا إلى عشة بين حوالي مائة عشة مبنية بالطين والبوص على مساحات عريضة بين عشب وأشجار كثيرة

## الرابعة - عيان يضاجع ميتا

فى وسط دارهم البرحة حكيت له حكاية السحر من طلق  
لسلامو عليكم. احتفت فى امه العجوز لما علمت بالحكاية وذبحت  
بناطة كبيرة سلقته فى الحال مع حلة أرز ومرق امه كانت  
طبية ونشسه امي لمد كبير ياسوى، قالت وهى تصبع الاكل امامنا  
بحس. واقلع هدومك اعسلها لك وأزبل عنها رائحة الايام  
الاشمومة. خلعت ثيابي وحلج ايسها ثيانه، وبقيت فى السراويل  
فحسب متحررين من الخشية على الثياب فزلنا على الاكل حتتك  
بتتك، شغلنا من المرق ما كان يتصبب فى الحال عرقا ليدنا  
مصمصنا عظام البطة حتى لم تعد للقط والكلاّب معدنا اى مركة  
تراجعها وبعد الاكل شربنا الشاي دورين وأتينا على بقية علة  
السجائر. تعطرقنا على الارض نستشعر الرخاوة نستكمل بقايا  
الكلام حتى سطلنا الهواء الخريف ممطسنا فى نوم عميق، حتى  
الولية هى الاخرى.

لولا ان البول حصرتنى فحلمت أننى أتبول ما كنت صحت  
كانت الدنيا تبدو لى لحظتها وكأننا فى منتصف الليل، وأنوار

مصر تلعلط من كل ناحية فوعنا وتصب في حوش الدار شيئا قليلا من لآكلها لكرت «ميمي» فتقلب وفتح عينيّه قائلا كان الكلام لم يتوقف بيننا بعد، «هبيه! ومعدين!». قلت: «أريد أفك حصرا». أشار إلى تعريشة في ركن الحوش البعيد فعرفت أنها الكنيف فأتحتها إليها فقصصت حاجتي واسترحت ويحثت عن عقب سيجارة أشطه فوجدت «ميمي» يحتفظ بسيجارة قدمها لي مشتعلة فتربعت لبعض دقائق وصنع أسفاس ثم ظلت ثيابي لاليسها فذهبت الولية لتأتي بها من على جبل الغسيل فلم تجدها، لم تجد لمحتويات الدار كلها أثرا، حتى الحلل والوابور والأكواب. صوتت الولية بكل عزمها، فأتقت أنه النحس يابوي قد لحق بي في هذا المكان الهاديء صرنا جميعا في ربيع هدومنا بل هي كامل عريبا، إذ ليس من خيط في إبرة يستر عورتنا إذا أردنا مفادرة عتبة الدار، وقلت لأبدي أن شيطاننا يترصنني يابوي

شيء إلهي قال في نفسي كفك هذا يا نحس وتآدب وقم من هذا المكان. شعرت بالرعدة في قلبي والله يا حال، فطويت وجهي عن السماء وقلعت جسعي على نفسه كأن السحب قد تقاربت جدرامه على حتى التصلقت بجسدي وتشكلت بعريه وقلت للولية هي صوت يقطر البكاء منه «والله يا ولية اني لا أعرف ما أمعله الآن فدبريبي» طوت الولية وجهها عني ومسحت دموعها الهائلة وتمخطت ثم قالت: «دبرها الطاهرة أم العواحر أم هاشم انة بنت

رسول الله» صحت جاعرا كانتى أشتم وأردج «ممدد ياست رسا» ورينا شطارتك أكيد لك الدلال على ربنا» نهضت الولية «هت كسير وصارت تروح وتجيء حائرة تشد في ذيل ثوبها وتسمر اللعنات على من فعل هذه الفعلة الحسياسة فينا إلهي ما يوعى بيات إلا هي يتقطع جسمه تحت عجالات قطار إلهي يصرف أضعاف أضعاف ثمنها على الحكماء ومر الدواء وشر السلاء»..

استوقفتها قائلا كأنها المسئول الأكبر عن رقتي هذه الشنيعة «كل هذا لن يقع يا حانة فدبريبي»، فاشاحت في أسف وبعد صمت طويل كطيم نهص «ميمي» ومضى خارجا بطريقة فهمت منها أنه سيبحث عن اللص ويحیی به من تحت طماطيق الأرض. لكنه عاب يابوي. وطال صصري وأنا أجلس تارة وأنهص تارة أخرى كالسبع الهائج أريد أن أفتك بالولية وأهدم هذه الدار على دموعها النحس، وهي في كل مرة تتحج في تهدأتي بسياقتها لنبي وللولى وآل البيت كلهم مما يعجزني عن التماضي في الهياج حشية اللط قيهم هم الآخرين وهم شفعائي عنده سبحانه علي ما صدر مني تجاهه من لحظة فائقة لكنني يا حال كلما تذكرت أني خرجت اليوم من الحس إلى حس من صنف جديد تغلى الدماء في عروقي كيحما يغلي أثناء في براص الشاء ويتغررتك من البغليان..

غابت الولية قليلا ثم عادت وفي يديها كوب شاي ثقيل رعم صيقى الشديد بمظهره فلأنني اشترحت قليلا لمرآة، الحاطر الذي جاءنى لحظتها أن أطليح به ويديها في الهواء فليحرقها الله قات الولية أن الجيران سمعوى وعرموا كل شىء وحرنوا من أجلى وأن أننها هناك يتباحث معهم فيمن يكون السارق الجبان، وامتحت ووضعت كوب الشاي بجوارى مظهرها صعب على يابوى فسكت وبعد وقت قصير وجدت يدى تمتد على كونة الشاي فإذا للشاي طعم عبقري يابوى، سرى منه الخدر في أعصابى فشعرت أننى استقرحت، بصئت بعينى عن الولية فلم أجدها، ففقت أنمشى من جديد ولكن في هدوء هذه المرة، أحاول الوصول إلى بر ولكن بدون فائدة يابوى، لا طريقة ولا حل والدنيا مثل خرم الإبرة وأنا المحيط يريد أن يتعد منه في حلقة الظلام، الدموع تهطل مدرارة على خدى وأنا أحس من لهيب علياها أن الله غاضب على هذه الأيام وأنها أيام محوس بالنسبة لى ولن يرضى عنى سبحانه إلا بعد زوالها وهو وحده يعلم متى تزول لكن العشم فى رحمته قريب، إذا بالولية داجلة تحمل بين يديها خرقة كالحة تقترب بها منى قائلة أن الجيران ماس على باب الله مثلكا وقد فقتشوا عن ثوب قديم عندهم يمكن الاستعلاء عنه فلم يجدوا لأن كل ثيابهم فى الأصل قديمة ومعظمها حليج مما استعنى عنه آخرون لكن أهمهم الطيبة دخلت القاعة مرأت عجينها مغطى بهذا الثوب فنظرت فيه ووجدته لا يزال صالحا لتغطية الحسد ففرطت الأم فى عجينها

واستغثت .. كثر خيرها - عن هذا الثوب فعساه يبع أو يقصى مصلحة

عصبا عنى تناولته يابوى، رحت أقلب فيه واتحسر على حكم الزمن الجبان وفعل الأيام فى، الثوب حشن يابوى، ملء بحبيبات قطع العجيب الماشف ورائحة النحالة وانتراپ وخراء القمل والبراغيث والصراصير الا أنه متماسك السيج وليس به إلا رقعة واحدة من ناحية الكتف وبقعة عريضة جدا من زيت الطعام شربت من الوسخ والتراب ما شربت ولا يزال ملمسها طريا كحد الأفاعى لكننى لست يابوى، وضعته على كفتى وأدجلت أكامى فيه وطرحته على بدنى فاستقام كاسيا حتى ما فوق الركبتين فقليل قلت محمد الله على ذلك، قلت للولية سارح بعد قليل وقولى لا يذك يمتطرنى فسوف أبيت عندكم سواد الليل.

## الخامسة - الله أكبر لكن الليل كافر!

أخذت الباب فى وجهى ومصيت

تمنكت شاطئ النيل وبقيت ماشيا لا أعرف لى وجهة أخرى،  
حتى لاح لى من بعيد ضوء خافت محمر، كان يزداد اهدارا  
وقالقا كلما تراحت بيوت المدينة وأحاط الظلام كل شيء قد  
عرفته يابوى، تذكرت أبى أعرفه، أعرف أن هذا الضوء يقوم أمام  
حص على هذا الشاطئ يسكنه حفير وأولاده، إذ أن هناك من  
يملك هذه الأهدنة الكبيرة من طرح النهر قد زرعه أشجارا صغيرة  
لا أحد يدرى ما هى بالضبط حتى حفيرنا وجاء لها بماكنة مياه  
وبهذا الحفير يحرسها، تذكرت أن اسمه «عم ذهب» وأنه يخفر  
هذه الأشجار وهذه الماكنة منذ سنوات، فى النهار تراه مترددا  
على أسواق السمك والفاكهة يداعب التجار ويتحدث معهم حديثا  
وديا طيبا، وهو مشهور بينهم قلت لا معر ياعم ذهب! أنت الآن  
الذى أمامى وقد خامت الطوبة فى المعطوبة هذه المرة ولكن ماذا  
أفعل! أنت على الآن تستطيع التصرف أما أنا فلا أستطيع شيئا  
مطلقا! فدعنى أسرقك بالطيبة أو بالقصية بدلا من قتلك أو قتل  
روح أخرى'

أخذت ادارى نفسى وأظهرها كلما اقتربت من حص الرحل.  
كان صوت أم كلثوم يصدر مخبيا هلت ليالى القمر - مع أن الظلام  
كان دامسا فلما حازيت الحص من جانبه الأيسر داريت جسدى  
فى صلعه ونظرت فإذا بالراديو ماركة صوت العرب معلق فى  
مسمار فى جدار الخصر، وإذا به مع ذهبه وزوجه وأولاده  
نائمون على الشاطئ أمام الحص كالسطيحة، هم يتباررون فى  
الشحير كأنهم يهزءون بصوت أم كلثوم، همست قائلا مغلش  
ياسيدة العناء يأنسة لمسوف أثار لك الآن، ومددت يدي فاعلقت  
الراديو، فساد سكوت كبير سرعان ما احتلته أصوات الصغار  
والصراخى وصوت الشخير تحسبا للموقف صفقت بيدي  
تصفيفة واهنة قائلا بصوت أشد وهذا يا جماعة ياللى هنا فلم  
يجاوبنى سوى الشخير، متمسلت على أطراف قدمي ودخلت  
الحص، لارى ثياب الرجل وزوجه وأولاده معلقة على مسامير فى  
الحائط فلممتها كلها ولعقت فيها الراديو وكل شيء وجدته  
وتسللت خارجا أمشى على الشاطئ فى هدوء وسرعة شديدين  
وأنا أقول استر يارب. حتى وصلت إلى دار صاحبي «ميمى»  
والفجر يقول: الله أكبر

فى دخلتى كان صاحبي يتعارك مع أمه يوبخها على نومها  
والولية لا تزال تستنزل غصب السموات كلها على الذين فعلوها  
وعيشوها هذه الليلة الكحلاء النحس التي دخل الصراعى فى  
أعقابها فقششهم نقشيشا طرقت الباب ففتحت لى وشهقت لما  
رأتنى. «لقيت الصراعى؟»، قلت، «نعم»، فذهب صاحبي وأقبل

مهزولا «كيف؟»، دمعتهما معا إلى صحن البار مقلقا الباب خلفى  
بالترياس، وقتت للولية وأنا أفك الصرة الكبيرة. هذه حلل وأطباق  
ووابور بدلا من الذى ضاع منك يا حله! لعل النحس يور عنك!  
وهذه ثياب لك أجسن مما سرق! أما أنت يا صاحبي فهذا ثوب لك  
أجسد من الذى سرق! وهك هنة صوقية باكمام حراء لك على  
كرمك معي! أم هذا الجلابى الصوفى المعطر وهذا الثوب النوبلى  
الفخيم وهذا الصديرى الشامى - بكل ما فى جيبه - وهذه العنلة  
القطنية وهذا السروال وهذا الحذاء وهذا الراديو فإنها جميعا لى  
ياخال! الله الله على الجدة! والجد الله الله عليه!

«قال الولد وأمه فى نفس واحد «حلال عليك يا عم» والله إنك  
لنتشكر». ونظر الولد فى عيني قائلا بلهجة موروثة غير سالكة  
«عملت كيف يا ابو على؟» حاديت ظهر كفى بهمه وشطحت فيه  
«لا شأن لك! أشعل أم بحلقة! إعتدل الولد قائلا «شعر طمعا»  
شعل!، ثم نهض من فورهِ هارتدى العنلة والجلابى فظهر كأولاد  
الباس وإتفق فى الحال على أن تقطعها أمه من الديل والجنبين  
مقدار ثلاثة قراريط، ثم ضلعه ورمى به لأمه، التى تلقفته وعى  
الحال راحت تحت فى عقدة مبدل رأسها عن ابرة الخياطة، وعاد  
صاحبي يتقلب الصديرى بنظرات كالحة صايعة، حاصة بعد أن  
سويت الصديرى عسى صلوعى فكانه على مقاسى بالصبط. ولقد  
راح قلبى يرقص تحت ثقل المحفلة الكبيرة التى كانت فى جيبه  
يابوى، أشبه بمحفلة تجار الحبوب والأقطان يابوى، وكنت أوجل  
فتحتها لا أعرف لماذا ياخال. بسرعة سويت الجلابى النوبلى على

جسدي ومن فوقه الجلباب المصوف ثم الحذاء فلبت كشمندر  
التجار في زمانه. رحت أخطو وأعود مجرباً المشي رافلاً في ثمين  
الثياب فوجدته غاية المراد من رب العباد حقاً يابوي، وعذرت  
الناس في تكالبهم على ذلك وتذكرت قول أحد الأئمة لعله دأب  
حبيبة. إذ يقول على لسان عمي الفقيه الكبير «نقمشوا ثمين  
الثياب يحترمكم الناس»، يومها قال أحد المعترضين الأدكياء على  
عمي الفقيه «دعك من هذا ياسيدنا ما بوج حبيبة كان يروج للقماش  
ماعتباره تاجر أقمشة بالوراثه»، وشحط فيه عمي الفقيه وطرده  
من مجلسه. طيب ما قولك الآن يابوي في أسى قد صرت متحيراً  
لأبي حنيفة في هذا القول؟ صحيح أن الإمام أبا حنيفة لم يحل لنا  
مشكلة الميوس التي سنشتري بها هذا القماش الثمين ولكن الذي  
صار مؤكداً لي الآن هو أن لس القماش الثمين هو رطل التميم  
حقاً، فاللهم أوعدنا به..

قطعت الحوش فدخلت التعريشة الكثيفة موهما أنني سافعل  
مثلاً يفعل الناس. وجلست، وجلست فعلا على الملاقى بعد أن  
حللت سروالي فإذا بي بالفعل كنت أريد ذلك فمضيت أفعل ثم  
انتهزت الفرصة وأخرجت المحفظة بقلب واجف ويد منتفصة  
كأنني أسرقها الآن فقط، ففتحتها وانتهكت جيوبها بسرعة فدا هي  
تحمل خمس ورقات بمعمسين جسيها وسع جيبيها فكة وحاتم  
فغنى مكسور وبعض أوراق صغيرة مطوية خرجت يدي ثلاث  
حتيها مطوية ثم أطنقت المحفظة فطرقت كبسولاتها لئلا

وأعدتها إلى حبيب المسديري. لحت ظل صاحبي يتلصص على من  
خلف باب التعريشة الصغير، وبصت عن ماء فلم أجد ممسحت  
مؤخرتي مطوية وبصت رابطاً سروالي وخرجت إلى الحوش  
ملاحقاً صاحبي الذي كان يسرع ليبي عن نفسه شهنة التجسس  
علي، قبصت على دراعه وبالأخرى عرصت له الحبيبات قائلاً  
«وجهك فقر» هذا كل ما وجدته خذ، وترعت جيبيها أحضر  
سمهري القوام عريض السكين يقف على صدره وجه أبو الهول  
فما رآه صاحبي حتى وقع معشياً عليه من الفرح، فصرت أدفعه  
بيون الحذاء في جيبه ودقنه ليفيق وهو مندمج في التمثيل يرمي  
جثته يمينا وشمالاً ويشوق شهقة طلوع الروح كلما فتح عينيه  
ورأى ورقة الجنيه في يدي دفعت بأخنيه في صدره ومضيت  
قائلاً «دعني الآن أذهب إلى حال سبيلي قبل أن يطلع النهار  
فتحدث في الأمور أسوأ» فمضى معي نحو الباب بأنفائلة  
والسروال وعانقتي، فحصنته، ولحقت الولية في عذ الباب  
فأحصنتني وقبلتني في جيبتي قائلة «مع السلامة يا ولدني الله  
يسهل لك ويمتحنها في وجهك ويبعد عنك أولاد الحرام»..  
فاستهدى قلبي حيراً بهذا الدعاء، وقالت والله أنها دعوة تساوي  
عندي أضعاف ما أعطيتها لها.

وخرجت، فمضيت أحرم في طرقات متوعدة في بر الجيرة  
أمشي بخطوات ثائثة وثقة وإن كان قلبي في صدري كيندول  
ساعة المسجد ياحال.

## السادسة - الهروب من قرص الشمس!

أدركتسى الشمس واقفا على محطة الحيرة في انتظار قطار  
الصعيد هفتت باهرا من قرص الشمس مزورا عه أحارب أن  
أتلاشى رؤيته لوجهى حتى جاء القطار مركسته مظل القرص  
يطاردنى من شباك القطار يترصدنى من سمائه ويسرع فيسبق  
القطار بأميال، ويتطره ليشده، فكانه يبحث بين عموم هؤلاء  
الركاب عنى وحدى، يشدد لهيبه، يفهر أنه سيستدس معى ويشى  
مى للركاب، يفضحنى الفضائح السمع كلما أمحسته بإعلاق هذا  
الشباك يابرى هب هنف من الجالسين أمامى وطلب رؤية المزارع  
والحلاء والصنوء الصباحى الداهىء الطوء، يعطىى الهلف دروساً  
ومواعظ فافتح الشباك رعما عنى وشىء الهى فى نفسى يقول  
ياولد إقصر أنشر ولا تتشاك فى حناقات على الصباح فاحز  
الشيطان وأوصل إلى أهلك على جبر أعصت عيني فى وحه  
الشمس وتذكرت الراديو ففتحته فابلق صوته برقصة ساحرة  
كان الكون بحميع أركانه يرقص ويمزك مع شادية وهى تعنى  
«يانور عيبه وأكثر شويه يا أغلى عندى م الدنيا ديه»  
فتطلع وراءها الموسيقى هانقة مشحلة ودماعى سابع هى بحر



ذاك وأنى تخضننى معنية نفس الكلام على نفس الموسيقى، ثم  
 نصت لو أن الهنت «حنة» بنت أوى سكنى هى التى تعنى لى هذه  
 الغدوة وصوت الكمسارى يدخل فى هذه المريكة صائحا فى علقة  
 «أنت ياخويه ياللى هيمان فى الحيال تبتسم؟ النبى تبسم؟ لكن فىن  
 التذكرة»، فصاحت ميتسما ووصعت يدى فى جيب الصديرى  
 الصغير المعد للساعة فأخرجت التذكرة جديدة حضراء سمكة  
 فأحدها الكمسارى وقرضها بالكماشة وأعادها إلى فأعدتها إلى  
 نفس الجيب وقد داخلتمى مشوة إذ أدركت حلاوة أن يكون للمرء  
 صديرى كهذا لأشياء كهذه فى الألبه يا ولد يا ولد أبى ضب والله  
 صرت الآن رجلا محترما ولو على قفا الآخرين يهز لك الكمسارى  
 رأسه بالتحية ثم أن الكمسارى دخل مع الهلف الجالس قبالتى  
 فى كلام وحديث فهمت منه أن هذا الهلف لم يقطع تذكرة ويريد  
 قطعها الآن ويذاكف الكمسارى ويساومه والكمسارى يقول له يا  
 بحم تكيفت يابوى من حلاوة أن يكون مع المرء نقود يهبها بدلا  
 من أن تهان نفسه عندك يا بوى سفرت من قرص الشمس  
 واقتنعت أن له مهمات أخرى كثيرة وأنتى لست فى حسبانته  
 فاصططعت ممددا منصتا إلى صوت الراديو وكان فى جيب  
 الصديرى علقة سجاثرها مفعمة فى بقايا سجاثر «عم ذهب»،  
 وكانت بعض سجاثرها مقلوبة على وجهها فرجحت أنه يميزها  
 عن غيرها إذ هى محشوة بالششيش لايد، غير أننى لم أتذكر ذلك  
 ولم أنتبه إليه إلا بعد أن دخلت آخر سيجارة من المقلوبة، سرح

دمعى مع الراديو، شىء ملبح والله يابوى، ملبح قوى قوى، هذا  
 الشىء المسمى بالراديو، يصدر بالغناء والكلام والموسيقى  
 ولقترآن والتشخيص والمسحة وكل شىء، قال الرسول عليه  
 الصلاة وأتم السلام من علامات الساعة أن ينطق الحديد وما هو  
 ذا الحديد قد نطق وملا الدنيا زينة وزميلة ولم تقم الساعة بعد  
 معنى تقوم القيامة؟ وما المقصود بهذه الساعة يابوى؟ إنها ساعة  
 انقيامة مايطيع يا حال، وما القيامة يا حال؟ ما القيامة التى ينتظر أن  
 تحدث ويكون نطق الحديد علامة من علاماتها؟ عقلى يحدثنى  
 يابوى أبها قيامة الحلق؟ يقومون ليعملوا شيئا كبيرا يا حال؟  
 بقلوب الذهب مثلا هيجملون أعاليها أسافلها لتتنفس خلق طال  
 انكثام أنفاسهم وليجرب آحروب انكثام الأنفس؟ وإن من يكتم  
 أنفاس الخلق يقوم الحلق عليه ذات يوم ميعكوا قيود السجن عن  
 الهواء الذى استلبه فيمرح الهواء فى فراعاته الجميمة يعانق الحلق  
 يست الررع ترقرع فروع الشجر تنحدر الأنفاس تنزل عينا يهوى  
 على الحلق بالحياة!! فى ظنى يابوى أن الرسول عليه السلام قد  
 صدق وأن القيامة سوف تقوم حتما قسما عظما لكن حين يؤذن  
 الأوان لينطق الحديد - هذا الحديد الناطق - بكلمة السر الحقيقية  
 التى لست أعرفها بالضبط يابوى!

شيئا فشيئا راح صوت الراديو يشحب ويذاد ويهز،  
 متذكرك أنه يعمل بالحجارة البطارية مما يباع لدى البياعين فى  
 سوق العتبة وسوق عرة والدكاكين البندرية اعتمت لما تذكرك أن

حجارة البطارية هذه ستكفنا كل يوم والثاني، وازدنت غيظا لما تذكرت أننى لا أعرف كيف تنزع البطارية القديمة وتركب الجديدة. خفت أن تنفذ البطارية قبل وصولي إلى العيال فيصير الراديو مجرد صندوق غير ذي قيمة. أغلقته وركبته في حجرى محلقا عليه بيدى واستسلمت للأفكار: ماذا ستعمل يا ولد؟ غدا أو بعد أن تنفذ وتبقى أنت على الحديدية وتعود ريمة لعادتها القديمة. شيء إلهى قال لي: يا ولد سلمها لله فليس من المعقول أن يعمل هو عقله بعقلك الصغير ويمسك لك على الواحدة، إنه الأب الحنون ولا بد أن يرضى عنك فى يوم من الأيام ولكن بشرط أن تقدم أنت فروض الطاعة والولاء يا حسن كما يقول عمى الفقيه الكبير، وعموما فإنه سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الملك وإن شاء أن يعزك فسوف يفعل أو يذلك فالامر بيده، ولكن، معلش يارب.. معلش يعنى يس فى ذى الكلمة التى أوجهها اليك الآن بقلب صاف وثبة خالصة: كيف أتوب يا بوى والفقر والعوز بقلبى بلاحقانى أينما سرت؟ مر الفقر والعوز أن يحلا عنى ويرحلا من تحت أقدامى! أو فمر أمى واخواتى أن يقفلوا بطونهم ويدفنون عريهم تحت التراب الوجيع! أسدر أمرك إلى كل ثقب إبرة فى جسدى أن يتنازل عن كل مطلوب وكل مرغوب! حينئذ - يارب - يصبح فى مقدورى أن أقول لك أن توبتى نصوحا ونهاية عن كل فعل يفضبك أو يؤذى عبادك الصالحين! أننى واثق يارب أنك سبحانه قادر على كل شيء وما أظن أن هدائيتى أمر يصعب على قدرتك لكنه مفتقر إلى مشيئتك..

الدموع صارت تنهمر من عيني يا خال، انهمرت كما المطر حتى ارتجفت من شعور بالبرد القارس رغم اشتداد صهر القيقظ الماشى لصق شياك القطار. كلما جفت الدمع يزداد انهيارا كأنه البثر الزلال كلما أخذت منه يفيض ويمتلئ. شيء إلهى فى نفسى يقول: أبك يا ولد مشتهاك ولا تترك فى مخازن الدموع قطرة واحدة دع كل المواجه التى ادخرتها فى الحبس أمام الرجال وفى التلطم فى سود الليالى تنز وتعصر كل قبحها فلربما يسكن الوجع إلى حين أو إلى الأبد..

وهكذا ياخال بدأ غسيل عيني بجف شيئا فشيئا وبدت الدنيا أمامى زاهية مخضوضرة عليها يلمع الندى.. فشعرت أن أرض الحباب قد هلت منذ بضع محطات سابقات فصرت أستنشق ريح محطة «صدفة» التى تحمل فى ثنائياها ريح دارنا وأمى وأخوتى. قمت فسويت طوقى وأصلحت قفائى وتفضت حذائى وسحبت من الرف جعبة ورق مطوية على خمسة كيلو من فاكهة مصر الطيبة اشتريتها من فاكهى فى قفا اللحظة فملأت الجعبة بمنع ورماني وخوخ وتفاح مما يشتوى العيال ويسمعون. تابطت الجعبة برفق داخل، تماسكت فى عامود الباب أترقب رصيف محطة «صدفة» وهو يزحف داخلا تحت سلم الباب كأن الرصيف هو الذى يجرى. لم أكن لأطبق صبرا حتى يقف القطار نهائيا، فما صدقت أن هذا لهات الرصيف وتتألق زحفة حتى رميت بنفسى مقلدا أولاد البندر، حين يفعلون ذلك يجعلون وجوههم فى اتجاه سير القطار

حتى يمكنهم التماسك فى الأرض، لكننى لاحظتها كنت معلقا على سلم الباب ملقيا ببصرى فى الاتجاه المعاكس الذى يخلفه القطار وراءه إذ أن عينى كانت ترقب الطريق الزراعى الذى سارجع كل هذه المسافة لاسلكه إلى بلدتى «كوم سعيد». فلما ألقيت بنفسى على الرصيف دفعتنى الهواء المواجه بشدة وعنف فالتقى بى فى الهواء بعيدا، لافاجأ بنفسى منطرحا على ظهرى على مبعدة من سور الرصيف رافعا ساقى فى الهواء محمدا ذراعى والألم فى رأسى وظهرى لا يطاق ياخال. صرخت من عزم ما بى وقلت آه ياغمرى. لكنى لا أدرى كيف نهضت مسرعا كلعج بالبحر. لأرى الأرض مبدورة عنبا ورمانا وخوخا وتفاحا، وليس ثمة من راديو..

أخذت العلم وجهى وأشد فى طوقى وأولول وأهلوس أصرخ لله ما يغيثنى. جاء نفر من الركاب يهرولون نحوى بكل لهفة وبقايا صراخ وصياح، فلما رأونى واقفا على حيلى ظهر الاملعتان عليهم وصاروا يجمعون ما يمكن جمعه من فاكهتى وقد صارت كالكنافة يابوى، كنافة معجونة يعمد عنك. حاولنا وضعها فى الجعبة لكن الجعبة كانت تفتقت وتهرأت. بحثوا عن جرنان مع أحد فلم يجدوا فكوموها أمامى على الأرض وانصرفوا. وقعت عيني فجأة على الراديو عند آخر الرصيف وقد صار إلى ثلاث قلمع منفصلة وإن اشتبكت فى بعضها البعض بإسلاك وبدت السماعه كقبضة العجين سوداء مخزومة مليئة بالفموض والممعان

كوجه النعوس التى تتصدى لى هذه الأيام ظلما وعدوانا والله يابوى. وليت نحو حطام الراديو فرأيت جوارها خرقة بالية كالحة سرعان ماتعرفت عليها فإذا هى الثوب الخلق الذى سبق أن جاءتنى به الولية أم صاحبى «ميمى» من جارتها وكان غطاء للعجين، إذ أننى حين خلعتى فى دار صاحبى احتفظت به بغرض الانتفاع به فى لف شىء. قلت: ياما أنت كريم يارب، وانحنيت فجمعت أشلاء الراديو ووضعتها فى الخرقة وقد داخلنى شعور بأن أعرض أمره على سمكرى البلدة عله يتمكن من إعادة لحمه وتشغيله وعدوت على بقايا الفاكهة فجمعتها لفتتها مع أشلاء الراديو فى الخرقة التى كان مقدرا لها أن تلف جسدى نفسه فى زنتقى ولكن ها هى ذى تلف أشلاء ذنبى تزفنى إلى الأهل خائبا أقول ياسايل الستر كفانى ما لحق بى من الكسفة والمذلة وأشعلنى برحمانتك الأوسع.

من حسن الحظ يا خال أن أحدا لم يتعرف على فى الطريق والكل يرد على سلامى كأنما كينة: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته اتفضل يا أبو العم. الوحيد الذى تعرف على حقا هو أمى يا بوى. فتحت لى الباب فشهمت فذبت صدرها بالحيل صائحة بأشد عزم فى قلبها ولدى. قرمت بنفسى فى صدرها عابس الوجه كظيما. فما أن ردت وراءنا الباب حتى تفجرت باكيا. كان كل بكائى داخل القطار كان الزلازل تسبق انفجار البركان الذى يتعطف على الأرض الملائمة. لم أكن أدرى أبكائى هذا أم بكاء

أمى.. لكننى كنت أوقن يا بوى أن صخور الحياة وكلاكيع المر  
التكورة بأحشائى وفوق صدرى قد انصهرت وذابت من لحظة ما  
لامس خدى صدر أمى. بكيت نياية عن كل الحوايت المربعة التى  
وددت لو أحكيها لها ياخال، وعن كل الأخبار المولة التى طالما  
استشعرت لذة حين أرى حالها إذ تمرقها. كان كل ما أريد أن  
أحكيه لها كثيرا يا بوى، معقد ومؤلم، قساكتفت بالبكاء كلما  
تصيدت أمى مناسبة تجرئى فيها للحديث عن مصابى وغيابى كل  
هذه الشهور بدون حس ولا خبر. كنت فى بعض اللحظات أشعر  
فى أن أحكى لها يا بوى، لكن عبرة البكاء تكتفنى عن الكلام فلا  
أكمل ولا أتكلم من الأساس..

إلى أن جاء يوم تأكدت فيه أن أمى قد تمكنت من ترجمة كل  
دمعة دمعتها ياخال، وبانت تعرف عنى كل شيء دون أن أحكيه  
لها بالكلام. ولما تأكدت هى أن مخزون الدمع فى عيني قد نضب،  
بدأ دورها هى فى البكاء وما أفضح بكاء الأم عندنا ياخال، أمى أنا  
بنوع خاص ينبوع بكاء، لم أر لبكائها ضربيا فى البر كله، تبكى  
أشهور وسنين خلت كان حالى فيها - وحالهم - يستحق البكاء  
الآليم. تحلف اليمين ياخال أنها لم يشغلها عن الاستمرار فى  
البكاء سوى نجاح السمكرى العفريت فى لحم صندوق الراديو  
وتجميع عدته والعكرشة فى أسلاكه حتى وش ونطق وصار عال  
العمال ولكن بشرط أن نضع حجارة البطارية من الخارج فى

صندوق صغير خاص بها وموصول بالعدة بسلك ومربوط فى  
صندوق الراديو بحزام من الاستك. بات فرجة حقيقية تفخر بها  
على أهل الشارع كله وتلقى من أصواته العجايب والمدهشات،  
حتى أن سحنة وجه أمى قد تغيرت والله ياخال وأنشدت بعد  
تهدل وكمرشة امتلات بدم الحياة من أنفاسى فى الدار بعد جفاف  
وتحرق. صارت كل يوم تتنازل عن شيء من همومها وتخسبها  
حتى جاءت لحظة صارت تتمايل فيها مع موسيقات الراديو  
الراقصة، ولولا الحياة لهزت جزعها، لكن الحياء والحق يقال يا  
خال لم يكن يمنعها من أن تغنى أحيانا مع المغنى. تحلف اليمين  
ياخال أننى اتحرق قلبى حزنا عليها وعلى نفسى من أجلها. أيقنت  
أن الولية - أمى - فى نفسها الفرح على أشده، وأخوتى البنات  
يعرفن ذلك ويحسبنه حتى شوشة الدماغ.. فمن تراه يكون ذلك  
الشيطان الرجيم الذى يحكم علينا جميعا بأن نشوق للفرح  
ونشتيه حتى الحزن الآليم حتى صار الحزن طبعنا وغيرنا فى  
ملذات النعيم غارق يلهو. قلت فى نفسى: والله لأفرحك يا أم ويا  
أخوتى مهما كان الثمن باهظ التكاليف، سوف أفرحك أشد الفرح  
ولو على جنتى وجه الشيطان نفسه..

سلسلة أعمال خيرى شلبى

الكتاب الثانى

(الكومى)

# وثانينا الكومى